غذاء الروح

الداود

تأليف

عبد العزيز المسند

الناشر

الطبعة الأولى

لعام

١٤٠٠هـ

مقدمة

الغـذاء ضرورة من ضرورات الحيـاة لا يستغنى عنه كائن حي بل لا يحيا بدونه ، وقـد خطرت الكائنات كلها على طلب الغـذاء فكل مولود يتجـه نزوله الى الأرض الى ثدى امـه أو الى وسيلة غذائية ، والشجرة تمتد جذورها الى حيث الماء والطعم الذى تتغذى منـه ، وابن آدم فضله الله على سائر المخلوقات بالعقل الراجح الذى يميز بـه أكثر من غيره ، لأن لـه وظيفة الولاية والعنـاية بالمخلوقات الأخرى . واذا كان غذاء الجسم ضروريا ومن أولويات الحيـاة فان غـذاء الروح أشـد ضرورة وأدعى الى الاهتمام به والسعى فى طلبه لأنـه اذا لم يتوفـر هـذا الغـذاء حصـل الخـواء النفسى وهبوط البشر الى مسـتوى الحيوانات والجمادات .

وانى رايت هبوطا فى فترة من الزمن فى هـذا الجانب من الغـذاء فساهمت بجهـد المقل لرفع درجة الهبوط وشحذ الهمم للوصول بها الى المستوى الذى تتوازن بـه الأغذية البدنية مع الأغذية الروحية .

ومن اجل ذلك فقد طفت برياض العلم اقطف ازهارها وانتقى لذيذ ثمارها اقدمه للقراء طبقـا منوعـا شهيا تقبله كل نفس وتتغذى منه كل روح دون أن يتعبهـا السير لجمعه او يثقلهـا العمل لانتقـائه وذلك حسبى نصحا وخدمـة لذوى العقـول .

وقـد سـلكت فى ذلك نهجـا جديدا حيث أختار ما يناسب كل عقـل ، ويجتذب كل فكر ، ويفيد كل مبتغ للفـائدة واعلق عليه بما يناسب الحـال ، فلا يمـل من قراءته العـالم الاريب ، ولا الأديب اللبيب ، ولا الراغب المبتدىء ولا المتعب المستلقى . فهو قطوف مختلفة فيها الآيـة من كتاب الله ، والحديث من سـنة رسـول الله ، والحكمة مـن عقول الأذكيـاء ، والسقر مـن قـدم زنـد الفحول والطرفة من لطيف خفيفى الروح ، والقصة الهادفة من المجيدين .

وأعتقـد أن كل انســان فى زماننا هـذا يحس بالحاجة الملحـة الى مثل هـذا النوع من الغـذاء لأن الأذهان قـد أقفرت ، والطغـاء المادى قـد غشى على كل الأبصـار فهى لا ترى الا بمنظاره ، ولا تحس الا باحساسه ، ولا تفكر الا فيـه ، ولا تسعى الا اليـه . فقلت القراءة واقفرت المكتبات مـن الرواد ، وعزف عن القراءة العلماء والأدبـاء ، ونفق سوق المادة ، وكسد سوق الحكمة والعـلم والشـعر .

ومما يساعد على هـذا الكساد مع طغـاء المـادة كثرة الملهيات المنظورة والمسموعة والمقروءة . واقتصار بعض المؤلفـات الحديثة على موضوع جانبى مـن المـادة العلميـة ، وتنويع أسلوبه بحيث يخرج القـارئ بعد قراءة مائتى صفحة بدون فائدة ، وقصد كثير من المؤلفين ارضاء واشباع رغبة سواد الناس ولو كان غثـا غـير ذى لب وكلاما بـدون هـدف . فأصبحت المؤلفات تكتب لسـاعة واحـدة ثم ترمى . ولفترة واحـدة ثم تنتهى . فتخلفت وتخلت عن وظيفتها التوجيهية وأصبحت لاهثة وراء الحيـاة .

ومن يدرى ما يلد الحدثان ، ! والله المستعان ..

عبد العزيز عبد الرحمن المسند

بسم الله الرحمن الرحيم

المعــروف

« وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ الله فِيهِ خَيْراً كَثِيراً » .

الزوجة ألصق الناس بالرجل ، وهي قطعة منه ، تعيش معه ليلا ونهارا وتحيا معه ، سراءه وضراءه ، وهما من أجل ذلك يحتاجان الى عشرة حسنة حتى تبقى علاقتهما ، وتنتظم حياتهما .

ولا شك أن المعاملة بالمعروف ، والمعاشرة بالحسنى أمر مطلوب من الزوجين معا ولكن المرأة أقل تحملا من الرجل وأسرع الى التأثر منه فخوطب هو ودعي الى معاشرة الزوجة بالمعروف .. ومن أجل ألا يلج في عناده ، ويتمادى في غيه ، ويتعصب لرأيه لفت الله نظره الى أنه قد يخطيء في اعتقاده ، وقد يتصور أن هذا الشيء مكروه ، والحقيقة أنه محبوب ، وان لم يكن محبوبا ففيه خير كثير ، وخير الزوجة لا يقف عند حد ففيها الخير المعنوي والخير الحسي وفيهـا العمل في البيت واشاعة الفرحة ، والرضا فيه ، وفيهـا الولد وبقاء النسل ، وفيهـا ايواء الزوج وخدمته والتسرية عنه وأنسه وراحته .

وهكذا يدعونا الله عز وجل الى التفكير في الأمر وعدم التسرع في الحكم على زوجاتنا ، حتى لا نقع في المحذور ونتصرف بسرعة قد تؤدي الى كارثة .

فالى أولئك الذين يكيلون لزوجاتهم السباب ، والى أولئك الذين ينحون باللائمة عليهن وحدهن نسوق هذا العلاج الرباني الذي يقي الحياة من الانفصام ... ويذكر المستقبل وما يحدث فيه .

أقل أنواع المعروف :

المعروف بأنواعه خير وسبب للتحاب والتعاطف ، والعيش بسلام ، والتذوق لطعم الحياة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل لأمته تعاليمه وتشريعــاته •• فيقول : « لا تحقرن من المعــروف ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق » •• ففتح للناس بابا واسعا من أبواب المعروف ، ويسر الوصول اليه لمن أراده فكل عمل نبيل فهو معروف ، والانسان يأخذ من المعروف على قدر استطاعته • فمن كان واجدا للمــال أنفق منه فكان معروفا ، ومن كان عالمــا نشر علمه فكان معروفا ، ومن كان ذا مهنة فعلمها للناس كان قد أسدى اليهم معروفا ، ومن كان قويا في بدنه فساعد أحدا فقد عمل معروفا ، ومــن كان لا يملك ســوى الكلام فهــو معروف اذا كان حســنا دالا على الخير أو معينا على المعروف أو مصلحا ذات بين •

وحتى حين يقتصر البذل على بسط الوجه للقريب والصديق وذوي الحاجة وتحيتهم والتلطف اليهم فهو هنا معروف •

ليت شعري أيها الاخوة هل يوجد في الدنيا أبخل أو أمنع أو ألأم مــن رجل لا يستطيع أن يلقى أخوانه بوجــه طلق ومحيا كريم باســم •• ؟ لا والله •

اللهم يسر لنا المعروف وأعذنا من البخل ••

متى يكون المعروف فى غير موضعه ؟

يكون المعروف كذلك اذا أسدى الى غير أهله ••

حدث أحدهم قال :

دخلت البادية فاذا عجوز بين يديها شاة مقتولة •• وجرو ذئب فنظرت اليها فقالت : أتدري ما هذا ؟ قلت لا • قالت جرو ذئب أخذته وأدخلته بيتي فلما كبر افترس شاتي وقد قلت في ذلك شعرا • قلت لها ما هو ؟

فأنشدتني هذه الأبيات :

بقرت شويهتي وفجعت قلبي ... وأنت لشاتنا ولد ربيب

غذيت بدرها وربيت فينا ... فمن أنباك أن أباك ذيب ؟

اذا كان الطباع طباع سوء ... فلا أدب يفيد ولا أديب

أيها الاخوة هكذا أهل الشر يقلبون المعروف منكرا ، ويجازون الاحسان بالاساءة •• ويبقون على طباعهم ، ويعودون الى خصال الشر •• مهما أحسنت اليهم أو بذلت اليهم من معروف •

جعلهم الله قليلين في مجتمعنا ، وأبعدهم عنا بعد الثريا •

* ● *

وعـــد الله للمؤمنين

تظلل الأجواء الاســـلامية اليوم سحابة سوداء ، تكدر صفوهم ، وتقض مضجعهم ، وتقلق بالهم وتمنعهم الراحة والســـعادة .. ذلكم هى عدو الاسلام والانسانية « اسرائيل » .

ولئن أصيب المسلمون بهذا الابتلاء ، وتأصل فيهم هذا الداء ، فليس غريبا أن يبتلي الله عباده وأن يصيبهم بأنواع المصائب ليبتليهم ، وليعلم حقيقة ايمانهم وقوة احتمالهم .

والغريب في الأمر أن بعضا من المسلمين ــ هداهم الله ــ بعد عن الله وغابت عنه حكمته فتمادى في اليأس والقنوط وظن أن الله قـــد تخلى عـــن عبـــاده ، وأنه رفع تأييده عنهم ، وأنهـــم لن ينصروا ، أو أن عـــدوهم لن يغلب .. ويعلل ذلك بالواقع المرير الذي يعيشه المســـلمون اليوم ، مع فشل المحاولات ، واستمرار العدو في التقدم والمسلمين في التقهقر .

ونحن نظمئن أبناء المسلمين ، ونضع بلسما شافيا من كلام الله عز وجل على قلوبهم ، حتى يحسوا ببرودة الأمل ، ويتنسموا هواء الحياة والخروج من الحيرة واليأس .

يقول الله تعالى :

« وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ

دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » .

فهذا وعد أكيد من الله لعباده المؤمنين بأنه سيستخلفهم في الأرض ، ويمكن لهم فيها ، ويبدلهم بخوفهم أمنا وقنوطهم فرحا . تعقبه راحة تجعلهم يتفرغون لعبادته وطاعته .. ولكنه في وعده القاطع يؤكد أن ذلك الوعد هو للذين آمنوا وعملوا الصالحات لا لكل أحد . وكذلك فان من ينكث هذا العهد أو يخلف ما وعد الله به فان الله سيتخلى عنه ويعذبه .

تحذير من رسول الله :

ويطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بثاقب بصيرته ، وبتمكين الله له واقداره على علم ما سيكون في المستقبل فيحذر أمته بقوله :

« اذا رضيتم بالزرع ، واتبعتم أذناب البقر وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى تراجعوا دينكم » .

كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي واقعنا اليه .. فلقد شغلنا حب الدنيا والسعي وراءها عن الله . ومنعنا حبنا لأنفسنا والرغبة في التمتع بملذات الدنيا عن الجهاد في سبيل الله حتى سلط الله علينا هذا الذل المهين .. فأي ذل أنكى ، وأي بلاء أشد وأدهى من غزونا في عقر دارنا ؟ وممن ؟ من شرذمة قليلة لم تكن في يوم من الأيام تفكر ولا بعشر معشار ما وصلت اليه من التقدم والتمكين .

ويهمنا هنا أيها الأخوة أن ندرك المخرج من هذه الورطة ، والنجاة من هذا البلاء .. أتدرون ما هو ؟ .. انه مراجعة ديننا .. نعم مراجعة ديننا فقط .. ديننا الذي بعدنا عنه في اعتقادنا ، وأقوالنا وأعمالنا ،

وتصرفاتنا .. فاذا راجعناه وتمسكنا به أدركنا النصر .. ولا طريق لنا بغير ذلك . فلن يكفي وجود السلاح بأيدينا ولا المال ولا الرجال ، ولا المؤيدين من الأمم .

ولن يغني كل ذلك شيئا الا بمراجعة الدين ، وثبات العقيدة ، والقتال عن ايمان ويقين ورغبة في الجهاد ومعرفة بالمآل .

فهل ينتبه المسلمون لذلك ؟ أرى أنهم فاعلون وانهم سينتصرون لا محالة ..

شجاعة الجندي المسلم :

كان القواد المسلمون حينما يقفون في المعركة يقدمون بين يديها هذه الخطبة مخاطبين أعداءهم :

« أما بعد فقد جئتكم بأناس يحبون الموت كما تحبون الحياة » .

هكذا كان أسلافنا ، وهكذا كان جنودنا . ان هذه الصرخة كافية لضمان النصر باذن الله . فاذا كان الجندي يحب الموت حبا كحب عدوه للحياة فسوف يقدم على الحرب ، ويصابر على القتال حتى ينتصر فيسعد في حياته ويسعد قومه من بعده ، وأما الشهادة وهي مطمح آمال الجندي المسلم فاذا استشهد فسوف يكون سعيدا في الدار الآخرة .

ترى أيها الأخ الكريم هل يتحلى جنودنا اليوم بهذه الصفة ؟ وهل يفخر قادتهم على أعدائهم ؟

انني متفائل .. ففي جنودنا خير ، وفيهم اقدام وشجاعة .

وسينتصرون بحول الله .

* * *

الرحيم بالمؤمنين

حينما أراد الله لهذه الأمة السعادة ، وكتب لها الخروج من الظلمات الى النور ، أرسل لها رسولا من جنسها ، يأكل مثل ما يأكلون ويشرب مثل ما يشربون لكنه يمتاز عنهم بصفات النبوة ، ويتحلى بأخلاق تجعله أهلا للقيادة ، ولهداية البشر .

فهو يهتم بأمور أمته . يفرح لفرحها ويأسف لمصيبتها ويعز عليه أن تلاقي أمته عنتا أو شدة في حياتها . يحرص عليهم حرصه على نفسه وولده ويتفقد كل انسان منهم ومن حرصه عليهم ، دأبه ليلا ونهارا على دعوتهم للخير ونهيهم عن الشر ، وتوضيح الحـق ، ومقابلته بالشر .

ويتناهى حرصه على أمته وحبه لهم .. حتى يصل الى الرحمة والرأفـة بالمؤمنين منهم ، والرحمة والرأفة خصلتان غاية في المودة والمحبة والشفقة ولن يتوافرا الا للرسل ولبعض الأمهات والآباء .

ويمتن الله عز وجل على أمته بهذا الرسول الذي هذه صفته فيقول :

« لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ » .

ومن كانت هذه صفاته فسوف يكون رســول بر وخير لأمته كلها قاصيها ودانيها ولن يرشدها الا الى سعادتها وهنائها . ولن ينهاها الا عما يضرها ويؤذيها .

ولذلك ارتبطت سعادة هذه الأمة وشقاؤها بمقدار أخذها بسنته وتعاليمه وبعدها عن حظيرته وتشريعاته .

فما قويت الا وكانت متمسكة بأهداف الدين مطبقة لأحكامه ، سائرة على مناهجه وما ذلت وتفرقت ، وهان شأنها الا وكانت في مكان لا تحسد عليه من البعد عن الله ، وضياع الفكر والرأي .

الحب شرط للايمان :

تحاول الأمم دائما أن تجد وسيلة توصلها الى مجتمع متحاب متعاون ، يشعر أفراده بالعلاقة الحقيقية بينهم ، يتفقون في العقيدة ، والفكرة والطريق والهدف .

وتحاول جاهدة أن تشحذ أفكار العلماء ، أو تستخلص نتائج الدراسات والتجارب ، ولكنها رغم كل امكاناتها لم تستطع الوصول الى ذرة من أمل .

ولكن مبدأ واحدا من مباديء الدين الاسلامي يقرر هذه الأمنية التي يحلم بها مفكرو العالم .

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

أخوة في الاسلام ، أخوة في العقيدة تجعل الفرد يشعر أنه جزء من أخيه يتوقف على حبه وايثاره ايمانه ، وقبول العمل منه .. وليس حبا معتادا أو اظهار شعور وعاطفة ولكنه حب متمكن يساوي محبة الرجل لنفسه ، ولا شيء في الدنيا أحب الى الانسان من نفسه .

علامة الود :

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

ثلاث تثبت الود في قلب أخيك .

الأولى : أن تبدأه بالسلام •

الثانية : أن توسع له في مجلسك •

الثالثة : أن تدعوه بأحسن الأسماء اليه •

هذه العلامات من سنن الاسلام التي انبنى عليها المجتمع الاسلامي الأول الذي كان عمر بن الخطاب أحد أفراده ثم كان أحد رجاله ثم كان أحد قادته وموجهيه •

كانوا أخوة متحابين يثبتون الود والمحبة في قلوب بعضهم كل يوم بل كل ساعة بل كل لحظة فاذا تقابلوا بدؤوا حديثهم بالسلام واذا ضمهم مجلس تفسحوا فيه وأوسعوا للقادم وقدموا الكبير وأخروا الصغير •

واذا دعا أحدهم أخاه تخير أفضل الأسماء والألقاب وأحبها الى قلب أخيه حتى يدخل السرور عليه ويفتح قلبه لتقبل ما يأتي به من الأمور وهكذا كانت علاقتهم دينا ومباديء ومثلا تبني المجتمع وتثبت دعائمه وتوطد أركانه حتى بلغوا القمة في التماسك والارتباط والاتحاد ونحن أحفادهم فهل نستطيع تقليدهم ؟ اننا مدعوون لذلك •



العلمـــــــاء

أثنى الله عز وجل على العلماء كثيرا •• ونوه بشأنهم ورفع منزلتهم •• وأكــد أنهم يدركون الأمــور ، ويعلمــون عن ربهــم أكثــر مــن غيرهم (إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) ولا شك أن الناس جميعا يخشون الله ويخافونه ، ولكن خشية العلمــاء ناتجة عن ادراك عظمة الله عــز وجل واستحقاقه للخشية والرهبة والرجاء والخضوع •

ويقارن الله عز وجل بين العلماء وغير العلماء بصيغة استفهام النفي فيقول :

(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ؟ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ) •

أيها الأخوة ان كثيرا منا يتلو هذه الآية ويرددها عند المناسبات •• ولكن القليل منا من يدرك المراد بها ، وموضع المفاضلة منها •

فهل المقصود بالعلماء من يعلم شيئا من الكتب أو أفواه الرجال ، أو جملة في ذهنة ، أو في مذكرته • وهل المقصــود من يتسمى بالعــلم وينتسب اليه ؟

وهل المقصود من يوصف بصفة العلم ؟ ان الجواب بالطبع سيكون •• لا وكلا • ان العالم الحقيقي هــو الذي يعلم العلم ويدرك حقائقه ثم يعمــل به ويهتدي بسببه ويظهر ذلك في نفسه وفي سلوكه ومعاملته للآخرين ، وصــدق حكمه على الأمور ، ونظرته للأشياء ، وارشــاده للناس ، فالعلماء

المقصودون هم الذين لهم عقول يدركون بهـا حقيقة العلم ، ويتذكرون ويعملون فيكونون بسبب ذلك علماء صدق ، ينتفعون بعلمهم وينفعون النـاس .

هل للعلم حدود :

العلم هو كل معرفة توصل الى حقيقة ، والعالم عندنا هو من يعلم شيئا ينتفع به هو ثم ينفع أمته وبني قومه .

وحدود العلم ألا يكون ضارا ... ومن هنا يأتي دور الاسلام في تفسير العلم فالعلم صفة طيبة لا تطلق الا على ما يزينها ويليق بها :

فالعـارف لربه عالم ، والمدرك لدينه عالم ، والمجيد لمهنته عالم ، والمـاهر بصنعته عالم .. وهو عضو في هيئة العلماء ، عليه واجب ، وهو مسئول في المجتمع الاسلامي مطالب باجادة الصنعة واتقان المصنوع .. فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

نعم ... العمل لا يكون حسنا ، ولا يكون له فائدة الا اذا كان متقنا مؤدا أحسن الأداء .

والمسلمون مدعوون لأن تكون كل أعمالهم متقنة في غاية الاتقان والإجادة والاحكام ما كان منها معنويا وما كان حسيا .. ولذلك كانت أمانة في عنق من يتولاها .

وكل ذلك من أجل قيام مجتمع اسـلامي مكتمل البنـاء ، أفراده متعاونون ، على ما ييسر لهم حيـاتهم ويسعدهم فيها ، كل في حـدود اختصاصه ومسئوليته .

ومن حدود العلم لدينا نخلص الى ناحية هامة وهى انتكاس العلم ووصـوله الى درجة التـدمير والخراب .. بأيدي صـانعي المدمرات

والمتفجرات •• فليس هؤلاء بعلماء ولا يستحقون أن يوصفوا بهذا الوصف الشريف الكبير ••

اللهم ارزقنا العلماء العاملين النافعين •

استعمال العلم :

قال رجل للمهلب أبي صفرة :

كيف بلغت هذه المنزلة ؟

فقال المهلب : انما كان ذلك بالعلم وحده •

فقال الرجل : « ولكني أرى غيرك لم يصل الى ما وصلت اليه وقد تعلم أكثر مما تعلمت ••• » !

فقال المهلب : « انما ذلك لأني استعملت علمي ولم أهمله بينما أهمله غيري ولم يستعمله » •

المهلب كلنا نعرفه قائدا محنكا فتح الفتوح ووطد الملك لعبد الملك ابن مروان ••• وكان عالما حسن التصرف يرضى عنه الضباط والجنود ، ويرضى عنه الحكام •

وقد بلغ في زمنه منزلة لا يطاولها أحد ولا يدانيها قائد •• ولا غرو فقد كان يجمع الى الشجاعة والاقدام العلم والحكمة •

ومن حكمته وادراكه أنه أدرك أن العلم لا يكون علما نافعا ولا يؤتي نتائجه الا اذا اتبع العالم القول بالعمل واستفاد مما حمل • ولعلنا ندرك من هذه الحكمة الصادرة من مجرب أن كثيرا من الناس يجهل حقيقة العلم فيظن أن من حمل علما سمى عالما ، ومن هنا أتى مجتمعنا اليوم فالعلماء كثيرون ، ولكن الفائدة قليلة والنتائج عكسية •

ويصف ابن الورد هذا المعنى فيقول :

وهكذا العلماء ان لم يعملوا فهمو شجر بلا أثمار

خطبــة نبــوية

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالخيف من منى وكان مما قال :

نضر الله امرءا سمع مقالتي فأداها كما سمعها فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن ، اخلاص العمل لله والنصيحة لولاة المسلمين ولزوم جماعتهم » .

خطبة لطيفة واضحة محصورة المعنى محدودة الكلمات وهكذا كانت خطب رسول الله يفهمها كل من يسمعها لا تحتاج الى شرح ولا ايضاح . وفيها مبادىء وقواعد تنظم الحياة وترسم الطريق .

وكل الخطب التي قرأت أو سمعت من خطب رسول الله ليس فيها طول مملول ولا قصر مذموم .

ولقد كان يقول صلى الله عليه وسلم : « ان قصر خطبة الرجل وطول صلاته مئنة من فقهه » .

وكنت أصيخ سمعي لخطباء اليوم أنتظر أن أسمع نقلا لخطبة من خطب رسول الله وتعليقا عليها ودعوة لفكرتها فلا أجد ذلك .

بل أجد طرفي نقيض : ففريق يوغل في الاختصار ولو بدون فائدة . وآخر يحاول التجديد .. فيسلك طريق الاسهاب ، والشرح والبيان والتفريع والتعليق حتى يغالب المستمعين النعاس ويداخلهم الضجر .. فيذهب طول الخطبة بجمالها ان وجد فيها جمال ويبقى الخطيب وحده يرفع عقيرته كأنه صائح في صحراء .

ان خطبة الجمعة مهمة بالنسبة للمسلمين والهدف منها مخاطبة الحاضرين وخروجهم بفائدة جديدة من كلام الخطيب .. لا أن يدخلوا ويخرجوا كما دخلوا .

فهل يدرك ذلك خطباؤنا ...

محو الأمية :

في زمننا هذا أجمع الناس على الرغبة في التعلم على اختلاف أعمارهم وأشكالهم ومشاربهم وأقبل الناس على العلم في كل أنواعه النافع منها والضار وسرى هذا على كبار السن ومن فاتهم ركب التعليم فراحوا يحثون الخطى للحاق بمن سبقهم وأخذ قسط من التعليم يمحون به أميتهم ، ويبعدون شبحها عنهم ، فمنهم من كان قصده العلم لذاته والبعد عن الجهل بعينه ومنهم من يقصد استكمال مقومات شخصيته والقضاء على ما يشعر به من نقص .

على أي فالعلم خير كله .. ويهمنا هنا أن نسجل حقيقة مهمة وهي أن أدعياء المدنية اليوم يرددون أنهم استطاعو أن يوجدوا وعيا في الحياة يجعل الشعور بالقضاء على الأمية أمرا متفقا عليه من الجميع والى هؤلاء نسوق هذه الحادثة :

« قال رجل من بني العباس للمأمون : أيحسن بمثلي طلب العلم اليوم ؟ قال نعم فوالله لأن تموت طالبا للعلم أزين بك من أن تموت قانعا بالجهل . فقال الى متى يحسن بي وقد تجاوزت الستين ؟ قال : ما حسنت بك الدنيا » .

هؤلاء هم أسلافنا ، وهؤلاء هم العرب والمسلمون ... يعنون بمحو الأمية ويدعون شيوخهم للانخراط في طلب العلم .

حلم وكرم :

الأحنف بن قيس حكيم من حكماء العرب الأفذاذ الذين ينشرون في الأرض الحلم والمعـروف ويكتبون بتصرفاتهم تاريخا قـد لا يعود .. ولا يدانيه فعل العظماء في كل الأزمان .

وهو مـع هـذا يجمع الى حلمه الحكمة والعقـل والانـاة والكرم والزعامة ...

وله صفة التواضع أيضا فقد سئل مرة هذا السؤال :

ممن تعلمت الحلم ؟ فقـال : تعلمته من قبل من عاصم المنقري . حضرته يوما وهو محتب يحدثنا اذ جاؤا بابن له قتيل وابن عم له كتيف فقالوا : هذا قتل ابنك هذا .

فلم ينقطع عن حديثه ، ولا حل حبوته حتى فرغ من قوله فالتفت اليهم وقال :

أرعبتم الفتى ثم أقبل عليه وقال : يا بني : نقصت عددك وأوهنت ركنك وفتت في عضدك ، وأشمت عدوك وأسأت الى قومك . ثم التفت الى قومه وقال :

أين ابني فلان ؟ فوقف بين يديه فقال له : يا بني قم الى ابن عمك فأطلقه ، والى أخيك فادفنه والى أم القتيل فاعطها مائة ناقة لأنها غريبة لعلها تسلو عنه .

أيها الأخوة .. ألا ترون أن في هذه الحادثة حل لمشكلات عالمية اليـوم ...

* * *

شرار النـــاس

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بشرار الناس • قالوا بلى يا رسول الله • قال : من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده ثم قال : ألا أنبئكم بشر من ذلك • قال : من لا يقيل عثرة ، ولا يقبل معذرة ، ولا يغفر ذنبا • ثم قال : ألا أنبئكم بشر من ذلك • قال : من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره • ثم قال : ألا أنبئكم بشر من ذلك • قالوا بلى يا رسول الله • قال : من يبغض الناس ويبغضونه » •

أسلوب تقريري ممتاز يسلكه رسول الله ليحذر أمته من صفات شرار الناس •• وهو بعد ، يقرر أن شرار الناس هم من لا يحبون الناس ، ولا يعملون لهم الخـــير ولا يطعمون الضيف ولا يحسنون الى العبـــد والخادم •

وتنتهي نتيجة شرار النـــاس هؤلاء الى أنهم يبغضـــون النـــاس ، ويبغضونهم الناس ، وهذا الخلق لا يرضاه الاسلام بل يريد أن يكون المسلمون فيما بينهم متحابين متعاونين على الخير سالكين أحسن السبل للعمل والتفـــاهم حتى يعيشوا بأمن وســـلام ويتفرغوا للعمل والكسب الحـــلال ••

ليت أبناء الاسلام يعون •

ما اشبه الليلة بالبارحة :

الى أولئك الذين يعزمون بالسفر الى الخارج ويجمعون كل قرش ليصرفوه في غير بلادهم •

ويرون أنهم بعملهم هذا قد حازوا قصب السبق على غيرهم نسوق أبياتا للبهاء زهير :

دخلت دارا غنيـــا	وليس حالي بخاف
فرحت أبسط كفي	وبالجـــزيل أكافي
وصرت أجمع شملي	بســالف وســلاف
وكل يــوم خــوان	من الجدي والخراف
صرفت ذاك جميعـا	هنــاك قبل انصرافي
وصرت فيهــا فقيرا	من ثروتي وعفــافي
وذا خروجي منهـا	جوعان عريان حافي

ولا نعلق عليها الا بهــذه الجملة : ما أشـبه الليلة بالبارحة والله لكأنه يحكي زماننا ...

المجالســة :

قال أحد الحكماء :

مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلب صدأ الذنوب ومجالسة ذوي المروءات تدل على مكارم الأخلاق ومجالسة العلمــاء تزكي النفوس ، ومجالسة السفهاء تذهب ببهاء العقل .

وقديما قال أسلافنا : المرء من جليسه .

ويقولون :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه	فكل قرين بالمقــارن يقتــدي

ليتنا اليوم نفرق بين الطيب والخبيث ، ونعلم أين نجلس ، ومن نجالس ، فقد اختلط الحابل بالنابل ، واستوى الماء والخشب .. ولم يبق مجال لأهل الفضل ... فذهب أهل المرؤة ، وزهد أهل الشر أصحاب الخير في خصالهم حتى أعرضوا عنه معللين ذلك بأنه أصبح لا يؤدي نتيجته ومهما يكن فاننا نتفاءل ، وندعو أهل الخلال الحميدة الى التمسك بها ، والعمل بها فلن يعدموا من يقدرها حق قدرها ، والخير والشر دائما كثير .

احب الناس الى رسول الله :

يربي رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته تربية الاهية تهدف الى اصلاحهم فكريا ، وسلوكيا ، وتعاملا مع الآخرين فيقول رسول الله :

« ان من أحبكم الى وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، وأن من أبغضكم الى وأبعدكم مني يوم القيامة :

الثرثارون

والمتشدقون

والمتفيهقون » .

لقد لامس رسول الله بكلماته اللطيفة الحياة كلها . الدنيا والآخرة .. وحرك المكامن من القلوب التي تهز المؤمنين وتؤثر في تقويم سلوكهم فالقرب والبعد منه هدف للمسلمين ، ولا سيما اذا كان يوم القيامة ... وتنال هذه المنزلة بحسن الخلق .. واما ضدها وهى البعد عنه فتكون لمن يتصف ، بكثرة الكلام الذي لا فائدة منه ، أو المتشدق والمتنطع بالكلام ليغير به الحقيقة أو المتفيهق المتكبر على عباد الله .

والمسلمون اذا حاولوا القرب من رسول الله سيبعدون بالطبع عن الصفات الرذيلة .. وهذا هدف من أهداف النبوة .

العمـــــل ...

يدعو الاسلام أبناءه دائما الى العمل والجد فيه ، والعيش من كسب اليد وعرق الجبين وهو يسلك في الدعوة لذلك طرقا متعددة .

فتارة يربط الجزاء والثواب بحسن العمل وضعفه . وتارة بمقدار جهــده واجتهاده .. وتارة بتفضيله على غيره من الأعمــال ، ووسائل الكسب .

وهذا نوع من هذه الأساليب :

« فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ .. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » .

نعم كل شيء مــن الأعمال يحصى .. وان كان مثاقيل الذر .. فــان كان خيرا وجده المرء في ميزان حسناته ، وان كان شرا وجده كذلك في حصيلة سيئاته .

والخير والشر هما نوعا العمل ، سواء كانا لنفس العامل أم لأهله أم ولده أم لجيرانه وبني قومه . وعلى كل انسان أن يقدر هذه النتيجة فيعمل لها .

الفضل ما شهدت به الأعداء :

قال كارليل :

« في الاســـلام خلة أراها من أشرف الخلال وأجلها وهى التسوية بين الناس وهذا يدل على أصدق النظر وأصــوب الرأي فنفس المؤمن راجحة بجميع دول الأرض والناس في الاسلام سواء ، والاسلام لا يكتفي

بجعل الصدقة سنة محبوبة بل يجعلها فرضا حتما على كل مسلم ، وقاعدة من قواعد الاسلام ثم يقدرها بالنسبة الى ثروة الرجل فتكون جزءا من أربعين من الثروة تعطى للفقراء والمساكين والمنكوبين •

جميل والله كل هذا •• وما هو الا صوت الانسانية صوت الرحمة والاخاء والمساواة يصيح من فؤاد ذلك الرجل ابن الصحراء والقفار » •

المرء حيث يجعل نفسه :

شاعر حكيم يصوغ تجاربه بشعور يعرضه في أبيات لطيفة قصيرة فيقول :

ولم أجد الانسان الا ابن سعيه ... فمن كان أسعى كان بالمجد أجدرا

وبالهمة العلياء ترقى الى العلى ... فمن كان أعلى همة كان أظهرا

ولم يتأخر من أراد تقدما ... ولم يتقدم من أراد تأخرا

نعم •• كل شيء بسبب عمل الانسان نفسه فليتخذ لها المكان الذي يرضاه لها •• فهو يضع مصيره بنفسه •

الدنيا والآخرة :

لم يكن أسلافنا وهم من نعلم عبادا صالحين يقومون الليل ، ويصومون كثيرا من الأيام •• لم يكونوا يغفلون عن الدنيا ولم يضيعوا حقهم فيها •• بل أنهم يرسمون للناس ، المباديء والمثل فهذا أحدهم من صحابة رسول الله يقول :

« اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » •

يبدو من ظاهر هذه الحكمة أنها تدعو الى الجمع بين النقيضين والصحيح أنها تحليل للحالين وحل للموقفين •

رحمهم الله لقد كانوا أسودا في النهار رهبانا في الليل فهل يجود لنا الزمن بمثلهم ؟

افكـــار ...

الخلق بطبيعتهم مختلفون في خلقهم وخلقهم ، وأفكارهم وعقولهم ، وكنتيجة لذلك تختلف نظرتهم للحياة وتختلف فكرتهم عن الآخرة .. ورغم أن الذي خلقهم وضح لهم الطريق ويسر لهم فهم الأمور .. فبسط لهم الحياة وشرح لهم الوضع في الآخرة .

لكنهم بشر .. فهذا يؤمل شيئا وذاك يؤمل سواه ، وهذا يحب أمرا والآخر يفضل غيره .

سواء أكان ذلك في الاعتقاد أو في السلوك أو الأمل . .وسواء أكان في الدنيا أم في الآخرة .

ولقد وصف الله تعالى هذه الأحوال الكامنة في نفوس الناس بقوله :

(فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَالَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ) . هؤلاء همهم الدنيا فقط فلا نصيب لهم من الآخرة .

(وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ .. أُلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا) .

الأولون لهم الدنيـا وهؤلاء لهم الدنيـا والآخرة وشـتان ما بين الفريقين ..

وهكذا يحرم الانسان نفسه من الخير .. والله عز وجل يرشـدنا ويدعونا الى الخير فاللهم اجعلنا من أهله .

العقـــل :

العقل هو حسن التفكير والتصرف والحكم على الأمور .

ولنا شاعر يصف أثر العقل في المجتمع والحياة فيقول :

يعـد رفيع القوم من كان عاقلا   وان لم يكن في قومـه بحسيب
وان حل أرضا عاش فيهـا بعقله   وما عاقـل في بلدة بغـريب

لن تقف فائدة العقل عند حد ولكنها نافعة في كل زمان ومكان فهو يغني عن النسب ويسـد النقص في الحسب وهو أيضـا يغني عن الأهل والصحب والجيران والوطن فالعاقل يملك من حسن التصرف ما يجعله يعيش في كل مكان ولو كان بعيدا عن قومه وبلاده وبني جنسه فهو يستطيع أن يجامل الناس ويبني معهم صداقات وعلاقات تجعله كأحدهم ، وتنسيه ألم الفراق وبعد الدار . ولا غرو فالعقل نعمة من الله وهبها الانسان وهى نعمة لا تساويها نعمة ... اللهم كبر نصيبنا من هذه النعمة .

النظرة الى القلوب :

روى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله لا ينظر الى أجسامكم ولا الى صوركم ، ولكن ينظر الى قلوبكم » .

مدار كل شيء على القلب ، وهو المضغة التي يدور عليها الجسد سواء في الحسيات أو في المعنويات والمقصود هنـا السنة التي حملهـا القلب والاعتقـاد ..

فمهما كبر الجسم وعظم وحسن في نظر العين ومهما جملت الصورة وطاب منظرها ، وأعجب الناظرين صاحبها فانه لا ميزان لها ولا قيمة لها اذا لم يواكبها عقيدة صادقة ونية خالصة من القلب .. فلن ينظر الله اليها ولن يكرم صاحبها ولن يكون لـه عنده منزلة بل ان رجـلا صغير الجسم ،

دميم الخلقة صادق النية طيب القلب ، خير وأحب الى الله وأدنى منزلة عنده من ذلك الكامل في جسمه وصورته .

فالى أولئك الذين مظاهرهم جميلة ، وبواطنهم خاوية فاسدة تضمر الشر والحقد على اخوانهم المؤمنين نسوق هذا الحديث الكريم ليعلموا أن الله مطلع على ما يضمرونه في قلوبهم مهما أسروا ذلك .

نحن وهم :

ورثنـــا المجد عن أباء صـــدق — أسأنا في جـــوارهم الصنيعـــا

اذ المجـــد الرفيع تعـــاورته — بنـــاة السوء أوشك أن يضيعا

زعيم من زعماء العرب شاعر حكيم هو معن بن أوس .. يعرف المجد الرفيع حقا ويدرك ما له من قيمة في الحياة ، وفي العلاقة الانسانية وكأنه وهو يصوغ هذا الشعور الحي يتصور الوضع الذي سيؤل اليه موقف الأمة العربية فبعد أن كانت هيبتهم ترهب الأفاق ، وشهرتهم تطبق المعمورة أصبحوا اليوم في المؤخرة وذهبت ريحهم وضعفت معنويتهم ، ونسوا أخلاقهم وسبب ذلك أهل السوء والشر وأدعياء التحلل والزهـــد في القديم .. اللهم أعد لنا مجدنا .. واكبت عدونا .

انك على كل شيء قدير .

الشـــورى

مبدأ من المبـاديء الاسلامية التي كانت أساسا في قيـام المجتمع الاسلامي دعا اليها القرآن وطبقها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعماله وحكمه ودعوته .

يقول الله تعالى في معرض ثنائه على المؤمنين :

(وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) .

ويقول في تعاليمه لنبيه : (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) .

وقد أثبتت التجارب على مر الزمن أن أنواع الحكم كلها لم تنجح كما نجح حكم الشورى .. والشورى كلها خير سواء أكانت على مستوى الأفراد وحاجات المرء الشخصية أم على مســتوى الجماعة وتعاونهم مع بعضهم ... الى جانب كونها تعاوننا وتحابا فهي قوة وتأييد وخروج من الحـيرة .

وربما كان الرأي عند من لا يظن به الرأي ورب حامل فقه غير فقيه .

الشورى عند بشار :

اذا بلغ الرأي المشـورة فاستعن ... برأي نصـيح أو نصيحـة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... فـان الخـوافي قـوة للقـوادم

قال الأصمعي قلت لبشار :

يا أبا معاذ : ان النـاس يعجبون من أبياتك في المشورة فقال لي : يا أبا سعيد ان المشاور بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشاركه في مكروهه . فقلت له : والله لأنت في قولك هذا أشعر منك في شعرك .

ان مثل هذين البيتين من البلاغة ووضوح المعنى بحيث لا يحتاجان الى تعليق ولعل اجابته للأصمعي تعني أنه قال هذه الحكمة وهو يعي معناها ، ويعرف مؤداها .

وناهيك باستحسان الناقد الخبير أبي سعيد الأصمعي فقد أعجب بالشعر ثم أعجب بالشعور .

العمر بين ساعتين :

لم يدر طعـم العيش شبـ ـان ولم يـدركه شـيب
جهـل يضـل قوى الفتى فتطيش ، والمـرمى قـريب
وقـوى تخـور اذا تشبـ ـث بالقوى الشـيخ الأريب
فيمـا يقـال كبـا المغفـ ـل اذ يقال خبـا اللبيب
أواه لو عـلم الشـبا ب وأه لو قـدر المشيب

هى ساعتان ينقضي عمـر الانسـان بينهما ، و (اسماعيل صـبري) يصف هاتين الساعتين ، وموقف الشـباب والشيوخ منهما ، فالشـباب يجهلون ، والشيوخ لا يقدرون ولهؤلاء وهؤلاء ساعات لهو يتلهون بهـا ، وتفرحهم الأماني الحلوة حتى يفيقوا على الحقيقة المرة .. التي هى عدم القدرة ثم انقضاء الأجل .

وهكذا الحياة .. فما هي الا ساعتان والمرء بينهما .. وكلنا ذلك الرجل والفرق بيننا هو الأثر الذي يتركه المرء .. من خير يسديه للناس أو علم ينقـذ به جاهلا .. أو معروفا يهبه لمحتاج .. والا فكل من على البسيطة سيعيش المدى الذي كتب الله له .

فاللهم بارك في أعمارنا .

هـاذم اللذات :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثروا من ذكر هاذم اللذات » ـ يعني الموت ـ تلك تربية نبوية أراد بها رسول الله كبح جماح النفوس وصدها عن غيها وردها عن بعدها عن الله ، وتماديها في التمتع بملذات الدنيـا .

اننا نعيش في هذا الزمن ـ وكله نعمة وهناء ـ ولكن هذه النعمة تبعدنا عن التفكير في المـآل وقرب الأجل ، فلو أن أحدنا عمل بأمر رسول الله وخطر الموت على باله ولو مرة كل يوم .. لو عملنا ذلك لاختلفت نظرتنا للحياة ولتصرفنا تصرفا أفضل مما نحن فيه اليوم .

فالموت غاية كل حي ـ لا يشك انسان في ذلك ـ ولكن حب الدنيا وطول الأمل يخفي عن ابن آدم هذه الحقيقة المسلم بها .. ولله في ذلك حكمـة ...

* ● *

قسمة الأرزاق

« وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَـٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ » .

كل الوجود دليل على وجود الله وعلى قدرته وعلمه بما كان وما يكون . والحياة كذلك كلها تصديق لهذه الحقيقة .. وباستعراض سريع لحياة الناس ندرك أن الأرزاق بينهم مقسومة حسب خطة مقدرة من خالقهم .. فهذا غني وذاك فقير . وهذا راض وذلك متضايق لا يقنع بما قسم الله له .

والله عز وجل هو الخبير البصير بكل واحد منهم ، وهو الذي يعلم أنه لو بسط لهم الرزق ووسعه عليهم لبغوا في الأرض وتجاوزوا حدود المعقول وظلموا عباد الله وغمطوهم حقهم .

ولارادته عز وجل أن يعيش الناس في هذه الحياة متساوين في اتاحة الفرصة لهم وفي طلب الغنى والرزق نزل بقدره ما شاء من الأرزاق مما يعلم أنه يبقي هذه الحياة متماسكة الى الأجل الذي يريده .

اللهم لا تعذبنا بسبب بغينا .. فان فينا من يبغي في الأرض دون أن يبسط عليه الرزق فكيف به لو بسط له الرزق ؟

الحــــرص :

يوجد أناس يقتلهم الحرص ويقضي عليهم الطمع فلا يفتئون يفكرون ويوسوسون ويتضايقون حبا في جمع الأموال ، وتكديسها ولو لم يكن لهم بها حاجة وآخرون يحسدون اخوانهم ممن أدركوا قسطا من المــال •

والى هؤلاء وهؤلاء نورد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان رزق الله لا يجره حرص حريص ولا ترده كراهية كاره » •

قــدر العــلم :

سمع أحد العلماء رجلا ينشد هذا البيت :

استودع العلم قرطاسا فضيعه وبئس مستودع العلم القراطيس

فقال : ما أشد صبابة القائل بالعلم وصيانته للحفظ •• ان علمك من روحك ، ومالك من بدنك •• فصن علمــك صيانتك روحــك ، ومالك صيانتك بدنك •

لقد تمنيت وأنا أقرأ هذا البيت والتعليق عليه أن يرى ذلك العالم زماننا اليوم ، الذي ضيع فيه العلم كثير من الناس وزهدوا به وألهتهم الدنيا عن حلاوة العــلم والأدب •• فصارت المجالس بلقعا من البحوث العلمية أو حتى القراءة في الكتب والقصص النافعة •

فما تراه قائلا •• انه سيسكت عن القول من هول الصدمة •

اننا اليوم نصون مالنا ولكنا لا نصون علمنا ولا حتى نحترم العلماء والمتعلمين •

اللحن :

« كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أبي موسى الأشعري وقد قرأ في كتابه لحنا فقال له : قنع كاتبك سوطا » •

رحمك الله يا أبا حفص انك لغيور حتى على اللغة .. تكره اللحن واللحانين وتجازي على اللحن بالضرب انك على حق يا أبا عبد الله فهل يجدر بقاض أن يصدر منه كتاب فيه لحن ؟ لا والله .

وليتك ترى زمننا اليوم ... ان اللحن قد فشا وتجاوز حد المألوف فلا تجد الا النادرين ممن يعنون بكتاباتهم ، وبحديثهم ، فيبعدون عن اللحن ويصححون الخطأ .

بماذا نراك مجازيا هؤلاء ؟ هل يكفي ضربهم ؟ أعتقد انك ستفصلهم من وظائفهم وتحرمهم من أعمالهم حتى يقوموا ألسنتهم ، ويعدلوا أقلامهم ويصونوا لغتهم ويحافظوا عليها .

ايه يا ابن الخطاب لقد ماتت « درتك » معك فلن تعلو الآن رأس أحد .. واللحانون أصبحوا بمأمن منها .. فراحوا يتلاعبون بالألفاظ ما حلا لهم اللعب !!

فمتى يعربون ؟



الحيـــاة الدنيـــا

« إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ، وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ، أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْس ، كَذَلِكَ نفصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون » .

نحن جميعا نعيش في هذه الحياة .. ولكن كثيرا منا لا يدرك حقيقتها .. انها تبدو واضحة في هذا المثل الذي ضربه الله عز وجل .. وانها لكذلك فما تكاد تحلو وتبلغ النهاية في الجمال واللذة والسعادة وينعم بها أهلها ، ويغترون بها حتى تنقلب عليهم في لحظة واحدة ويتغير صفوها الى كدر ولذتها الى ألم .. ونضرتها الى كدرة وندم .

ولكن لا يدرك ذلك الا الذين يفكرون ويتدبرون الأمور ويعرفون مبادئها وسيرها وتنائجها وأولئك قليلون .

ان هذه الأمثال التي يضربها الله عز وجل للمؤمنين .. تعني التنبيه للأمور وادراك حقيقة الدنيا وليست تعني الزهد فيها وتركها .. أو القعود عن السعي فيها والنيل من خيراتها .. ولكنها تعني الأخذ منها والحذر من تقلباتها . واذا أخذها المؤمن بهذه النظرة استفاد منها وأفاد .. ورضى عن نفسه وأرضى ربه . ونفع اخوانه المؤمنين .

اللهم ارزقنا الفهم والعمل .

الحسنات والسيئات :

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى : قال : ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك . فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله تبارك وتعالى عنده حسنة كاملة . وان هم بها فعملها كتبها الله عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة .. وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة . وان هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة .

اللهم لك الحمد أنت الكريم الجواد .

ونحن الضعفاء المحتاجون لكرمك وجودك .. وقد أعطيتنا من فضلك الشيء الكثير وفتحت أمامنا المجال للعمل .. فأعطيتنا الجزاء على النية .. وضاعفت لنا العمل القليل الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة غير محدودة .. وتجاوزت عنا فيما نهم به من الذنوب والمعاصي وهونت عقوبتنا عليها ان نحن عملناها .

سبحانك اللهم انك لم تدع لنا مجالا للعذر أو التعليل .. فاللهم اهدنا الطريق الأقوم وارض عنا انك غفور رحيم ..

اعتـــذار :

كتب ابن الرومي رسالة بخط يده الى أبي الحسن محمد بن أبي سلامة .. فوجد فيها لحنا ، فاحتبس الكتابة عن ابن الرومي وكان صديقا له فقلق لذلك .. وحرص على معرفة السبب .. وعندما علم به كتب هذه الأبيات :

ألا أيها الموسوم باسم وكنية ... وجدناهما اشتقا من الحمد والحسن
أتبخل بالقرطاس والخط عن أخ ... وكفاك أندى بالعطاء من المزن
أيغلق عني علمه بكتابه ... أخ لي وقلبي عنده علق الرهن
عطفناك فاعطف ان كل ابن حرة ... أخو مكسر صلب وذو معطف لين
وان سقطاتي في كتابي تتابعت ... فلا تلمني فيما جنيت على ذهن

تلكم كانت مواضع رسائلهم ، ومجال عتابهم ، واعتذارهم فهل يحمل البريد في رسائلنا اليوم ما يحلو من الأدب •• والعلم ؟ ويروح عن النفس ملل الدنيا ووصابها ويبعد بها عن المـادة البحتة ••

لقد فقد هـذا اللون من الأدب والذوق ومناظرة الاخوان •• وصـار كل همنا الدنيا وشغلتنا حوادثها عن كل لذيذ طريف مـن المعانى السامية •• ولا غرو فالمدنية لها ثمن ••• وهذا من ثمنها •••

بلاغـــة :

كان الخليفة المـأمون جالسا في بعض جلساته فدخل عليه أحـد جلسائه العلماء فوجد في يده كتابا يردد النظر فيه ويطيل •• وهو منصرف عن الجالسين فسلم عليه بالخلافة وجلس •• وبعد فترة التفت اليه المـأمون وقال له : أظنك قد أفكرت في ترداذي النظر في هذا الكتاب ؟ قال قد أفكرت في ذلك • قال : اني عجبت من بلاغة القائد عمرو بن مسعدة ، واحتياله لمراده فقد كتب هذا الكتاب وناوله اياه فقرأه •

كان هذا نصه :

« كتابي الى أمير المؤمنين ــ أعزه الله ــ ومن قبلي من قواده وأجناده في الطاعة والانقياد على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم » •

ثم قال المـأمون : ألا ترى الى ادماجه الخلة في الأجنـاد واعفائه سلطانه من الاكثار ••

فقال : بلى والله لقد أجاد وعبر عن المراد •

فقال : المأمون لقـد أمرت لهم بالأرزاق وضاعفتها •

نعـــم الله

« وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَـةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ★ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ★ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ » .

لا ينكر أحد من الخلق أن النعم الكثيرة التي يتمتع بها هى من الله وأن الخلق جميعا بحاجة الى ربهم كل وقت وحين •• وحين يصيبهم الضر فلا ملجأ ولا مفر الا الى الله •• ولكننا سرعان ما ننسى كل هذا اذا نحن تمتعنا بنعم الله ، وأنسنا بملذتها وراحتها وهناك يغيب عنا شبح الضرر والضيق فنتمادى الى جحد نعمة الله • والبعد عنه وعدم شكره وهكذا فالناس أشكال وألوان حتى في معاملتهم مع ربهم •

ولكنه أرحم بعباده •

الأهـــداف :

قال علي رضى الله عنه :

لا يكن أفضل ما نلت من دنياك في نفسك بلوغ لذة أو شفاء غيظ ، ولكن اطفاء باطن واحياء حق •

لله أنت يا أبا الحسن انك لبطل وعالم وحكيم تحب للناس الخير • فهل يسمعك الناس • انهم مع الأسف لا ينظرون للدنيا الا من هذه الزاوية

فاما فائدة خاصة لهم ، واما اضرار بالآخرين ، وهم مدفوعون الى ذلك بكل قوة وانصراف عن الأهداف الحميدة •• التي هى اطفاء باطل •• أو احياء حق •

بل ان كثيرا منهم هداهم الله يتركون الباطل ويسهلون أمر نفاذه ، ويسعون بقولهم وفعلهم الى اماتة الحق •

الا القليل النادر •

خطبـــة :

الى الخطباء الكرام نورد جزءا يسيرا من خطبة للامام علي رضى الله عنه يقول :

خمس خذوهن عني : لا يرجون عبد الا ربه ، ولا يخافن الا ذنبه ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم ، ولا يستحي اذا سئل عما لا يعلم أن يقول : الله أعلم •

واعلموا أن منزلة الصبر من الايمان كمنزلة الرأس من الجسد فاذا ذهب الرأس ذهب الجسد ، واذا ذهب الصبر ذهب الايمان •

جمل واضحة المعنى ، محدودة الألفاظ لا تحتاج الى عت وعجن ، وروحة وجيئة لتوضيح معناها وبيان مدلولها ، وايصالها الى أفهام الناس ورغم قصرها فهى متعددة المعاني واسعة الفائدة • وهكذا كانت خطبهم •

عملنـــاه لله :

عندما قام المجتمع الاسلامي في المدينة المنورة كانت الحالة المـادية لديه ضعيفة ، وكان الصحابة رضى الله عنهم يقاسون شـدة وقلة يد •• ولكنهم صابرون محتسبون •

ثم فتح الله الفتوح على المسلمين فوسع الله أرزاقهم وجاءتهم الدنيا وهى راغمة .. ولقد حدثت هذه القصة في عهد أبي بكر رضى الله عنه :

جاء مال من البحرين فقسمه فأخذ الرجل عشرة دراهم والمرأة كذلك والعبد كذلك .. وجاء في العام الثاني أكثر من ذلك فأصابهم عشرون درهما لكل واحد منهم .. فتكلمت الأنصار في ذلك فقالوا :
نصرنا وآوينا فلنا فضلنا فلم تساو بيننا وبين من ليس له شيء مما لنا ؟ فقال أبو بكر صدقتم ذاك لكم فان كنتم عملتموه لله فدعوا هذا وان كنتم فعلتموه لغيره زدتكم . فقالوا : عملناه لله وانصرفوا .

ثم رقى أبو بكر المنبر وقال :

والله يا معشر الأنصار لو شئتم أن تقولوا انا آويناكم وشاركناكم في أموالنا ونصرناكم بأنفسنا لقلتم . وان لكم من الفضل مالا نحصيه عددا وان طال به الأمد فنحن وأنتم كما قال الغنوي :

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت ... بنا نعلنا في الواطئين فزلت

أبو أن يملونا ولو أن أمنا ... تلاقي الذي يلقون منا لملت

هم أسكنونا في ظلال بيوتهم ... ظلال بيوت أدفأت وأكنت

رحم الله المهاجرين والأنصار ...

ورضى الله عنك يا أبا بكر فلقد حللت المشكلة وأرضيت الجميع .

* * *

كنتم خير أمة

وصف الله أمة محمد بأنهم خير الأمم ولكن بماذا ؟ ألأنهم شريفو النسب ؟ أم لأنهم عرب ؟ أم لأنهم أقوياء ؟

فلنستمع الى السبب :

« كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ » .

اذن السبب في أن أمة محمد خير الأمم هو أنها تأمر بالمعروف وتدعو الى الخير وتوجه الناس الى ما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم .

وانها أيضا تنهي عن المنكر وتكره الشر وتحذر الناس عن القرب منه أو ارتكابه .. وهى مع حبها للناس ومحاولة ارشادهم الى سعادتهم تؤمن بالله وتعرفه حقيقة فتعمل على ضوء تعاليمه وتهتدي بهديه .. وتسعى للقرب منه .

ولقد فهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في هذه الآية فهما خاصا حيث قال :

ان الله قال : كنتم خير أمة .. ولم يقل انكم خير أمة ، أو أنتم خير أمة .

لأنه يقصد بذلك الوصف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فهو يعلم ان الأمة ستتغير ، وسيخالف آخرها ما عليه أولها ، وسيبعد كثير منهم عن تعاليم رسول الله ونهجه ... اللهم لا تحرمنا القرب منك ومن رسولك بسبب عملنا .

الجـــديد :

« من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » •

نقلت عائشة رضى الله عنها هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ••• فهل تدرون أيها الأخوة ما المقصود بهذا الحديث ؟

انه مبدأ من المباديء الاسلامية عليه يكون ميزان الأمور وبه يسكن الحكم على الجديد فالدنيا كلها جديدة وكل يوم تلد الدنيا جديدا •• فكيف يأخذ المسلمون بهذا الجديد ؟

ان المسلمين مدعوون للأخذ بكل طيب من الدنيا والمشاركة في متعها وسعادتها ••• ولكن على هذا الأساس •

الأساس هو عرض هذا الجديد على الشريعة الاسلامية ، فان كان يواكبها ••• ويسير على نهجها أو حتى لا يخالفها جاز الأخذ به والاستفادة منه وقبوله ، والعمل به •

وان كان يعارضها أو يخدش مبادئها أو يناقض قواعدها ••• وجب الابتعاد عنه ووجب رده والامتناع من قبوله •

وهذه قاعدة ثابتة مريحة تجعل المسلمين لا يتوقفون في شيء من أمور الحياة ولا يحارون في مسألة من المسائل فالحق أبلج والباطل لجلج • وللمسلم ذوق وادراك ، ومعرفة ، وتمييز تجعله قادرا على التفريق بين بين الخبيث والطيب والخير والشر •• فلك الحمد يا ربنـــا على فضلك ومعروفك •••

عزة النفس :

« كتب رجل الى المهدي كتابا ووقعه بهذه العبارة (عبدك فلان) فقال المهدي لا أعلمن أحدا نسب نفســه الى عبودية في كتابة أو عنوان فانه ملق كاذب ، وليس يقبله الا غبى أو متكبر » •

ان هذا بلاغ أصدره المهدي ليعود الناس على الكرامة والعزة ، وعدم مذلتهم لأنفسهم وحفظ ماء الوجه .. وصراحة أعلنها المهدي ليقطع الطريق أمام المادحين والمتملقين وهو بذلك أراح نفسه من رسائل الكاذبين والمظهرين خلاف ما يبطنون .

انها تربية وأي تربية .. وصراحة في موضعها .

ما قل ودل :

من القول ما يكفي المصيب قليله ... ومنه الذي لا يكتفي الدهر قائله
يصد عن المعنى فينزل ماتحا ... ويذهب في التقصير منه تطاوله
فلا تك مكثارا تزيد على الذي ... عنيت به في خطب أمر تزاوله

ليت أولئك الثرثارين يعون هذا ، فيقللون من كلامهم ويريحوا آذان وأعين المستمعين والقراء .. حتى يتفرغوا لما ينفع ويفيد .

ولكن كل أمريء في رأيه معجب .. ولله في خلقه شئون .

وقد عنى أحمد بن اسماعيل الكاتب هذا المعنى حينما قال :

خير الكلام قليل ... على كثير دليل
والعي معنى قصير ... يحويه لفظ طويل
وفي الكلام فضول ... وفيه قال وقيل

* * *

الحســـنة والســـيئة

الحســنة والســيئة :

الخير والشر معروفان لدي كل أحــد ... وهما أمــران مســتقران في النفوس ، وفي أصل الفطرة البشرية لكن الله عز وجل جعل لدى المرء قدرة على ادراكهما ، وجعل له قوة على التحكم في نوازعــه ليسلك ما يريد منهما وهو بقــول :

(وَلاَ تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن فَإِذَا الذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) .

نعم بينهما كما بين الثرى والثريا .. فالخير فيه نفع شخصى وفيه راحة نفسية وفيه نفع عــام لكل الناس ، والشر فيــه اضرار بالنفس ، وتسلط على الآخرين .

وهنــا يأتي دور الخير والشر في العلاقات الانسانية .. فهما سبب للحب والبغض والصداقة والعداوة فاذا أحسنت الى انسان واذا عاملته معاملة كريمة وصلت الى قلبه وأحللت محل العداوة الصداقة وملأت قلبه محبة بعد أن كان مليئا بالبغض والعداوة ..

ولعــل التعبير بولى وحميم ... يدل على المدى البعيــد الذى تورثه الحسنة ويؤديه المعروف .

ولا شك أن للاحسان أثــرا في النفس يتمكن منهــا فيهزها حتى يغيرها ويجعلها تميل الى من أحسن اليها ... حتى يشعر صاحبها أنه مــن أقــرب

الناس الى مـن أحسن اليه يواليه ويخلص له ويحبه ويميل اليه وهـذا علاج نفسانى من الذى خلق الناس وهو أعلم بهم •

البنيـــــان :

البنيـان ••• مهما كانت مادته ومهما كان نوع بناته ومهما كانت قدرة بانيه يصبح متماسكا قويا •• يظل أعواما طويلة يتحمل الحـر والقـر والمطر والرياح والسكان واثقالهم •

ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا لعلاقة المؤمنين وترابطهم وقوة اتصالهم وتعاونهم بالبنيان فقال :

(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) •

ولعل هذا التعبير من الوضوح بحيث يدرك كل سامع له مدى القـوة التى تكون بين المؤمنين ••• فليس فيها فواصل وليس بها فوارق بل هي جزء واحد لهـدف واحد •

وعلى كل منا أن يتعرف على نفسه ليعلم مقدار قوته في هذا البناء وشدة تحمله لبقـاء البنيـان •

جــــواب :

كتب ملك الروم كتابا الى المعتصم يتهدده فيـه فأمر بجوابه ••• فلما قرئت الأجوبة عليه لم يرضها وقال للكاتب (أكتب) فأملى عليه •

« أما بعـد فقـد قرأت كتابك ، وسمعت خطابك والجواب ما تـرى لا ما تسمع » •

ما أحوج المسلمين الى جواب عملي لا قولي •

وما أحوجهم الى مثل هـذه المبادرة •

لقد جربوا كثيرا ... وتحدثوا أكثر ... ولم يبق سوى العمل ، وأنعم بـه من جواب ، وأكرم بـه من رد .

اننا أمـة مدعوون في ديننـا الى العمل .. العمل النافع القـوى الذي يوصل الى نتيجـة .

ووالله ان عدونا يعلم ذلك مـن ديننا ولكنه يسعي جاهدا لصدنا عنـه فيشغلنا بأمور يفتعلها حتى لا تتفرغ له ... فهل تعى الأمة الاسلامية هذا .. أنني متفائل ومنتظر لوعد الله بالنصر وما ذلك على الله بعزيز .

الـــرأى :

يعلى « الأفوه الأودى » من شأن الرأى والعقل ويرى أنه لا بد منـه لكل شئون الحياة .. فيقول :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم	ولا سراة اذا جهـالهم سـادوا
تبقى الأمور بأهل الرأى ما صلحت	فـان تولـت فبالاشرار تنقـاد
والبيت لا يبتنى الا لـه عمـد	ولا عمـاد اذا لـم تـرس أوتـاد
فـان تجمـع أوتـاد وأعمـدة	وساكن بلغـوا الأمـر الذى كادوا

الوصول للهدف لـه شروط معينة أهمها الكفاءة والتعـاون ، وأناس يعملون وينفذون .. وهكذا يـأتي الشعر التصويرى مـن العـرب الاقحاح ويبرهن الشعر العربي بهذا النوع من الأدب على أن ما ينسب اليه من نقص انما هو منه براء ... فهو يحوى كل أنواع الأدب وفنونه ؟ ..

الصـــديق :

رب أخ لك لم تلده أمـك ...

لا شك أن ذلك المثل العربي ينطبق على بعض الأصدقاء ... ويعنى أنه

قــد يوجد صديق يبلغ من حبه واخلاصه وتفانيه في خدمــة صديقه مبلــغ الاخوة ••• ولعل قائل هذا المثل كان متفائلا بعكس الشاعر الذى يقول : —

أنى رأيــت المســتحيل ثــلاثة الغــول والعنقــاء والخــل الوفي

ونحن نقول : أنه لن يخلو زمان من وجود خــل وفي ولكنه قليل •• • والخيار قليل •

ورغم طغيان المادة على زمننا الحاضر فانه توجد حالات تبلغ فيها الصداقة مبلغ الأخوة أو تدانيها •

وعلى كل منــا أن يبحث عنهــا ••



الرحمــــة

عنى الاسلام عناية خاصة في حفظ أواصر الترابط والاتصال ، وفي تدعيم القرابة والرحم ••• وذلك حرصا منه على بقاء البشرية وعلى سير الحياة سيرا حسنا ليمكن العيش على هذه الأرض وليتفرغ البشر للبناء والانتاج •

ويبرز هذا المعنى في تعبير بليغ قوى حيث يقول الله تعالى :

(فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ).

فمهما بلغ علماء الاجتماع ومهما حاول البلغاء أن يعبروا عن أثر التباعد وقطع الأرحام لن يصلوا أو يدانوا التعبير بأنه فساد في الأرض •• تعم قطعية

الرحم تورث الفساد في الأرض لأنه اذا فقدت الصلة والمودة والاخلاص فقد العمل وانقضى التفرغ لعمارة الأرض واصلاحها ومن ثم فسدت وفسد المجتمع الذي يعيش عليها .

واذا فهمنا هذه الحقيقة وتلكم الظاهرة أمكن أن ندرك جزاء القاطعين للرحم والعاقين للقربي .. وهو اللعن ، والصمم والعمي ... سواء منا الحسى والمعنوى ...

اللهم أحفظ علينا العلاقة بيننا وأجعلنا من الواصلين ولا تجعلنا من القاطعين .

الصدقة :

جاء الاسلام بكل أنواع المعروف ودعى الى الخير في كل وقت .. وجعل الطريق اليه سهلا ميسورا .. ومن هذا الطريق أمر سهل عند أول وهلة عظيم عند التحقق والادراك .. وهو جملة من حديث نبوى .. هي :

(.. واماطة الأذى عن الطريق صدقة ..)

ابعاد ما يؤذى الناس ويضايقهم من الملموس والمشموم والمنظر المؤذى والحائل بينهم وبين حاجتهم ، وكل ما يمكن أن يشاهد في الطريق مما يؤذى كلهم صدقة ..

وعكس ذلك خطيئة واساءة الى النفس ... وهو احداث ما يؤذى الناس في طرقاتهم .

فهل يدرك ذلك أولئك الناس الذين لم يكتفوا بعدم اماطة الأذى عن الطريق بل راحوا يضعون أنواع الأذى .. في طريق اخوانهم .. غير مبالين بشعور الآخرين ... وغير مقدرين لأثر ذلك على النفوس .. وكأنهم في صحراء لا يجاورهم فيها أحد .

أن أولئك لا يعرفون الصـــدقة ••• ولا يقدرون المعروف ••• ولـكنهم يعيشون ليأكلوا ولا يهمهم بعد ذلك ما وراء الأكل •• فاللهم أجعلهم قليلين في مجتمعنا ••

العــلم :

العــلم مبلــغ قــوم ذروة الشرف   وصاحب العلم محفوظ من التلف
يا صاحب العــلم مهــلا لا تدنسه   بالمويقــات فما للعلم مـــن خلف
العــلم يرفــع بيتــا لا عمــاد لــه   والجهل يهدم بيت العز والشرف

أكثر الناس ، أو كلهم يحفظون البيت الثالث من هذه الأبيات ••• ولكن القليل منهم هو الذى يقرأ البيتين الأولين •

ولا يختلف اثنان في أن فضل العلم عظيم وكبير ولا يقــدر بثمن ولـكن نحب هنا أن ننبه الى أمر مهم في الموضوع وهو أن العلم المقصود هنا كل علم نافع •• مهما اختلف مجال تخصصه فاذا لم يطبقه صاحبه واذا لم يصـنه كان ويالا عليه ومؤديا تنيجة عكسية ضــارة •

فالمعلم اذا لم يخلص في تعليمه يضر بتلاميذه •

والطبيب اذا لــم يخلــص أضــر بمريضــه •

والمهنــدس اذا لــم يخلــص أفســد آلتــه •

والمزارع اذا لم يخلص لم ينبت زرعه ولم يستفد من حقله •

وهـكذا كل أمر ينبنى على الاخلاص وتقدير العلم والحرص على النتيجة •

والعلماء هم أعظم الناس ادراكا لهذه الحقيقة •

عجـــوز :

كان المهدى يسير في الطريق فمر بعجوز ثابتة الخطى فوقف عليها وسلم ثم قال :

ممن العجوز ؟ •

قالت : من طي •

قال : ما منع طيئا أن يكون فيها رجل مثل حاتم •

قالت : الذى منـع العرب أن يكون فيها آخـر مثلك • فأعجب بقولها ووصلها •

وعجـوز :

مـر عبد الملك بن مروان بشيخ كبير يغرس نخـلا فقال له •• كم عمر الشيخ ؟ فقال مـائة وعشرون •• فقال : كيف تغرس نخلا وأنت شيخ كبير •• فقال : يرحم الله الأمير •• غرسوا فأكلنا ونغرس ليأكلوا ••

فأعجب بجوابه ••• وأحسن جـائزته

كمال المرء في خلال ثلاث : معاشرة أهل الرأى والفطنة ، ومداراة الناس بالمعاشرة الجميلة ، والاقتصاد من بخل واسراف ••

هـذه الخلال الثلاث هي جمـاع الفضائل ففيهـا المجالسة والمجاملة ، والاقتصاد ، والاعتدال •

وهل لا يزال الناس يبحثون عن الكمال ؟ ••

نعم أنهم يبحثون عن الكمال ولكن الاعراف قد اختلفت والافكار قـد

قال أحـد الحكماء :

تغيرت فما كان كمالا في وقت مضى قد يكون نقصا في وقت آخر .. وما يكون حسنا في وقت يصبح قبيحا في وقت لاحق ..

ولكل زمـان آيـة ..

تواضـــع :

تواضـع تكن كالنجم لاح لنـاظر   على صفحات المـاء وهو رفيـع
ولا تك كالدخـان يعلـو بنفسـه   على طبقـات الجو وهو وضـيع

المظاهر والتظاهر لا أثر لها ولا بقاء لها ... مهما حاول المرء أن يبـدو على غير طبعه ... فانه لا يبقى سوى الحقيقة .

والادعاء نهج غير سليم ... ودأبه غير مأمون ولن يوصل الى طريق ... الواقعية هى التى يرتاح صاحبها ويستريح .

* * *

المعيـار الصحيح

المقاييس والمعايير تختلف في نظر كل فـرد مـن الناس وهي في الغالب محصورة في المظاهر ، ولذات الدنيا ، والمرء مهما بلغ فعاطفته هي التى تملى عليه آماله آلامه ولو أننا حاولنا أن نجري احصاءا لآراء مجموعة من الناس لما وصلنا الى نتيجة واحدة ثابتة ولما وصلنا الى الرأى الأصـوب لاختـلاف الأفكار والنزعات .

ولعل كثيرا من الناس يغتر بما آتاه الله مـن المال والولد ويظن أنه أنما أوتي ذلك لأمر يخصه أو صفة يمتاز بها .. وقد يصرفه ذلك عن الوصول الى الحقيقة والمعايير الصحيحة .

ويقرر الله عز وجل هذا المعنى فيقول :

(وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَي)

أن القرب والبعد من الله لا يحصل بكثرة المال ولا الولد ••• ولكنه بالايمان والتقوى والعمل النافع •

وعلى كل منا أن يقيم نفسه على ضوء هذه القاعدة الصحيحة فيرى قربه وبعده من ربه •

حسن الخلق :

(روى عقبة بن عامر رضى الله عنه ، قال : لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فأخذ بيدى وقال : يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة •• تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك) •• صلى الله عليك وسلم يا رسول الله لقد كنت حسن الخلق ، وأنت تحب أمتك فأرشدتهم الى حسن الأخلاق بأسلوب المعلم الناصح المربي القدير •• فأوضحت أن هذه الصفات الثلاث تجعل صاحبها يتحلى بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة •

ولكن •• من يستطيع أن يصل من قطعه ؟

ويعطى من منعه ، ويعفو عمن ظلمه ؟

انه لا يقدر عليها سوى المؤمنين الذين يستطيعون أن يكبحوا جماح أنفسهم ويتحكموا بها ويقسروها على ما يريدون ••

ان معاملة المسيء بضد عمله خلة صعبة ولكن أثرها عظيم في ابقاء الصلة ودوام المحبة ••• وهي سبب لتعايش المجتمع تعايشا سليما ••• وارتباطه

وتعاونه ••• وهي أفضل وأبقى مــن المقاصة والشدة وعــدم التسامح ، اذا فكر فيها المرء وانتظر حتى يمكن غضبه ويفرخ روعــه ••

اللهم أقدرنا عليهــا ••

عيش الذليــل :

قاسى أبو الطيب أنواع العيش وجرب حلوها قليلا وتجرع مرها كثيرا • ولقد أفرغ هذه التجارب بشعر ينير صفاء ويفيض بلاغة وينطق شعورا فقال :

ذل مـــن يغبــط الذليــل بعيش   رب عيش أخــف منــه الحمــام
كل حــلم أتى بغــير أقتــدار   حجــة لاجيء اليــه اللئــام
مــن يهــن يســهل الهــوان عليه   ما لجــرح بمــيت ايــلام

لقد كان العرب يأبون الذلة ، ولا يرضون الهــوان ولقد كانت هممهم عالية ، وأنوفهم شامخة ••• وعند ذلك كانوا سادة الدنيا •

يحتلون الصدارة ويركبون هامة الدنيا ولقد كانوا يفهمون الحياة على حقيقتها ويعرفون الأمور باسمها الحقيقي •

ولعــل أخطر أمــر في حكمة أبى الطيب هي هــذا المبدأ العجيب وهو استخذاء من يعتاد الهوان ، وعــدم احساسه حتى لكانه ميت لا يشــعر بما يفعل بــه •

اللهم أعد للعرب عزهم وهيمنتهم •

تربيــــة :

(اسر معاوية بن أبي سفيان الى ابن أخيــه عمرو بن عقبــة حديثا •• قال عمرو : فأتيت أبي وقلت له : أن أمير المؤمنين أسر الى حديثا أفأحدثك به ؟

قال : لا لأنه من كتم حديثه كان الخيار اليه ، ومن أظهره كان الخيار عليه فلا تجعل نفسك مملوكا بعد أن كنت مالكا .

فقلت : أو يكون هذا بين الرجل وأبيه ؟

قال : لا ولكن أكره أن تعود لسانك اذاعة السر .

قال عمرو : فرجعت الى عمى فأخبرته بذلك فقال : اعتقك أخي من رق الخطأ .

أن كتمان السر أمر معروف فضله ووجوبه وافشاء السر خلة ذميمة . يندم صاحبها .. لا أشكال في ذلك .

لكن المهم هنا هذه التربية التى يتظافر على تثبيتها الأب والعم والأسرة والمجتمع كله . أن التربية لا تكون صالحة ولا تؤدى الأهداف الا اذا تعاون الجميع عليها أما أن يبرم هذا وينقض ذاك ويبنى هذا ويهدم ذلك فلن تكون هناك تربية بل سيوجد بلبلة وارتباك وحيرة .

وويل لنشىء يرون المتناقضات ويعيشون النقائض في عمل أوليائهم ويسمعون خلاف ما يؤمرون به من آبائهم وأمهاتهم .

مدنيتنا ومدنيتهم :

قال (نيشته) أحد فلاسفة المانيا في القرن الماضى .

لقد حرمتنا المسيحية ميراث العبقرية القديمة ثم حرمتنا بعد ذلك من الاسلام فقد ديست بالأقدام تلك المدنية العظيمة مدنية الأندلس المغربية ولماذا ؟ لأنها نشأت من أصول رفيعة ومن غرائز شريفة نعم من غرائز رجال ...

تلك المدينة لم تنكر الحياة بل اجابتها بالابحاث وفتحت لها صدرها وقد قاتل الصليبيون تلك المدينة بعد ذلك . قاتلوها وكان أولى بهم أن يسجدوا لها على التراب .

وما مدنيتنا في هذا القرن التاسع عشر الا فقيرة وانية بجانب مدنية الاسلام في ذلك الوقت) ..

أن علينا أن نفهم هذا نحن حتى لا نضيعه ولا نزهد فيه ولا نعجب بما في أيدى الآخرين .

وأعجز الناس من يضيع ما ملك ، ويستهين بما لديه .

* ● *

نعم الله

لو جلس انسان ليحصى نعم الله عليه لما استطاع لها عدا ، ولما وصل الى نهاية لأن كل شيء في وجوده وفي جسمه وفي احساسه هو من الله عز وجل ... ولذا فان احصاء نعم الله لن يكون لاحد مطلقا .

(وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا) .

ولم يكلف الله عز وجل عباده باحصاء نعمه ولا بتعدادها وانما جعل عليهم شكرها ليستبقوها ، وكل ذلك عائد على مصلحة الانسان نفسه والا فان الله تعالى غنى عن عباده .. لا يحتاج اليهم ولا يزيده وجودهم ولا ينقصه عدمهم .

وعلى من أراد بقاء النعمة أن يتذكر موجودها فيشكره ويستديم شكر النعمة في كل الأحوال والله عز وجل هو المستحق للشكر لأنه صاحب الفضل والاحسان .

اللهم أوزعنا شكر نعمك وأدمها علينا ولا تحرمنا بسبب ذنوبنا .

جســد واحــد :

لم تستطع كل القوى البشرية وكل المبادى والتعاليم والأنظمة أن تبنى مجتمعا كالذى بنى الاسلام بل لم تستطع أن تقلده أو تضاهيه في أى شــأن مــن شئون الحياة .

ولقد بلغ الاسلام في ذلك حدا هو غــاية ما يمكن أن تصل اليه الصــلة والقربى فجعل المؤمنين كالجسد الواحد .

(مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) .

لا أبلغ ولا أشد تمكنا من ترابط الجسم بعضه ببعض فاذا أصاب طرفا منه شيء تألم لــه كل أجزاء الجسم تألما طبيعيا صادقا نابعا عــن احساس بما أصاب ذلك الطرف .

وهكذا كلما تمكن الايمان من قلوب المؤمنين كان أكثر ترابطا وأشــد تماسكا وكلما ضعف الايمان تفرقوا واختلف وذهب ريحهم وضعفت معنويتهم ... وهــذه حقيقة يمكن أن نجيب بها على أسئلة كثيرة تدور في أفكار كثير من الناس .

اللهم أصلح جسد الأمة الاسلامية وأجعله قويا مترابطا متعاونا ..

لــص :

كان العرب يجوبون أقطار الدنيا بحثا عن لقمة العيش فلم يدعوا بقعة الا مروا بها وجربوا حظهم فيها لكنهم لا يطيقون البعد عن الديار .. يحنون اليها ويتعشقونها ولو كانت صحراء قاحــلة وأرضــا مجدبة يتمتعون بقرها وحرها ولوافح هجيرها .

ويتلذذون برمالها وجمالها الطبيعي •• وحدث ذات مرة أن كان (الاعشى) في بلاد كسرى ••• مع رحلة الصيف وحينما أظلهم الليل استسلم أصحابه للراحة وراحوا يغطون في نوم عميق ، لكنه هو لم يذق طعم النوم ولم يلذ لجفنيه الفراش فتذكر هواء نجد العليل وشم نسيم (منفوحة) ومن فيها من الأهل والصحب فطار قلبه وضاقت عليه الدنيا •

وكان ينزل مع أصحابه في ساحة يطل عليها قصر كسرى فأحب أن يسرى عن نفسه وقد طبق السكون الأرض كلها فلا حراك ولا أصوات سوى غطيط النائمين •• فراح يتغنى بقصيدته الى مطلعها :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق   وما بي من سقم وما بي تعشق

وكان يردد هذا البيت بصوت شجي ساعد على جماله وترديد نغماته السكون وصدى جنبات القصر فسمعه (كسرى) وأعجبه الصوت فأحضر المترجم وطلب منه أن يخبره عن معنى هذا البيت ••• فلما أخبره قال : اذا هو لص ••• ولما ترجم له الأبيات التى بعده قال اذا هو غريب ••• فطلبه وسأله عن بلاده وتجاذب واياه أطراف الحديث ومعانى الشعر والحكمة ••• زلفا من الليل •

ثم أجزل جائزته وأعاده الى بلاده من الغد •

والشاعر هذا هو الذى يقول :

من مبلغ أبناء يعرب أننى   جالست رسطاليس والاسكندرا

وهو الذى يقول :

وطوفت للمال آفاقه   عمان فحمص فاورى شلم

وابن الرومي •• يعلل حب الأوطان حسب رأيه بقوله :

ولي وطن آليت ألا أبيعه   وألا أرى غيرى له الدهر مالكا
وحبب أوطان الرجال اليهم   مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكر تهمو   عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

لو انصفت :

(لو أنصف الناس لاستراح القاضى) •

هذا مثل يعرفه كثير من الناس ، ويردده كثيرون ويعللون ذلك بأن الناس يدعون ما ليس لهم ويحاولون التعمية على القاضي واغتصاب حقوق خصومهم بالحجة والحيل •

ولقد فوجئت عندما قرأه أحد الناس هكذا •

(لو أنصف القاضي لاستراح الناس) ••

قلت : ان المثل معكوس •• قال : اننى متأكد مـن معناه •• فان الناس كثيرون ولن يتحقق الانصاف منهم جميعـا فليكن القاضي في مركز التوجيـه والارشـاد والانصاف فهو الذى يستطيع أن ينصف ويريح الخصمين وحـل ما بينهما من اشكال •

قلت : ان ذلك متحقق ولله الحمد لدينا ، ولكنك بتغييرك هـذا تذهب جمال المثل وتسطو على قول ••• ردده العلماء والأدباء ••

فقال لكل مقام مقال ، ولكل زمان آيـة •

* * *

أمـــة واحـدة

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً) .

قام الاسلام على الاجتماع والتعاون والمحبة والتكاتف .. والنهى عـن الفرقة والتباعد والتباغض ... ويتم ذلك حينما تتمسك الأمـة بحبـل الله وتطيع أوامره وتجتنب نواهيه وتسير على نهج هديه الكريم ..

ولن تبلغ كل المفاسد والمصائب مبلغ التفرق لأن الفرقة أساس كل شر ومبدأ كل مصيبة وما تفرقت أمة الا وذلت وهانت وتسلط عليها أعداؤها .. وغلبوها ولو كانوا قليلي العدد والعدة ..

ولعل مما يجعلنا نحرص على الاجتماع وتتمسك بالمحبة والتعاون حينما تتذكر حال العرب قبل أن يجمعهم الاسلام فقد كانوا أعداء يقتل بعضهم بعضا ويعتدى الأخ على أخيه وحينما أنعم الله عليهم بالاســلام انقلبت حالهم الى اجتماع ومحبة حتى صاروا اخوانا ..

ونحن أمة الدعوة وأولئك اسلافنا فعلينا أن نعتبـر بحالهم وتتذكر نعمة الله علينا ولا نفـرط فيهـا .

ثلاث وثلاث :

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله يرضي لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا ••• يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبله جميعا ولا تفرقوا وان تناصحوا من ولاه الله أمركم •

ويكره لكم قيل وقال •• وكثرة السؤال •• واضاعة المال) •

ان ربنا الذى خلقنا لم يتركنا هملا بل رسم لنا طريق السعادة والاستقرار في معاشنا ومعادنا ونظم لنا مجتمعنا وعلاقتنا ببعضنا ولكننا نخالف ما يرضاه لنا •• ونسلك ما يكره لنا ••

أن هذه الثلاث الخلال ••• مبادىء تبنى مجتمعا متكاملا •• والثلاث الخلال التالية تكفى لهدم مجتمع متكامل البناء ••

وهي من الوضوح والمطابقة للواقع بحيث لا تحتاج الى توضيح ولكنها تحتاج للعمل بها وتطبيق معناها ومؤداها ••• اذا أردنا أن نكون كما أراد الله لنا •••

اجنبيات :

حينما فتح الله على المسلمين الفتوحات ••• كانوا يقيمون في البلاد التى فتحوها يستوطنونها ليعلموا أهلها الدين والأخلاق الحميدة •• وليرابطوا للجهاد في سبيل الله وبالطبع سيكونون بحاجة الى زوجات ••• ومعروف لدينا أن التزوج بالكتابية مباح للمسلمين ••• فكان الصحابة المقيمون هناك يتزوجون الكتابيات وكان الخليفة والبطل عمر بن الخطاب رضى الله عنه يراقب هذه الظاهرة •• فلما أحس أن السبب قد زال بسبب كثرة النساء المسلمات كتب الى عامله في المدائن (حذيفة بن اليمان) هذه الرسالة :

(بلغنى أنك تزوجت امرأة من أهل الكتاب فطلقها) •

فكتب اليـــه حذيفة : لا أفعل حتى تخبرنى أحلال أم حرام وماذا أردت بذلك ؟ .

فكتب اليه عمر : لا بل حلال ولكن في نساء الأعاجم خلابة وأن أقبلتم عليهن غلبتكم على نسائكم ..

وقال حذيفة الآن ... وطلقها ...

رحم الله الصحابة لقد كانوا موازين عدل ومتبعي سنة محمد ... ولقـــد كانوا واسعي الصـــدر سريعي الاستجابة للحق ... عارفين بنتائج الأمـــور ومستقبل الأعمال .

البنــــــات :

دعت الشريعة الاســـلامية الى المســاواة في الحب والعطف على الأولاد ذكورهم واناثهم وانحت باللائمة على الذين لا يرضون اذا ولد لهم أناث ... والذين يفضلون الذكور على الأناث .. فكلهم من الله وكلهم أولاد لهم المحبة والعطف والتربية الحسنة ومستقبل الأيام عند الله عز وجل ...

فقد يوجد فتاة تسبق فتيانا وقـــد يجعل الله ســـعادة الأسرة بسبب بنت واحدة .

واذا لم يكن في الفتاة نفع وسبق للفتى ففيها ميزة أبرزها (معن بن أوس) عندما قال :

رأيت رجـــالا يكرهـــون بنـــاتهم ... وفيهـــن لا نكذب نســـاء صـــوالح
وفيهـــن والأيـــام يعثـــرن بالفتى ... عوائـــــد لا يمللنـــــه ونوائـــــح

ان النساء في الجملة لهن عاطفة رقيقة يشاركن الرجل سراءه وضراءه .

ولقد حصل بحث هذا المعنى في مجلس من مجالس الأدب .. اذ تحدث

أحد آباء الذكور والاناث وأكد أنه في هذا الزمن تأكد أن في البنات من يفقن الأبناء عطفا وخدمة للوالدين ورأفة بهما . ومشاركة لهما في السراء والضراء .

اللهم آمنـــا بك ورضينا بقسمتك ...

النحـــاة مظلومون :

ينحى كثيرون باللائمة على النحويين وينسبون اليهم أشياء ليست فيهم ولا تنطبق عليهم ... ومن ذلك هذه الطريقة ...

(جاء رجل يعود نحويا مريضا فقال له : ما الذى تشكوه قـــال : حمي جاسية ، نارها حامية ، منها الأعضاء واهيـــة والعظام باليـــة ... فقال لـــه : لا شفاك الله بعافية يا ليتها كانت القاضية) ...

أن هذه القصة تبدو مهلهلة ويظهر فيها الوضع والصنعة لامور :

أولا : أن النحاة وظيفتهم أواخر الكلمات لا وضع الكلمات أو تصفيف الجمـــل .

ثانيا : أنه لا يبدو فيها أى كلمة للنحاة فيها رأى أو مذهب خاص .

ثالثا : أن رد الزائر كان من جنس كلام المريض فمعنى ذلك أنها من وضع رجل واحد ..

ولعـــل السبب في ذلك أن الذى يتجنى على النحاة ويلفق عليهم هـــذه القصص هو ممن لا يعرف النحو ولذلك لا يفرق بين وظيفـــة النحاة ووظيفة اللغويين .

أيها الناس : لا تظلموهم فقد خدموا اللغة ... وقدموا للمكتبة العربية تتاجا علميا باقيا مدى الدهور والأزمان ..

❋ ● ❋

الجـــــار

الجـــــار :

وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعادته في تعليم صحابته وفي نقـل الوحي عن الله عز وجل وابلاغه لأمته فأقسم ثلاثا ..

(والله لا يؤمن ...

قال الصحابة خاب وخسر : من هذا يا رسول الله ؟

فقال : من لا يأمن جاره بوائقه ..

ومرة أخرى أجاب ... من بات شبعانا وجاره جائع ...)

أى صلة أعظم من هذه وأى واجب انسانى يصل الى هـذه المرتبة أو يدانيها ... لا لن يوجد مبدأ أو صلة تبلغ بالمرء أن ينتفى عنه الايمان اذا لم يكن جاره مرتاحا بجواره آمنـا منـه على نفسه وأولاده وماله ... متمتعا بمشاركته الخير والشر فان جاع أطعمه وان أصيب واساه وان غاب خلفه في أهله وان سر هنأه وشاركه سراءه ..

ان هذه أعظم صلة تجعل المجتمع يكون متماسكا مترابطا يشعر افراده أنهم شيء واحد حتى يتفرغوا للبناء مع الجميع ..

وحينما كان المجتمع الاسلامي يرعى هذه المبادىء ويطبقها كان على أقوى ما تكون المجتمعات وكان سـعيدا في نفسه مطمئنا في حياته متفرغا لدعـوة الناس الى الخير وابلاغ الدعوة المحمدية الى كل العالم ..

فاللهم لا تعم أبصارنا عن ديننا ومبادئنا وعمل اسلافنا ..

الانســــــان :

(إِنَّ الإِنْسَانَ خلِقَ هَلوعاً إِذَا مَسَّهُ الشرُّ جَزوعاً وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً) .

أصدق وصف ينطبق على انفعالات الانسان وتأثراته وعلى حالاته التى يكون عليها فهو دائما راغب في الخير متطلع الى الكسب فان أصابه خير اطمأن به وانشغل به عن ذكر الله ونسى اخوانه المؤمنين وبعد عن ذهنه صنع الخير بل لا يتصوره مطلقا .

وان اصابه الشر جزع وخارت قواه ويئس من رحمة الله وقعد عن العمل وافتعل الأسباب ..

وحينما نجد في القرآن مثل هذه المعاني فانما أراد الله بها أن يدرك المرء حقيقة نفسه ويفكر فيها قبل انغماسه في احدى الحالتين فيكون لديه قدرة على التحكم في نفسه وكبح جماحها .

اللهم أجعلنا ممن فهم حكمتك .

التســـــــامح :

تسامح ولا تستوف حقك كله وابق فلم يستقص قط كريم
ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

يضع (أبو الفتح البستى) مبدأ مهما من المبادىء التى تقوم عليها الحياة ويتم بها تعايش الناس وتعاملهم وهي التسامح وعدم الاستقصاء والتمحك والقصد في كل الأمور وعدم الغلو فيها .. والوسط دائما خير .. ومثل هذا المعنى قول بشار :

فاذا كنت في كل الأمور معاتبا صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
فعش واحدا أوصل أخاك فانه مقارب ذنب مرة ومجانبه

اصـــابة المعنى :

سمع خالد بن صفوان رجلا يتكلم ويكثر فقال له أعلم ــ رحمك الله ــ أن البلاغة ليست بخفة اللسان وكثرة الهذيان ولكنها باصـــابة المعنى والقصد الى الحجة ٠

فالى أولئك الذين يلتون ويعجنون ويجيئون ، محاولين الوصول الى معنى واحد نسوق هذا التعريف للبلاغة ٠٠٠ ولكن أين الطريق الى اصابة المعنى ٠٠ ثم أين من يفهم المعنى سريعا ٠٠٠ ويدرك مرامى الكلام بالايجاز والاقلال ٠

خـــــــلال :

كان لعبد الملك بن مروان صديق يجتمع اليـــه قبل توليـــه الخلافة ٠٠٠ ويؤانسه ويجالسه وعندما تولى الخلافة شخص اليه وتحدثا طويلا وكان مـــن حديثهما أن القى الصديق اليه هـــذا السؤال ٠٠٠

يرحم الله الخليفة كيف وصل الى ما هو فيه فأجاب ٠٠

والله ما هو بميراث أدعيناه ولكن أخبرك عن نفسى خصالا سمت بها نفسى الى الموضع الذى ترى ما لاحيت ذا ود قط ولا ذا قرابة ولا شمت بمصيبة عدو قط ولا أعرضت عن محدث حتى ينتهي ، ولا قصدت كبيرة مـــن محـــارم الله متلذذا وواثبا عليها وكنت من قريش في بيتها ومن بيتها في وسط فكنت آمـــل أن يرفع الله منى وقد فعل ٠٠٠

العربية والانكليزية :

قال القس (زويمر)

(يوجد لسانان لهما النصيب الأوفي في ميدان الاستعمار المادى ومجال الدعوة الى الله وهما الانكليزى والعربى وهما الآن في مسابقة وعناد لا نهاية لهما لفتح القارة السوداء مستودع النفـــوذ والمال ، يريد كل منهما أن يلتهم

الآخـر وهما العضدان للقوتين المنافستين في طلب السيادة على العالم البشرى أعني النصرانية والاسلام) •

واننا لسنا في شك في أفضلية لغتنا وثباتها ما دام حفظها الله وفضلها على سائر اللغات ولكن الظاهرة الغريبة اليوم هي جهل ابنائها بها فكثيرا ما نسمع مـن بعضهم نقلا عن غيرهم وتقليدا لهم أن اللغة العربية صعبة أو أنه يصعب تعليمها والصحيح انها سهلة ••• ولكننا نحن صعبناها فلم نخدمها ولم نقدمها للناس بأسلوب مقبول وطريقة سهلة تعين على تعلمها •••

ومع ذلك ورغم كل تحـد وقفت كالطود الاهم بين اللغـات وستبقى في مجال السبق والقيادة ••• رغم كل أحد •••



مـودة ورحمـة

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) .

من الأمور المسلم بها في عرف البشر أن الرجل لا يستغنى عن المرأة وان المرأة لا تستغنى عـن الرجل ••• هكذا خلقهما الله وجعلهما نوعين متكاملين ليعمرا الأرض وليستمر بقاء الجنس البشرى بتقاربهما واتفاقهما ••

ولأنه عز وجـل ـ يعلم متى تتمكن الصـلة والقـربى وتبقى المحبـة والاتصال جعل المرأة في أصل خلقها من جنس الرجل لها أمزجته وطباعه مـن أجل أن يألفها وتألفه ويرتاح الى البقاء معها ولا تمله ••

وفوق ذلك ـ وهو الأهم ـ فقد جعل الصـلة بينهما ذات رافدين •••

الرافد الأول : المودة ••• وهذه صفة يذوب معها كل شيء وتنسى معها كل العيوب ويحسن كل قبيح فاذا فقد هــذا الرافــد وضــعف فهنــاك ••

الرافد الثانى : وهو الرحمة وهــذا معنى يجعل العشرة الزوجية باقيــة يمسكها زمام الرحمة من الرجل للمرأة فاذا أراد أن يقدم على خطوة في غــير صالحها أدركته الرحمة الكامنة في الانسان •• فتوقف عن الاقدام عليها •

وهكذا حتى تدوم الحياة الزوجية وهى هنا في درجة ثانية ليست كالأولى •

سبحان العليم بالسرائر والانفعالات الداخلية •••

النساء المباركات :

روت عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

أكثر النساء بركة أيسرهن مهرا ••

أن هذا أمر مشاهد محسوس فالبركة حاصلة بمن يقل مهرها قبل الزواج بهــا وبعد الزواج ••

أما قبل الزواج فلان زوجها لا يتجشم المصاعب ويبيع الغالي ويستدين ما بقى ••• ليحمل لها المنقول والمعدود والمأكول والمشروب والملبوس والمهدى والمشــموم ، والملمــوس •• والمــارى عليــه فيوفــر مــاله وجهــده وتستريح نفسه •• ويقبل على زوجته راضيا مسرورا ••

وأما بعد الزواج فلأنه سيعيش على الراحة الأولى ويسر من فعل زوجته وأوليائها ويتفرغ لمشاركتها المحبة والمودة ، والسعادة والهناء ••

فــأين أولئك الذين يتفاخرون بما يدفعون وما يستقبلون ••• وكأنها مغنمة عارضة يستغلها من وقع في يده محتاج للزواج يتحكم به كيف شاء •

الا فليعلم الذين يغالون في المهور أنهم مهزمون وليعلم الذين يغالون في طلب المهــور أنهم سيخسرون الزواج كله وستبوء بناتهم بالفشل ••

ولا حول ولا قوة الا بالله ••

المسلمون :

ملكنا فكان العفو منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتموا قتل الاسارى وطالما ... غدونا على الأسرى نحن ونصفح
فحسبكموا هذا التفاوت بيننا ... وكل اناء بالذى فيه ينضح

هذه خصال المسلمين في معاملتهم للمحاربين بعد الحرب .. العفو سجيتهم ودينهم يأمرهم به والرحمة من طبعهم ودينهم يؤكدها .. وفك الاسراء دين يتعبدون الله به والصفح عنهم مطلوب للمسلمين ..

وعدوهم سفاك أثيم ... يعتدى ويقتل الاسراء ولا يحترم الانسان ولا الاعراف والأديان والمبادىء ...

وشتان ما بين المبدأين ، وبعد ما بين المعاملتين فهذا في الشرق وهذا في الغرب وذاك في الثرى وذلك في الثريا وما دام الفارق الكبير موجودا .. فأن الحكم سيكون واضحا لكل انسان فهو يكفى للحكم على المسلمين وخصومهم ..

وهذا شيء ثابت وحقيقة مسلم بها .. فكل اناء بالذات فيه ينضح ..

المدنية :

قال الأمير شكيب أرسلان ..

(ان الأفرنجي هو الأفرنجي .. ما تغير شيء من طبعه فهو اليوم كما كان عندما زحف الينا من ثمانمائة سنة بما فيه من الظمأ الى الدماء والقرم الى اللحم ، وأن هذه المدنية التى يتذرع بدعواها ان هى الا غطاء سطحي لما هو كامن في طبعه ، متهيء للظهور لأدنى حادث ..

فالمدينة العصرية لم تزد الأفرنجي الا تفننا في آلات القتل وفصاحة التموية وتسمية الأشياء بغير أسمائها ... وبالجملة فالذى أزددناه منه هو الرياء لاغير ..) .

اننا لا نأتي بجديد على ما جاء به الأمير شكيب . ولكننا نلفت انتباه الجيل الحاضر الى حقيقة الأمر ، وندعوه الى فهم الأمور فهما صافيا لا تشوبه مظاهر خداعة ولا ملامس لينة أو مؤثرات هادفة ..

ولا شك أنهم سيصلون في النتيجة الى الفكرة التى جلاها الأمير شكيب ... فالنتائج مقرونة بالمقدمات والوسائل تدل على الغايات .

ونحن متفائلون لأبناء الجيل الحاضر حيث بدأوا يفهمون فهما نابعا عن التفكير والرأى لا عن العاطفة والتأثر السريع ... أقر الله أعيننا بهم ...

عمر بن عبد العزيز :

لما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز خرج في الليل لتفقد الحراسة فدخل المسجد فعثرت رجله في الظلام برجل نائم فرفع رأسه وقال : أمجنون أنت ؟ .

فقال عمر : لا . فهم به الحرس فقال له عمر : عصه ودعه ... انما سألني أمجنون أنت . فقلت له : لا .

لله تلك الاخلاق ... لقد كان أحد مشايخنا يحدثنا عن هذا المعنى فيقول لو أن الاجابة تكون على قدر السؤال لم يقع الناس في المشكلات ...

ويقول : ان الذى يقول لك : أنت أعمى يسألك وهو يراك فأجبه على قدر سؤاله ... وستنتهي المشكلة عند هذا الحد ...

ولكن الناس يعلمون ولا يعملون

* ● *

الدعـــــوة

حقيقة ثابتة وقضية مسلم بها أن البشر لا بد لهم من ايمان يكون ملجأ لهم من عناء الدنيا ، فهم منذ خلقوا يبحثون عن العقيدة ... وكل فئـة منهم يكون ايمانها حسب البيئة والظروف المحيطة بها فمنهم من يؤمن بدين الهى ، ومنهم من يصدق فكرة بشرية ، ومنهم من يعتنق خيالا من ابتداع المشعوذين ..

وقد جـاء الاسلام شافيا كافيا محققا لكل الآمال البشرية لأنه مـن الله ولأنه يسعي لصالح البشر وحدهم والا فان ربهم في غنى عنهم ..

وقـد نقله رسول الله صلى الله عليه وسلم بموجب تكليف واختيـار الهي وطريق للدعوة مرسوم ...

(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) .

فهذا هو طريق الدعوة ... تفهم ، وبصر في حال المدعوين ، وبحث عن الطريقة التى تناسبهم . وما دامت الشريعة الاسلامية لكل البشر فان الدعوة ستستمر ما دامت الحياة ، وبالطبع سيقوم بتبليغها اتبـاع محمد وعليهم أن يسلكوا أيضا هذا الطريق حتى يوفقوا وتلاقى دعوتهم قبولا ...

وهـذا هو الذى نشاهده اليوم فرغم اهمال المسلمين للدعوة نجـد أن المعتنقين للدين الاسلامى كثرة كاثرة تأتي عن طواعيه ورغبـة أكيدة .. ولم يستطع أعداؤها والمناهضون لفكرتها والداعون لغيرها أن يؤثروا عليهـا أو يحدوا من انتشارها .

والمستقبل بدون شك ... لها ..

العـــــلم :

يحرص الاسلام دائما على أن يكون أتباعه علماء فيحضهم على التسابق الى العلم ويرغب فيه حتى يجعله عملا يثاب عليــه طالبه ، ويرضى الله عنــه ويجعله من أهل الجنة .

(ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة ..)
يبدأ الجزاء من أول خطوة يخطوها طالب العلم ســعيا وراء العلم ، بل حتى من النية .. وعلى فرض أنه لم يوفق في طريقه هذا الى ادراك علم فــان جزاءه حاصل ...

ولذلك أدرك اسلافنا العلم بأنواعه وبرزوا فيه فكان منهم العلماء الذين سارت الدنيا كلها حتى اليوم في أثرهم وعلى نهجهم ، في مختلف العلوم ...

وينسي كثير من المسلمين هذا المعنى فلا يوفق في سعيه ، ولا ينجــح في مطلبه ... وتمضى السنين الكثيرة دون ادراك النتيجة ..

ان طلب العلم هدف من أهداف الاسلام وهو غير محدود بزمن ولا لفئة معينة ولا محصور على مادة من المواد العلمية بل كل ما يصح أن يسمى علما ، وتحصل به الفائدة .

اللهم أكثر من علماء المسلمين ..

معـــلم :

عندما تم الاتفاق بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والوفد المبارك من الأنصار عند العقبة .

ســارع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بعث (مصعب بن عمير) ليوطىء لسفر رسول الله وليعلم الناس القرآن فلما وصل الى المدينة استقبله أهلها بكل ترحاب وصــار يغشى منازلهم ويعلم رجالهم ونساءهم وصغارهم

وكبارهم ••• حتى انتشر الاسلام في أغلب بيــوت الأنصار وتعلم كثير منهم القرآن •••

وحينما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة قدم له مصعب صبيين حفظا قسما من القرآن حفظا مرتلا فقرءا واستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسر من أثر للعلم الذى بعثــه ••

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على تعليم أمته ••• وانقاذهم مــن الجهل ، وقــد كان ذلك فبعــد أن كانوا أميين أصبحوا علماء وصاروا سادة الدنيا •••

الاســــــراء :

وعندما أظهر الله دينه وحصلت الموقعة الفاصلة بين المسلمين والمشركين ، وانتصر الحق على الظلم وقع من المشركين اسارى في قبضـــة رسول الله ••• فنقلوا الى المدينة المنورة وكان الصحابة ينتظرون حكم رسول الله في هؤلاء فمنهم كثيرون كانوا يرون احتزاز رقابهم وقليلون يرون الفداء •••

ولكن رســـول الله وهو الذى يصدر عن ربــه في تصرفاته ••• أمر أن يقوم رجل على الاسراء ويخبرهم بأن أى رجل منهم يعلم عشرة مــن صبيان المدينة القراءة والكتابة يفك أسره • فسارعوا الى تعليم أبناء الصحابة ، وتعلم كثيرون وفك الاسراء المعلمون دون أن يعــذبوا ، أو يطلب منهم مــال ، أو يضيق عليهم •

وهذا دليل على حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليم أمتـــه ودليل على فضل العلم وتتيجة عملية من فوائد العلم •

لغـــــات :

كان المجتمع الاسلامي في المدينة المنورة بعد الهجرة فيــه خليط مــن الناس ، وكان فيه عدد كبير من اليهود •

فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثاقب نظره أن الحاجة تدعو الى أن يكون في المسلمين من يعرف لغتهم حتى يأمن المسلمون مكرهم وحتى يقوم بالترجمة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ، فاستدعي زيد بن ثابت وأمره أن يتعلم اللغة العبرية فتعلمها سريعا ..

وأدى ما قصده رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلمها .. فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمله هذا مبدأ تعلم اللغات عند الحاجة اليها حتى ينتفع منها المسلمون ..

* ● *

أمة الاسلام

(انَّ هَذِهِ أُمَّتُكُم أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) .

اجتمعت كل مقومات الوحدة لهذه الأمة ، أمة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ... شهد لها الله عز وجل بذلك وجعلها خير أمة أخرجت للناس ، وآخر أمة يبعث اليها نبى من الأنبياء ... وهي واحدة وربها واحد ، فهي مدعوة للاتحاد ولعبادة الرب الواحد ..

ولا عذر لأمة خلقت لتكون متحدة ... ووجد بينها الشبه في الخلق والتقارب في الفكر ثم الاتحاد في العقيدة ، والاتحاد في الهدف ، والغاية ...

ولقد ربط الله ـ عز وجل ـ سعادة هذه الأمة باتفاقها واتحادها وجعل شقاءها ونحسها بتفرقها وتخاذلها وتباعدها عن بعضها ..

ومن العجب أن كل فرد من هذه الأمة يعلم هذه الحقائق ولكنه يخالف في عمله ...

فمتى نستيقظ ... ؟ ..

الطمـــع :

جبلت النفوس على حب الدنيا ، ولا غــرو فقد خلقها الله كذلك ••• ليعمر الكون ولتبقى الحياة على الأرض ولكن ابن آدم تمادى في ذلك حتى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لو أن لابن آدم واديــا مــن ذهب أحب أن يكون له واديــان

ولن يملأ فاه الا التراب ، ويتوب الله على ما تاب) •

هل معنى هذا الدعوة الى الزهد في الدنيا ؟ — طبعا لا ••

هل معناه الدعوة الى القصد من الجد في الكسب ؟ — طبعا لا ••

هل معناه التفريط فيما يملكه المرء ؟ — طبعا لا ••

اذا ما المقصود من هذا الخبر العجيب ؟ •• المقصود أن المال مهما كثر لدى المرء فلن يقنعه ولن يملأ نفسه •• حتى لو ملك ملء واد ذهبا ، أو ملء واديين •• لاستمر في رغبته في الزيادة ••

وقد عني رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك • أن الانسان محتاج الى الايمان ليملأ قلبه وليريح نفسه ، وليشعر باستقرار داخلي ورابطة تربطه بربه • واذا اجتمع المال والايمان كملت السعادة في الدنيا والآخرة ••

المصـــــائب :

قال الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله :

يجدر بنا ونحن نلقى النظرة بعــد النظرة على شئوننا العــامة في حياتنا الاجتماعية •• ألا يفوتنا الكلام على عامل كثير من عوامل ايقاظنا وانهاضنا ، وأعني به المصائب فهي موضع سر الله في تهذيب الناس واعدادهم لكل خير •• ومغزى حكمته في استكمال أسباب وقايتهم من كل ضير •• وان أمة لا تنفذ

مداركها الى حكمة الله فيما يختصها به من مصائب الدهر وصروف الحدثان لهي أمة غرقى في نومها سكرى بأوهامها وأحلامها ...

والمصائب نتائج متحتمة لذنوب متقدمة وما كان الله ليصيب قوما بمصيبة الا بما قدمت أيديهم من أسبابها فاذا انتبهوا بعدها الى سوء سلوكهم فأصلحوا من شأنهم ، وصاروا أمة صدق وحزم وشجاعة وتعاون وانصاف تكن المصيبة حينئذ سبب شقائهم من أمراضهم الخلقية وعلاجا لأدوائهم الاجتماعية وان كأس المصيبة وكأس العلاج صنوان متشابهان كلاهما مر المذاق وكلاهما مفيد اذا جاء على شرطه .

الاعتذار :

يقول اسلافنا المتقدمون في أمثالهم ..

اعادة الاعتذار تذكير بالذنب ..

أن كثيرا من الناس ممن لا يحسن أدب المحادثة والمجالسة يقع تحت تأثير الذنب الذى اجترحه في حق صديقه أو قريبه أو رئيسه فلا يفتأ يكرر الاعتذار كلما وجد عاطفة تحويطه أو شعورا حسنا يبدو على محيا صاحبه ..

وما علم أنه بذلك يعيد الى الذهن غلطته ويؤكدها بفعلته ...

ورب كلمة قالت لصاحبها دعني ...

الأصحاب :

كان الأصمعى وهو الناقد البصير اللماح

يستحسن قول أبى العتاهية ويردده ويتغنى به ..

أنت ما استغنيت عن صا   حبك الدهر أخوه

فاذا احتجت اليه   ساعة مجك فوه

الناس هم الناس في كل زمان وما دام زمن أبي العتاهية والأصمعى كان كذلك فما بالك بزماننا الذى تباعد فيه الاخوة وندر وجود الصديق المخلص وطغت الماديات على كل شئون حياتنا ..

لا شك أنه سيكون هذا القول أوقع فينا وأشد انطباقا ومن كان في شك فليجرب ..

المـدح والـذم :

يقول المثل العربي :

من مدحك بما ليس فيك فحقيق أن يذمك بما ليس فيك ..

كل النفوس تحب الثناء والمدح طبيعة وفطرة . لكن الناس يختلفون في مـدى التحكم بعواطفهم والسيطرة على رغباتهم ، فمن كان عاطفيا ينصـاع للمدح ويميل الى المادح ويصدقه بما ليس فيه ... كان الى التغفيل أقـرب والى البساطة أدني ...

ومن كان وسطا يعلم من محدثه صدقه وكذبه ، ولا يغيب عن باله حقيقة نفسه كان رجلا عاقلا مدركا لحقائق الأمور ..

ولا شـك أن المدح الزائد ذم ، ومن مدح امرءا بما ليس فيـه فسوف يذمه ويصفه بما ليس فيه ...

وهكذا تصور الأمثال العربية الحيـاة على حقيقتها ... وهي تجـارب أجيال ماضيه تهدى لاجيال مقبلة ...

ولكن المستفيدين قليلون ...

* * *

الابتـــلاء

قال الله تعالى :

(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) .

الابتلاء يكون للأفراد وللجماعات .. ويصاب المرء في نفسه وفي مـاله وفي شعوره واستقراره ويصاب الجماعة بالجوع والخوف وحسبك بالخـوف مؤرقا ، وبه مقلقا ومانعا للتلذذ بالحيـاة ... وبالموت وهو نهـاية الحيـاة ، وبنقص الأموال والثمرات والمال قسيم الروح ... ففقده أو اصـابته بنقص له أثر كبير في النفس ...

وكل انسان معرض لذلك مهما بلغت به القوة وكثر لديه المال والأولاد والعز والسعادة ....

والمهم أن يدرك الناس أن الاصابة بشيء مـن هـذه البلوى هو بسبب أعمالنا وأعراضنا عن الله وبعدنا عن تطبيق أوامره واجتناب نواهيه .

ولن تزول الا بالعودة الى الله والتوبة من الذنب والصبر على أقداره حتى تزول المصيبة ...

وهذا هو الحل الوحيد

المؤمـــن :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« عجبا لأمر المؤمن أن أمره كله خير وليس لأحد الا للمؤمن ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له »٠

المؤمن لديه من قوة الايمان والمعرفة بربه ما يجعله يؤمن بما قضى وقدر وهو في حالي الرضا والسرور معتدل متـزن ٠٠ فان كان في سراء شـكر الله عز وجل على ما أعطاه ولم يغتر بما في يده ، ولم يبعد عن الله ، ولم يدع أن ذلك بسببه هو ، ولم يغسمط عباد الله حقوقهم أو يتعـال عليهم ٠

وان كان في ضراء صبر وأيقن أن ذلك ابتلاء واختبار ليعلم الله عز وجل من عباده المؤمنين الصادقين في ايمانهم ٠٠

والمدركين لمراد الله عز وجل ، وسيكون في صبرهم وتحملهم لما أصابهم الجزاء والمثوبة من الله عز وجل ٠٠٠

ولقد ضمن الله الخير في كلا الحالتين للمؤمنين ٠٠

اخـلاق الرجال :

تضيق أخلاق الرجال ولا تضيق المنازل ٠٠٠

ويبقى سم الخياط مع الأحباب ميدانا عندما تتفق الطباع وتطيب النفوس وتتقارب الآراء ٠٠

وبشار بن برد يبرز هذا المعنى بقوله :

خليـلي ان المــال ليس بنـافع ... اذا لـم ينـل منـه أخ وصـديق
وكنت اذا ضـاقت على محـلة ... تيممـت أخـرى ما على تضـيق
وما خـاب بين الله والناس عامل ... لـه في التقى أو في المحـامد سـوق
ولا ضـاق فضل الله عن متعفف ... ولكـن أخـلاق الرجـال تضـيق

أن الحياة تصدق هذا المعنى فكم من غنى يبدو بخيلا ••• وكم من فقير يبدو سعيدا راضيا عن ربه وعن الحياة ••• وكم من ساكن بيتا فسيحا يغدو ذلك البيت بسبب خلق صاحبه جحرا ضيقا لا مجال فيه للجلوس ولا للسكن •

وكم من كوخ صار منتدى للأقارب والأصدقاء لأن صاحبه واسع الصدر كريم الطباع وقد يكون غير ذى مـال ولكن خلقه يوسع الضـيق ، ومعاملته تغطى الملق والاقلال ••

ادب :

المرء حيث يضع نفسه يحلها المحل الذى يختاره فان كانت همته عاليـة عمل لهذه الغاية حتى يبلغها أو يدانيها ، وان كان ضعيف النفس واهن القوى قعدت به نفسه عن طلاب المعالي ••

وليس كنفس المرء مؤدبا وليس كمثلها مربيا ومعودا •••

(سئل ابن المقفع يوما :

من أدبك هذا الأدب ؟ •

فقال : نفسى •

فقيل له : أيؤدب الانسان بغير مؤدب ؟ •

فأجاب كيف لا : كنت اذا رأيت في غيرى حسنا أتيته وان رأيت قبيحـا أبيته ••• وبهذا وحده أدبت نفسى •••) •

كل الحياة ومن عليها دروس يستفيد منها العاقل ومرآة ينظر بهـا المرء الخلال ـ الحسنة والفعـال القبيحة وهو بعد حـر في تطبيق ذلك أو اهماله فيكون بذلك فوت الفرصة على نفسه •••

الوظيفـــة :

كان اسلافنا يقولون اذا رأيت الرجل ولي ولايـة فتكبر فقـد أعلم أن

الوظيفة أكبر منه ••• واذا رأيته ولي ولاية فتواضع فقد أعلم أنه أكبر مـــن الوظيفــة •••

ويقولون ••• أيضـــا •••

أن من يكبر بالوظيفة فهو صغير ، ومن تكبر به الوظيفة فهو كبير ••• وعلى كل موظف منـــا أن يزن نفسه بهـــذا المقياس ••• فيرى كيف يبـــدو في بيته وفي الوظيفة ••• وكيف يعامل الناس ويقضى حوائجهم ، ويسهل أمورهم أو يعقدها •

جحـــــا :

(يقال ان جحا كان له غنم يرعاها ••• فكان ينتجع المرعى المخصب للغنم السمان ويطرد العجاف الى المجدب ••

فقيل له في ذلك ••• فقال :

هل أصلح ما أفسد الدهر •••)

هل ترى أن الذين يفرقون بين أولادهم في المعاملة •• يشاركون جحـــا في نظريته تلك ؟ أو أنهم ينساقون وراء عاطفتهم فلا يدركون خطأهم الا بعد استفحال الأمر وفساد اخلاق الأولاد •••

كثيرون منا تظهر المحاباة في معاملتهم لأولادهم ، معنى وحسا ، وما ظنوا أنهم بذلك يكسرون نفسيات أولادهم الآخرين ويربون فيها حزازات لن تزول في مستقبل الأيام ••

ولا اشكال في أن تربية الأولاد من أصعب الأمور فهي تتـــأثر في اللمحة والبسمة والالتفاتة وفي الحديث والمجلس •

وقليلون هم الذين يستطيعون العـــدل بين الأولاد والخروج من هـــذه المشكلة بطريقة ترضى الجميع •••

بـر الوالدين

قال الله تعالى :

(وَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيماً ★ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً) .

أرق معاملة ، وألطف أسلوب ، وأكرم عبارة ، وأحسن صورة ، يجب أن يعامل الولد بها والديه ..

ولقد اهتم القرآن بحقوق الوالدين كثيرا وأكد وجوبها وتعينها على الأولاد ، وربط مصير الأولاد بمقدار برهم لوالديهم وحسن معاملتهم لهما .

ان هذه الصورة من الرقة والعطف والصلة والترابط لا يمكن أن يصل اليها الا موفق مبرور .. والا فاننا نشاهد بعض الأولاد يغفلون عن هذا المعنى ويهملون حقوق والديهم ... تساهلا وانشغالا في الدنيا ..

ثم اذا ولد لأحدهم طفل أخذ يحن اليه ، ويعطف عليه ، ويرق له ، وكان ذلك الطفل غيره عندما كان صغيرا ، وكان والديه ليسا ذينك اللذين ربياه وعطفا عليه وصبرا على أذاه عندما كان صغيرا ...

ولا ننكر أن بعض الأولاد يدرك حقوق والديه عندما يرزق أولادا . ولكن بعد أن يفوت الأوان ويكبر الوالدان .

فهل نتنبه لذلك قبل فوات الفرصة ؟ ...

الوالــدين :

وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة في المنبر فقال :

آمــين آمــين آمــين

فلما سأله الصحابة في ذلك قال : أن جبريل أتاني فقال : قل آمين فقلت آمين فقال : رغم أنف رجل أدرك أحد أبويه حيا أو كلاهما فلم يدخلاه الجنة قل آمين فقلت آمين ...

ان حب الوالدين فطرة لا اشكال في ذلك ولن يقول مخلوق أنه لا يحب والديه أو لا توجد بينه وبينهما محبة وصلة قوية ...

ولكن الاسلام أثبت هذا الأمر الفطرى وأكده حيث جعل الحب والرأفة والتقدير أمرا دينيا يترتب عليه مصير المرء في الآخرة ..

فالوالدان سـبب لدخول الجنة ، وهما يدخـلان أولادهما الجنـة أو يمنعانهم منهـا ...

ويقدر بر الأولاد للوالدين ، وبقدر حصولهم على رضاهما يكون الجزاء في الآخرة ... زيادة على التوفيق والنجاح والسعادة في الدنيا ولا غـرو أن يأتى الاسلام بهـذا المعنى لأنه مـن عند الله وهو الذى يعلم خفايا الأمـور ونزعات النفوس ...

اللهم أجعلنا ممن بر والديه فدخل بسببهما وبمغفرة الله ورحمته الجنة .

ثلاثــة :

جلس عبد الله بن عمر ، وعبد الملك بن مروان ، ومصعب بن الزبير في حجر اسماعيل تحت الميزاب . وأطالوا الجلوس ... ثم تذاكروا الدنيا فقالوا : ليقل كل منـا الأمنية التى تدور في ذهنه :

فقال عبد الملك بن مروان : أتمنى أن أنال الرئاسة حتى أكون خليفة للمسلمين .

وقال مصعب : أتمنى أن أحكم العراقيين وأتزوج عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين ..

وقال عبد الله بن عمر : انى أرجو الله أن يغفر لي .

وقد استجاب الله أمنية عبد الملك فكان خليفة للمسلمين ...

واستجاب أمنية مصعب فكان أمير العراقين وقد تزوج المرأتين ...

نرجو أن يكون الله قد استجاب لعبد الله بن عمر وغفر له ..

هؤلاء الثلاثة صحابى وتابعيان ... هممهم في السماء وأفكارهم عالية لكنها تختلف كاختلاف خلق وخلق الانسان ... ولقد كانوا صادقين في حديثهم عن أنفسهم ، وكانوا في مكان لا يصح فيه الكذب أو اظهار خلاف الحقيقة ... وفيه يستجاب الدعاء ...

وثلاثة :

وبمقابل هؤلاء الثلاثة ...

كان ثلاثة أشخاص يسيرون في الشارع فقالوا : ليذكر كل منا أمنية .. فقال أحدهم أتمنى أن أكون طباخا للوالي حتى أشبع من أطايب الطعام .. وقال آخر .. أتمنى أن أكون راعيا للبقر حتى أرتوى من لبنها ... وقال الثالث : أتمنى أن أكون كاتبا للوالي حتى يبلغ بي الأمر أن أحل محله اذا عزل أو مات ...

وهكذا كان الحال .. فقد تحققت أمنية الأول فصار طباخا .. وتحققت أمنية الثاني فصار راعى بقر .. وتحققت أمنية الثالث فصار كاتبا ثم واليا وكان هو (كافور الاخشيدى) ..

ويقول أبو الطيب المتنبى صاحب (كافور) في هذا المعنى ..

على قـدر أهل العزم تأتي العزائم وتـأتي على قـدر الكريم المكـارم
وتصـغر في عـين العظيم كبارها وتعظم في عـين الصـغير العظـائم

الدنيـا :

قال الخليفة المهدى ...

أسهدتنى البارحة أبيات الحسين بن مطير الأسدى في الدنيا ..

وقـد تغدر الدنيا فيضحى فقيرها غنيـا ويغـنى بعـد بؤس فقيرهـا
فلا تقرب الأمـر الحـرام فـأنه حـلاوته تفـني ويبقـى مريرهـا
وكم مـن رأينـا مـن تغير عيشه وأخـرى صـفا بعد اكدرار غديرها

أولئك الذين يفهمون المعنى ويتذوقون الأدب فلقد هزته هذه المعـاني العظيمة التى تنطبق تماما على الدنيا ، لقد فكر فيها حتى جفا جفنه النوم ... وتصور ما يمكن أن تأتى به الايام وتتحول اليه الأمور .. فلم يجد اليه النوم سـبيلا . وحقـا أن هـذه الأبيات تهز النفوس وتؤثر فيهـا وتستحق أن يطير النوم من أجلها ..

التكافل الاجتماعي

قال الله تعالى :

(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ، وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) .

هذه مبادىء للتكافل الاجتماعي .. العنـاية باليتيم ، والاحسان اليـه في المعاملة ، وحفظ ماله ... وعدم اهانته .

واحترام السائل وعدم الاغـلاظ في القول لـه ، فأما أن يعطيـه المسلم ما يستطيع ، والا فلا أقل من معاملته بمعروف ورده بالحسنى ...

والتحدث بنعمة الله عز وجل يكون في الاحسان الى اليتيم والسائل ، فالتحدث يحصل في الكلام بشكر الله وبالعمل حيث يتصدق المؤمـن بفضل مـاله .

وهكذا يضـع الاسلام المبادىء العـامة للتكافل الاجتماعي بصـوره المختلفة ، ولم يكتف بجعله مبدأ فقط بل جعله دينـا ، وأصلا متبعا ، وأمـرا بدىء بـه نبى الله ، وأمته مدعوة لاتباعه ..

النســـــل :

(تَزَوَّجُوا الْوَدُودْ الْوَلُودْ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الأَنْبِيَاء يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا القول الواضح المختصر مبدأ تحديد النسل وتكثيره ، فدعى الى تكثير النسل والعمل لـه عند العزم على الزواج ... فعلى الخاطب أن يتحقق عن مخطوبته ويحرص على أن تجتمـع فيها خلتـان ..

الأولى : الود .. والتحبب الى الزوج حتى تكفيه وتقنعه ، وترضـيه حتى يستغنى عن النظر الى النساء .. ويقنع بما لديه ..

الثانية : الولادة .. والمـرأة اذا كانت ولودا كانت سـببا في تمكن العلاقة الزوجية .. وبقاء النوع البشرى .. وفضلا عن كونه

كذلك فله في الاسلام هدف اسمى وابقى وهو مكاثرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمته الأنبياء يوم القيامة وكلما كثروا كان أكثر عبادة الله وطاعة له وتطبيقا لتعاليمه .

النفس :

كل الأدباء يتمثلون بهذا البيت ...

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التى أنت فيها

حتى غدا على لسان كثيرين ..

ولقد رأيت لوحة كتبت عليها هذه الأبيات بخط جميل وتوزيع أخاذ ضمن فيها هذا البيت ..

روح النفس بالسلو عليها لا تكن أنت جالب الهموم اليها
واذا مسك الزمان بضر لا تكن أنت والزمان عليها
ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التى أنت فيها

العلماء :

يعنى المسلمون بتقدير العلماء والاحتفاء بهم ، وبكتبهم وأماكنهم ، ولقد حدثني الأستاذ أحمد طوقان نائب رئيس الوزراء في الأردن سابقا .. قال : أنه كان يوما في زيارة لأفغانستان البلد المسلمة فكان أن زار مدينة تبعد عن (كابل) ساعة بالسيارة اسمها (اصطلف) .. وهي التى ولد فيها الامام أبو حنيفة رحمه الله ..

وقد شاهد اعتناءا فائقا ، وشعورا بالغبطة من السكان حيث ولد في مدينتهم أحد الأئمة الأربعة ...

معـــاملـة :

كان أبو موسى الأشعرى قائد الجيوش في الشام في عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فاختلف معه أحد الجنود فضربه عشرين سوطا وحلق رأسه ، فجمع الجندى شعره في كيس ، وركب جمله الى المدينة ، وعندما دخل مجلس عمر بن الخطاب رمى بالكيس أمام عمر وقال : والله لولا النـــار ••• فعجب الصحابة رضي الله عنهم ، فقال عمر أى والله لولا النار •• ثم قال ما شـــأنك فقص عليه الخبر فبكى عمر ••• ثم طلب رقعه من جلد وكتب عليها :

(مـــن عمر الى أبي موسى • ناشدتك الله الا مكنته يقتص منك ••)

فأخذها وقـــدم الشام فلامـــه بعض الصحابة ، وحاولوه أن يعفو عنـــه

وعجبوا كيف يعمل هذا بقائد المسلمين في مثل هـــذا المكان فقال الرجل •• ألا يطاع أمير المؤمنين في الشام •• فنزل أبو موسى وحسر عن رأسه وجلس بين يـــدى الرجـــل وأرخى رأســـه وقـــال : اقتص فأخـــذ الرجل العصـــا ، وقال لأبى موسى :

هل تمتنع منى بسلطانك ؟ •

قال : لا •

قال : هل تمتنع منى بسلطان أصحابك ؟ •

قال : لا •

قال : فاني قد عفوت عنك لله تعالى •••

فكبر الصحابة ••• وقام أبو موسى يحمد الله ويثنى عليـــه وانصرف الرجل ••

الأدب :

قال أحـد الأعـراب في معـرض وصـيته لابنـه بتعلم الأدب ••••

يا بنى : أن الأدب دعامة أيـد الله بهـا الألباب • وحلية زين الله بهـا عواطل الأحساب ، فالعـاقل لا يستغنى ـ وان صحت غريزته ـ عن الأدب المخرج زهرته ، كما لا تستغنى الأرض ـ وأن عذبت تربتها ـ عن الماء المخرج ثمرتهـا •••

* * *

العجب

في قصة الرجلين اللذين تلاحيا وتفاخرا فيما أتاهما الله من المال والحدائق والجنات ... فضرب الله بهما مثلا للناس يتلى دائما فيه عظة وعبرة لذوى المال ...

يقول الله تعالي ...

(وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ـ قَالَ : مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً . وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ، وَلَئِن رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً) .

لقد أعجب الرجل بنفسه فظلمها وأعجب بما أتاه الله فتمادى به العجب أن ظن أن بستانه لن يفنى أبدا ... ولن تقوم الساعة ولن يموت .... وعلى فرض أنه مات فسوف يجد هناك خيرا من جنته تلك .. ومعنى ذلك أن الغنى والسعادة قد كتبا له ولن يعدمهما في الدنيا والآخرة ...

فماذا كان أثر هذا الظن ؟ .

لقد أحيط بكل ما يملك وانتهى ما في يده بلحظة فأصابه الفزع والخوف واليأس وتحير فصار يقلب كفيه أسفا عليها وعلى ما أنفق فيها ، بعد أن أصبحت خاوية لا ماء فيها ولا شجر ...

ولكنه ندم حينما لا ينفع الندم ... وتمنى ما فرط فيه هو ...

ان هذا الجانب من هذه القصة تذكرة وموعظة لأثريائنا ليحسبوا حساب المستقبل وليعلموا أن الله الذى أعطاهم يستطيع أن يأخذ كل ما لديهم بلحظة واحدة ••• وعليهم أن ينتهزوا الفرصة لنفع الفقراء والمحتاجين ••• ومساعدة الضعفاء والمساكين ما داموا قادرين ••• ونتيجة هذا العمل لهم أنفسهم •••

من هو المسكين ؟ :

عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم المسكين بكلمات لطيفة واضحة فقال :

(ليس المسكين الذى يسأل الناس ترده اللقمة واللقمتان • انما المسكين هو الذي لا يجد ما يكفيه ويستحى أن يسأل الناس) ••••

هذا هو الذى دعا الاسلام الى الاحسان اليه والتصدق عليه واعطائه ما يكفيه له ولعياله ••

وعلى الذين يريدون أداء حق الله ، ونفع عباده المسلمين أن يتعرفوا على هذا النوع من الناس ، وهم واضحون ••

العلم :

يقول المثل العربي :

العلم جمال لا يخفى ونسب لا يجفى •••

وحقا أنه لكذلك فكم من دميم الخلقة جمله العلم وغطى عيوبه ، واشتهر لدى الناس وأحلوه من نفوسهم مكانا محترما عاليا ، وكم من وضيع حل بعلمه هام الدنيا ، وسبق الاشراف وذوى النسب •••

ومن أجمل ما رأيت في هذا المعنى هذا التضمين :

العلم مبلغ قوم رتبة الشرف	وصاحب العلم محفوظ من التلف
يا صاحب العلم رفقا لا تدنسه	بالموبقات فما للعلم من خلف
العلم يرفع بيتا لا عماد له	والجهل يهدم بيت العز والشرف

المهلب :

المهلب بن أبي صفرة قائد محنك وعالم مطلع ، له تاريخ معروف وعندما قرب أجله أراد أن يعطى أولاده درسا عمليا في الاتحاد وفائدته ، والتفرق وضرره فدعاهم الى مجلسه وتحدث اليهم ••• ثم طلب منهم أن يحضروا رماحهم فربطها حزمة واحدة ثم أمرهم واحدا واحدا بكسرها فعجزوا جميعا ثم فرقها عليهم فكسر كل واحد رمحا من غير تعب ولا مشقة ••• وعند ذلك قال لهم :

كونوا جميعا يا بنى اذا أعترى ... خطب ولا تتفرقوا آحادا

تأبى الرماح اذا اجتمعن تكسرا ... واذا افترقن تكسرت أفرادا

هذا درس عملي بلغ من شهرته وتأكده لدى العرب والمسلمين أنهم جميعا يحفظونه ويرددونه في مجالسهم ••• حتى الأطفال منهم ••• ولكن هل يعملون به ؟ ، وهذا هو المهم ••• اننا بحاجة الى العمل لا القول •••

الزمان :

قال أبو العتاهية : ـ

ما أسرع الأيام في الشهر ... وأسرع الأشهر في العمر

ليس لمن ليست له حيلة ... موجودة خير من الصبر

فاخط مع الدهر اذا خطا ... واجر مع الدهر كما يجرى

من سابق الدهر كبا كبوة ... لم يستقلها آخر الدهر

اذا كانت سرعة الأيام والشهور تختلف باختلاف الزمان وتعاقب الأيام فان زمننا هذا قد بالغ في السرعة الى حد أن صرنا لا نستطيع أن نلحقه وأن نستفيد منه ، والحق أنها مسألة اعتبارية فزمننا هذا امتلأ بالجديد والمخترعات وكثرت فيه الأعمال وانشغل الناس جميعا تبعا لذلك • فهو ضيق وهو سريع •••

ولو أنك قمت باحصائية صغيرة على مجموعة مـن أسرتك أو زملائك لوجدتهم جميعا يعتقدون بأنهم مشغولون وان الزمن يمر سريعا • على اختلاف في الأعمال التى يؤدونها والمسئوليات التى يضطلعون بهـا •

وكل الناس يرضون عن الزمن حينما يمر سريعا وهم جميعا يغفلون عن أنه مـن أعمارهم ••• وأن سرعته تدنى أجالهم •••

وبذلك نكون مـن أبى العتاهية بموافقـة الزمن ومجاراة الدهر ••••

•••• ونسأل الله حسن الختـام ••••

الاخـــوان :

من أقوال الحكماء هذه الحكمة :

خير ما أكتسب المـرء الاخوان فانهم معونة على حوادث الزمان ونوائب الحدثان ، وعـون في السراء والضراء •

حكمة صادقة اذا وجد الأخوان •• وصدقت الخلة •• وزالت الكلفة ، وشعروا أنهم اخـوة متحابون شعورهم واحد ، وفكرتهم واحدة ، وهدفهم واحد ••• ولكن أين الاخوان الذين تتحقق فيهم هذه الصفات ؟ •

لن نذهب بعيـدا في التشاؤم فلن تخلو الأرض مـن الخير ولن يعـدم الأخوان ••• ولكننا نسأل مع بشـار •••

مـن لي بانسـان اذا ما أغضبتـه ... وجهـلت كـان الحـلم رد جـوابه
واذا طربت الى الحديث شربت من ... اخـلاقه وسـكرت مـن آدابـه
وتـراه يصـغي للحـديث بقلبـه ... وبسـمعه ولـو أنـه أدرى بـه

* * *

المـــال والبنـــون

حب المال والولد حب فطرى يشترك فيه كل الآدميين ويشاركهم فيـــه الحيوانات بجملتها •••

ولا جـــدال في ذلك للحكمة التى أرادها الله عـــز وجل لتبقى الحيـــاة وتعيش المخلوقات على الأرض المدة التى يعلمها خالقهم •••

ويقرر الله عز وجل هذه الحقيقة بقوله :

(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلًا) .

وعند التعمق في سياق الآية الكريمة نجد أن الله عز وجل قـــدم المـــال على الولد ••• والحكمة واضحة لأن المال سبب البقاء وبالتالي سبب لتواجد الأولاد ولأنه أكثر جلبا للسعادة من الولد ••• لأنه لا يعاند ولا يناكف ••• وهو طوع صاحبه في كل أمر يريده •••

والأولاد سبب للسعادة في الحياة على ما فيهم من متاعب ومشكلات ••• لكن تعلقهم بوالديهم وحدبه عليهم يجعل الارتبـــاط قويـــا والحب متبـــادلا فتحصل السعادة والمتعة بهم •••

والمهم في الأمـــر هـــذه الحكمة الربانية العظيمة التى جاءت بعد هـــذه المقدمة وهى أن الباقيات الصالحات خير من المال والولد ••• لأن المال والولد يزول ويبقى العمل الصالح ••• وفي هذا ازالة لما قد يقع في ذهن من لا يولد

ولد وعلاج لنفسيته ودعوة للمؤمنين للمبادرة للأعمال الصالحة فهي خير في الثواب ، وأقوى أملا وأبقى والله على كل شيء قدير •••

العمل الباقي :

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث •• صدقة جارية •• أو علم ينتفع به •• أو ولد صالح يدعو له) ••

الولد أيضا يكون من الباقيات اذا كان صالحا في نفسه وفي عمله لأنه يدعو لوالده ويسأل الله له في كل أحواله •• وهذا لا شك عمل باق •

وهنا يأتى دور التربية ومحاولة اصلاح الأولاد وتربيتهم تربية اسلامية هادفة ••• وعدم تركهم للأهواء وللمغريات المفسدات ••• حتى يكونوا صالحين في أنفسهم ناجحين في حياتهم نافعين لآبائهم وأمهاتهم ••• وهذه مسئولية الوالدين كل بحسبه ، وعلى كل انسان أن يتخير لأولاده المكانة التى يريدها وسوف يلقى نتيجتها في حياته وآخرته •••

الأدب :

« قال عبد الملك بن مروان يوما لبنيه ••

يا بنى : لوعداكم ما أنتم فيه ما كنتم تقبلون عليه ؟ ••

قال الوليد : أما أنا ففارس حرب ••

وقال سليمان : وأما أنا فكاتب سلطان ٠

ثم قال : ليزيد فأنت ٠٠

قال : يا أمير المؤمنين ما تركا حظا لمختار ٠٠

فقال عبد الملك بن مروان فاين أنتم يا بنى من التجارة التى هى أصلكم ونسبكم ٠٠

قالوا : تلك أمور لم نتعودها ولا طاقة لنا بها ٠٠

قال : عليكم اذن بطلب الأدب ٠٠

فان كنتم ملوكا سدتم وان كنتم وسطا رأستم وان أعوزتكم المعيشة عشتم » ٠٠

يهمنا في هذه النصيحة أمران :

أولا : أن عبد الملك وهو العالم الداهية العارف بأحوال الزمان يحظ بنيه على التجارة والعمل والتكسب عن طريق الشراء والبيع ومكابدة الناس والدخول معهم في أسواقهم ٠٠ وهو ناحية مهمة بالنسبة لهؤلاء الشباب الذين يتكالبون على الوظائف وكان الأبواب قد أوصدت كلها الا هذا الباب ٠٠ وقد قعدت بهم هممهم عن القدرة على الكسب عن طريق التجارة ٠ ذلك الباب الواسع الذى لا يحد فيه الرزق ولا ينحصر فيه الدخل ، ورزق الله واسع وفضله عظيم ٠٠

الثاني : دعوته للأمر الثانى وهو الأدب ٠٠ فاذا عجز أبناؤه عن التجارة فان الأدب سيكفيهم ويحلهم محلا رفيعا ٠

ولعلنا بذلك نطرح الفكرة السائدة بين الأدباء الذى يرددون فيه دائما

عجز بيت لأحد الشعراء وهو قوله (عيشـــة الأدباء ••) ويعنون بذلك أنهـا تورث الفقر ويبقى صاحبها دائما في حاجة وعـوز ••

وسبب ذلك أن الأدب الذى عناه عبد الملك في توجيهه لأبنـاءه انما هو الأدب الرفيع السامى الذى يصقل النفس ويهذب الضمير ، ويطلق اللسان في المعالى •• ويجعل لدى صاحبه حصيلة علمية وتاريخية وشـعرية تمكنه مـن السيطرة على محدثه واجتذاب أذهان الناس ، والاستيلاء على عقولهم ••

أما الأدب الوضـيع المتداني الذى يكون هدفه المـادة فقط •• أو المتع واللذات ، والسطو على أعراض النـاس بالذم والتشهير فذلكم هـو الأدب الممجوج الذى لا يزيد صاحبه الا مهـانة وبعـدا ••

الادب ايضـا :

ومن هذا الباب فان معاوية بن أبى سفيان وهو الحكيم العاقل •• وضح الأدب في نصيحته لعبد الرحمن بـن الحكم عندما لمح لديه استعدادا للشـعر وقرضا لأبياته قال له :

يا بنى : نبغت بالشعر فاياك والتشبيب بالنساء فتعرى شريفة والهجـاء فتهجى كريما أو تثير لئيمـا ، وأياك والمدح فهو كسب الأنذال ولكن أفخـر بمآثر قومك وقل من الأمثال ما تزين به نفسك وتؤدب به غيرك وأن لم تجـد من المدح بدا فكن كالملك المرادى حـين مدح فجمع بين نفسه وبين الممدوح فقال :

أحـللت رحـلي في بنى ثقـل   أن الكـريم للكـريم محـل

والشـعر ايضـا :

يردد كثير مـن المعاصرين اليوم الزعم بـأن الشعر قـد انتهى وأمحـل سـوقه ••• معللين بذلك نفوسهم ورادين على مـن يلومهم لتقصيرهم عن قرض الشعر ••

والحقيقة أن السبب هو زهادة ما في الجعبة من الثقـافة الماضية وخلو ذاكرتهم من الرصيد الشعرى المحفوظ واتجاه بعضهم الى المعـانى الرخيصة والا فان الشعر لا تقفر سوقه ، ولن يذهب وقتـه أو يعـدم متذوقه ، بل هو النوع السامى من الأدب وهو الديوان الحافظ للتاريخ والمآثر الخالدة ..

وانما ينطبق كلامهم هذا على الشعر الدنىء الذى ينتسب الى الشـعر وليس شـعرا ..

وهذا دعبل الخزاعى يعلل هذا المعني فيقول :

يقولون ان ذاق الردى مات شعره ... وهيهـات عمـر الشعر طالت طوائله

سأقضى ببيت يحمد الناس أمـره ... ويكثر مـن أهـل الروايـة حـامله

يموت ردىء الشعر من قبـل أهله ... وجيـده يبقـى وان مـات قـائله

* * *

الحقيقــة

يقول الله تعالى :

(قُلْ انْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ)

الله عز وجل ـ هو الذى خلق الآدميين وهو يعلم ما تكنه صدورهم وما تخفيه أفئدتهم سواء أظهروا ذلك أو أخفوه ... فلا مجال للتدليس على الله .. ولا مجال للتظاهر بغير الحقيقة .. وكثير من الناس يبدى غير ما يبطن ويظهر خلاف ما يخفى وقد ينطلى هذا على المخلوقين لكنه لا ينطلى على الخالق ...

ولقد أكد الله عز وجل هذه الحقيقة حتى لا يتمادى الناس في خداع بعضهم وفي اظهار المحبة والنصح باللسان دون أن يكون ما في الصدر مطابقا لما يظهره اللسان ...

وكل انسان يعلم من نفسه ذلك ولن يخفى شيء على الله ... ولن يبقى سوى الحقيقة مهما أخفاها المرء بالقول أو العمل ..

حق الزوج :

كثير من الزوجات يلقين بالأئمة على أزواجهن وحدهم وكأنهن بريئات من المسئولية وجديرات بابعاد اللائمة عن أنفسهن .

وذلك أمر يحتاج الى التفكير .. فالمرأة كالرجل هي الأساس الثاني في الحياة الزوجية يجب أن تؤدى دورها في تهيئة السعادة لهذا البيت ومن فيه بل أن جزءا كبيرا من المسئولية تقع على عاتقها وحدها دون زوجها فهي التى تستطيع أن تجعل البيت راحة ومستقرا وتستطيع أن تجعله قلقا مزعجا لا يألفه الزوج ولا يستريح للبقاء فيه ...

ولقد أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المعنى وهو يعلم عاطفة المرأة وسرعة تأثرها وتحكم بعض النساء في أزواجهن وتعصبهن لآرائهن فوضع علاجا لذلك ووقاية من وقوعه فقال :

(اذا باتت المرأة وزوجها عليها غاضب لعنتها الملائكة حتى تصبح ...) لا شك أن الجزاء كبير ولكن الذنب أيضا كذلك لأن اغضاب الزوج سيحصل منه مفاسد لا حصر لها بالنسبة لسلوكه وتصرفه وبالنسبة لتقويض البيت ومن فيه ...

اللهم أرزقنا السعادة في الدنيا والآخرة

نصيحة للشباب :

في مقابلة لأحد الأدباء العرب للعالم الفرنسى الشهير غوستاف لوبون •• دار بينهما حديث حول الوضع في الشرق وما وصل اليه وما هي أجدى الطرق لعلاج مشكلاته ••• فكان مما قاله العالم الفرنسى :

(ان سبب انحطاط الشرق هو تركه روح الدين وتشبثه بالعقائد الباطلة فان الدين قوة أدبية لا يستهان بها ومن الواجب عليكم أن تأخذوا من دينكم ما يوافق روح العصر وان تحافظوا على تقاليدكم الحسنة وعاداتكم المرضية وعلى الطلاب الذين يأتون الى أوروبا لاقتباس المعارف أن ينتخبوا من العلوم والفنون والأفكار والعادات ما يفيد وطنهم ويوافق أخلاقهم) ••

من جد وجد :

يقول عروة بن الورد :

اذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه	شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا
وصار على الأدنين كلا وأوشكت	صلات ذوى القربى له أن تنكرا
فسر في بلاد الله والتمس الغنى	تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا
وما طالب الحاجات من كل وجهة	من الناس الا من أجد وشمرا

دعوة الى العمل والجد والاجتهاد والسعى في طلب الرزق في كل مكان ووصف لحال البطالة والكسل وكيف تؤول بصاحبها الى وضع مزر حتى يجفوه الأهل والأقارب وتنقطع صلته بهم ويتنكر له الصديق ويكون ثقيلا على أحبابه وأقرب الناس اليه •••

ان أدبنا مليء بالحكم وبمعالجة المشكلات الاجتماعية التى توجد في المجتمع •• وقد زاد على عرض المشكلة وتقبيحها أن وضع لها الحل ••

فعلاج مشكلة البطالة والعوز العمل ••• والجد فيه ، والسفر من أجل القضاء على الحاجة والضرب في الأرض طلبا لرزق الله ، وفي ذلك راحة للنفس وصحة للجسم وغنى عن الناس ••

مشـــكلة :

البيئة هي الحال التى تكون عليها الأمة وهي تختلف حسب الزمن وأهله ولها أثر على الحياة والسلوك ••• والأمثال والحكم التى تدور في كل زمن هي ترجمة للبيئة في ذلك الزمن •••

ومن هذا قصة زوجين يؤملان ويرسمان خيوطا واهية من الأمل تنتهى بحقيقة مرة هي الطلاق •

« فيقال أن بدوية جلست تحادث زوجها وتطرق الحديث الى المستقبل

فقالت : انها ستجمع صوفا وتغزله وتبيعه وتشترى به بكرا ••• فقال زوجها : اذا اشتريتيه فسأكون أنا الذى أركبه ••• قالت ••• لا ••• فألح ورفضت ••• وأصر ولم ترجع عن رأيها ••• حتى غضب زوجها وطلقها » ••

وهكذا يجري في زمننا اليوم فكثير من المشكلات التى تحدث بين الزوجين هي وهمية ناشئة من حديث يقطع به الوقت وتتحرك به الألسن لكنه ينتهي بأمر غير متوقع وهو نهاية الحياة الزوجية •••

فهل يفكر الزوجان فيما يقولان أن ذلك سيحل مشكلتهما ••



التوكــل

روى أن عوف بن مالك أسر المشركون ابنا له فأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أسر ابنى وشكا اليه الفاقة ــ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أمسى عند آل محمد الا مد فاتق الله وأصبر وأكثر من قول : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ٠

فعاد الى بيته وقال لامرأته أن رســول الله أمرنى أن نستكثر مــن قول (لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم) ، فقالت : نعم ما أمرنا به رسول الله فأخذا يقولان ذلك :

فبينما هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها وأتى بها الى والديه فنزلت هذه الآية الكريمة :

(وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) .

هــذا مثــل حي على التوكل الصــادق الذى يكــون صــادرا عــن ايمان ويقين ومعرفة بالله عز وجل واعتماد كلي عليه ٠٠ مهما جــل المصــاب وعظم الحدث ٠٠

وهذه آثار التوكل الصادق ٠٠ فأين أولئك من بعض الناس اليوم الذين يفقدون أعصابهم بحادث بسيط وأمر سهل وتخور قواهم ويفقدون الأمل بالله ويقنطون من رحمته ؟ ٠٠

لا شك أن التوكل بمقدار الايمان ٠٠٠ وأثره مترتب على قوته وضعفه وعلى كل انسان أن يدرك ذلك من نفسه ٠٠٠

الدنيــــا :

عندما تولي الخلافة أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، قدم له كأس مـــن مـــاء فيه قليل من عسل فأخذه وبكى بكاءا شديدا حتى بكى لبكائه الصحابة وأقلعوا عـــن البكاء وهو لا زال يبكى • فســـأله الصحابة عما يبكيه قـــال : كنت جالسا مـــع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدنا فرأيته يدفع شـــيئا فقلت : ما هذا الذى رأيتك تدفع ولم أر أمامك شيئا • فقال : لقد صـــورت لي الدنيا فأقبلت على فدفعتها وما زالت تلح وأدفعها حتى انصرفت ثم عادت فقالت : أما والله لئن نجوت منى فلن يسلم منى أحد بعدك ••

فخفت أن تكون الدنيا قد فتنتني •••

الشــــكوى :

مـــر شريح القاضى برجل وهو يشكو نقص حاله الى صديق لـــه فأخذ بيده وقال له : يا ابن أخي : اياك والشكوى الى غير الله ــ عز وجل ــ فـــانه لا يخلو من تشكو اليه مـــن أن يكون صديقا أو عـــدوا فأما الصديق فتحزنه وأما العدو فتشمته ، أنظر الى عينى هـــذه : والله ما أبصرت بهـــا شخصا ولا طريقا منذ عشرين سنة وما أخبرت بها أحدا الى هذه الغاية سواك •

ومثل هذا قول الشاعر :

لا تشكون الى حى فتشـــمته ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ شكوى الجريح الى الغربان والرخم

ان مثل هذا الكلام يصل الى سويداء القلب ، ويهز المشاعر ، ويقع مـــن النفس موقعا حسنا يذكرها معاملة الناس ويجعلها تفكر في الأصدقاء وأحوالهم ولكن : كيف نجمع بين هذا وبين قول الشاعر :

ولا بد مـــن شكوى الى ذى مروءة ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ يواســـيك أو يســـليك أو يتوجـــع

ان أصح ما نعلل به هذين المعنيين هو اختلاف الأحوال ، والأهداف وتغير الأفكار ، والآراء •• واختلاف طبائع وغرائز الخلق •• وحال الدنيا وتقلبهـــا

وعدم استقرارها فاذا طابت في وقت ساءت في وقت آخر •• واذا أرضت فترة أعقبتها اغضابا تارة أخرى •••

ولعل أفضل مخرج من هذا هو التوسط في الأمور فلا افراط في التشاؤم ولا تفريط في التفاؤل ••• والوسط دائما كله خير •• ولن يعدم المعروف في الدنيا ••• ما بقيت •••

* * *

القــول والعمــل

قال الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُو اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) .

القول مرتبط بالاعتقاد ، واللسان ترجمان القلب •• وفلتات لسان المرء دالة على ما يضمر وما يبطن من الأفكار والاعتقــاد •• وقد دعى الله المؤمنين الى القول السديد الصادق المطابق للحق ، الذي لا زيادة فيــه ، ولا مبــالغة ولا تقصــير ولا كتمان • ورتب على القول الصادق ، صلاح الأعمال وغفران الذنوب •••

وهاتان خصلتان عليهما أمر الدنيا والآخرة فالأعمال في الدنيا ، وحيــاة الانسان ومعاملته للناس ، ومغفرة الذنوب في الآخرة التى هى مال ابن آدم •• وكل ذلك مرتب على ما ينطق اللسان •• ان خيرا فخير وان شرا فشرا •

وعلينا أن نتحكم بهذه المضغة حتى نضمن مستقبلنا ••

البنـــــات :

عن عائشة رضي الله عنها قالت :

دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل .. فلم تجـد عندى شيئا غـير تمرة فأعطيتها اياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منهـا ، ثم قامت وخرجت فدخل النبي صلى الله عليه وسلم علينا فأخبرته فقال : من ابتلى من هذه البنات بشيء كن له سترا من النار ...

صلى الله عليك وسلم يا رسول الله لقد مسحت بهذه الكلمات على قلوب المؤمنين بهـذا العلاج النفسى ، وانها لتسلية نافعة للذين يكون حظهم مـن الأولاد بنـات ..

والمسلمون مؤمنون بقضاء الله وقدره ، وراضون بما يرزقهم الله مـن الأولاد .. وقد دعاهم الاسلام الى الرضا وأكد لهم أنهم لا يعلمون الحكمة ، ولا يدرون ماذا سيكون في المستقبل فقد تكون فتاة خيرا من فتيان ، وقـد تسعد أسرة بسبب ابنة واحدة منها .

ورغم أن حب الولد فطرة جبل عليها الخلق الا ان الاسـلام جعل تربية البنات أمرا يثـاب عليه والدهن ، ويكون له بسببه فضل على غيره ممن اوتوا البنين فقط .. والله علي كل شيء قدير ..

النســـاء :

عمر بن الخطاب الصحابى الجليل ، والمسلم الغيور ، والخليفة الناجح ، والعالم القـدير ، هو كذلك خبير بأمور النساء ، يضـع تعريفات لأحوالهن، ويعالج هذه المشكلة التى ما زالت مستعصية على مر الزمن فيقول :

« النساء ثلاث :

الأولى : امرأة تعين زوجها على الدنيا ، ولا تعين الدنيا على زوجها .

الثانية : امرأة انما هى وعا للولد .

الثالثة : امرأة انما هى غل ـ يجعله الله في عنق من يشاء من عباده » ••

صدق والله عمر لقد قسم النساء كما هن في حياة الناس ، وكل انسان يعلم التعريف الذى ، ينطبق على زوجه ولن يكون في وسعه اختيار تعريف يحبه ويهواه ولكنها الحقيقة المرة •• وقليل من النساء اللاتى يتصفن بالتعريف الأول وأقل منهن من تعترف بصفتها وخلقها ولن يستطيع زوجها أن يخبرها عن نفسها ••

ومعنى ذلك ان مشكلة النساء باقية ما بقيت الدنيا ••

الاخـــــوان :

قلنا ونقول وحق لنا أن نكرر ان الشعر ديوان العرب ، وانه سجل تاريخهم وحكمتهم ومآثرهم ، ولقد صاغوا تجاربهم شعرا يفيض رقة ، وينطق وضوحا وبيانا •

ولعل من أهم ما في الحياة الأصدقاء ومعاملتهم ، وطباعهم فان المرء بهم مربوط ، واليهم مشدود ، والحياة بدونهم طعمها مر •• وفسيحها ضيق • ولن يستغنى انسان عن الاخوان مهما بلغ من العقل ، والمعرفة والغنى •• ولو عاش وحده لانقضت حياته •••

وهنا نستعرض جانبا من هذا الديوان في الاخوان وأحوالهم ولكنه مع الأسف يبدو من جانبه المظلم •

فقد قال أحد الشعراء :

واخوان تخذتهموا دروعا فكانوها ولكن للاعادى
وخلتهموا سهاما صائبات فكانوها ولكن في فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب لقد صدقوا ـ ولكن من ودادى

وهذا بشار يتمادى في هذا الجانب فيقول :

أنت في معشـــر اذا غبت عنهـــم   بدلـــوا كـــل ما يزينـــك شـــينا
واذا مـــا رأوك قـــالوا جميعـــا   أنت مـــن أكـــرم البرايا علينـــا
مـــا أرى للانـــام ودا صـــحيحا   عـــاد كل الـــورى زورا ومينـــا

لقد أثبت بشار عادة النفاق واظهار الناس خلاف ما يبطنون .. وهـــذه خلة قبيحة ما ابتلى بهـــا مجتمع الا نقوضت دعائمه ، وخفت أخطاؤه ، وقلّ صـــوابه ... وسنستعرض جانبا مـــن الجوانب المستضيئة في المســـتقبل — ان شـــاء الله ...



جـــزاء العمـــل

قال الله تعالى :

(وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) .

العمل بوسائله وأنواعه أمر به المسلمون أمرا صريحا واضحا ، وهـــذا العمل المأمور به سينظر الله اليه ورسوله والمؤمنون ، والله عـــز وجل هـــو عالم الخفيات فلا يمكن أن ينطلى عليه شيء مما يعمله الآدميون فاذا أخلصوا وأحسنوا في عملهم فهـــو مطلع عليهم ، واذا دلسوا أو أســـاءوا فهـــو مطلع عليهم ، وسوف يخبرهم بما كانوا يعملون ... صغيرا كان أم كبيرا ، جيدا أم رديئـــا ..

وقد انفرد الاسلام بالدعوة الى العمل لأنه اذا كان العمل مفضلا لدى كل الناس فانه بالنسبة للمسلمين دين يجازون عليه ويعاقبون على تركه أو التفريط فيه ..

ومن البديهى أن الدنيا كلها تقوم على العمل وتنبنى عليه فبدون العمل لن يحصل الانتاج وبدونه لن يعمر الكون وبالتالى لن يعيش الناس .

وهذا واضح في تاريخ الأمم فبمقدار سعى الأمة وجدها تكون عظمتها ، وتعلو منزلتها بين الأمم وبمقدار كسلها أو تهاونها تبعد عن المقدمة وتبقى دائما في المؤخرة والعمل بحد ذاته شيء محبب للنفس يسليها ويشغلها عن التفكير فيما يضرها ، ويجلب لها السعادة والهناء ...

فلا غرو أن يدعو اليه الاسلام وأن يأمر به أمرا باتا ..

العلم والعمل :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم ..

دعوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم للعمل لأن العمل هو الهدف من العلم ، ولو أن انسانا كان أعلم أهل الأرض ولكنه لا يعمل بما يعلم لم يستفد من عملهولم تكن له قيمة لدى الناس ، ولم يثبت وجوده بينهم ، وبدل أن يكون مأجورا عند الله مكرما عند الناس يكون مأزورا غير ذي قيمة .

ولقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم مبدءا آخر لطلب العلم وهو أن الذي يعمل بما علم يزيد علمه ويدرك علما جديدا .. وهذه حقيقة لا شك فيها فكل شيء ينقص سوى العلم فهو يزيد باستعماله ونشره وتعليمه للآخرين ..

ولقد قال يحيى بـن خالد لشريك : علمنا مما علمك الله يا أبا عبد الله فقال له شريك : اذا عملتم بما تعلمون علمناكم ما تجهلون ٠

وهذا دليل آخر على أن العلم لا يؤدى غايته ولا يؤثر أثره الا اذا عمل به سواء أكان قليلا أم كثيرا ٠٠ وسواء أكان قديما أم حديثا ٠٠

ومن هنا تأتى ظاهرة نقص العلم في زماننا فالكثير يشكون قلة أثر العلم في السلوك الشخصى وفي الأفـراد والجماعة ٠٠ والسبب واضح هو عـدم العمل بالعلم ٠٠

الدنيـــــا :

يقول أحد الشعراء :

رأيت بنى الدنيـا كوفدين كلمـا ... ترحـل وفـد حط في أثـره وفـد
وكل يحث السـير عنهـا ونحوها ... فيمضى بـذا نعش ويأتى بذا مهـد

ما أجمل هذا التصوير للدنيا بهذا النوع الفريد من التمثيل ولعل الجمال فيه ينصب على أن الشاعر أبان أن الوفد اللاحق لا يعلم ما كان عليه الوفـد السابق وهذه ناحية مهمة لتعليل اقبال الناس على الدنيا وعدم استفادتهم مـن تجارب الذين سبقوهم فكل سـائر وكل يحث سـيره ويعجل خطوه دون أن يعيق سيره الماضى أو التفكير في المستقبل ٠

وشيء آخر وهو اجتماع المتناقضات في الدنيا فكل يبعد عنها وكل يقرب اليها وكلا الفريقين مقتنع بما يأتى من الأمور معتقد أنـه على صـواب وانه يسعى لغاية ٠٠ وبهذه المتناقضات أراد الله أن تبقى الحياة وأن يعيش الكون ٠ وهو الحكيم العليم ٠٠٠

الرجـــــال :

قال ابن المقنع : الرجال ثلاثة : حازم وأحزم منه وعاجز ، والحازم مـن

اذا نزل به الأمر لم يدهش له ولم يذهب قلبه شعاعا ولم تعى به حيلته ومكيدته التى يرجو بها المخرج منــه •••

وأخزم من هذا المقدام ذو العدة الذى يعرف الابتلاء قبل وقوعه فيعظمه اعظاما ويحتال له حيلة حتى كأنه قد لزمه فيحسم الداء قبل أن يبتلى به ويدفع الأمر من قبل وقوعه •• وأما العاجز فهو في تردد وتمن وتوان حتى يهلك ••

الحفــظ :

(روى التبريزى أنــه كان قاعدا في مسجده بمعرة النعمان ـ يقرأ على أبي العلاء المعرى شيئا من تصانيفه ••• وقال :

وكنت قد اتممت عنده سنتين لم أر أحدا من أهل بلدى فدخل المسجد رجلا للصلاة فرأيته وعرفته وتغيرت مــن الفرح فقال أبو العلاء ما أصــابك فحكيت له أنى رأيتجارا لي بعد أن لم الق أحدا من أهل بلدى سنين فقال لي: قم وكلمه فقلت لــه حتى أتــم الدرس فقال : قــم أنا أنتظرك فقمت وكلمته بالاذربية شيئا كثيرا الى أن سألت عن كل ما أردت فلما عدت وقعدت بين يديه قال لي : ما عرفت اللسان ولا فهمته غير أنى حفظت ما قلتما ثم أعــاد لفظــا بلفظ ما قلنا من غير أن ينقص منــه أو يزيد عليه فجعل جارى يتعجب غــاية العجب • ويقول كيف حفظ شيئا لم يفهمه ••)

نكتفى من التعليق على هــذا المقارنة بابناء زماننا اليوم الذين يمضون في تعلم شيء يســير سنين عديدة وعند فقدهم للكتاب لا يجدون جوابا وكأن العلم لم يمر على عقولهم ولم تسمعه آذانهم ، ولم تنطقه ألسنتهم •••

ولله في خلقه شئون •••



التقوى سبب الصلاح

قال الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا) .

تقوى الله والاستسلام له والاعتصام بحبله سبب للاجتماع والاتفاق ، الذى يدعو اليه الاسلام ويجعله مبدءا من المبادىء الهامة ومن أجل البقاء على حبل الله ، والرغبة في الاتفاق وعدم الاختلاف على المسلمين أن يتذكروا حالهم قبل الاسلام عندما كانوا أعداءا يقتل بعضهم بعضا ويعتدى بعضهم على بعض فألف الله بين قلوبهم بالاسلام فكانوا اخوة متحابين ملتقين في أفكارهم ومتحدين في أهدافهم ، ربهم واحد ودينهم واحد وقلوبهم واحدة ، وهذا منتهى الاتفاق ومنتى الالتقاء وغاية الاخوة والصفاء .

وبهذا الاتفاق والايمان تصفو الحياة وينعم أهلها وينقذهم الله من النار ويدخلهم الجنة فالاجتماع كله بركة وخير ، في الدنيا والآخرة ...

والتفرق كله مذلة وهوان وكله شقاء وبعد عن السعادة والاستقرار ...

والتفرق المقصود هنا هو كل تفرق سواء أكان في الأفكار أم في الهدف

أم في الأجسام . وسواء أكان على مستوى الافراد أم الجماعات ، وسواء أكان وقتيا أم دائما ... وهو أكبر داء تصاب بـه الأمة والأسرة فاللهم اعذنا مـن التفرق واجمع قلوبنا وانصرنا على عدونا ...

« من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه »

الاعراض عن الناس وعدم التدخل في شئونهم ، مبدأ من المبادىء التى تقوم عليها المجتمعات ... وتنبنى عليها الروابط والصلات وهو سبب للراحة النفسية والرضا والقناعة وعـدم ضياع الوقت فيما لا طائل تحته ... ومـن أجل ذلك كان التخلق بهذا الخلق مـن صـفات المسلمين الحسنة التى تجعل صاحبها عاملا بتعاليم الاسلام ممتثلا لمبادئه مقبولا عند الله ...

ولقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا المبدأ أساسا للتعايش السلمي بين الأسرة والجيران والمجتمعات وفي كل شئون الحياة ..

فاذا ترك الناس مالا يعنيهم ولم يتدخلوا في شئون الغير ولم يدسـوا أنوفهم أراحوا انفسـهم وأراحوا غيرهم وابتعدوا عـن المشكلات والخلافات واذا كان همهم تتبع عباد الله واحصاء حركاتهم وسكناتهم فقد جلبوا بعملهم هـذا هما لا يزول وتفكيرا لا ينقطع وحسرة لا تفنى وعدموا بذلك الاخـوة والاصدقاء ، وامتنع التعامل معهم والتعاون على الخير ...

ولعل هذا من انجع العـلاج النفسانى الذى تسعى اليه الامم المتحضرة اليوم وقد وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلمات مختصرة لذيذة . جزاء الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء ...

حكمـــة :

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه :

العلم خير من المال .. والعلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حـاكم والمال محكوم عليه ، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق ..

هذه حكم من عالم مجرب يشهد لها الزمن فان العلماء في كل مكان هم موضع التقدير والاجلال ومهما بلغت درجة الرجل في الغنى والشهرة فانه يحترم العالم ويقدره ويرى ان له فضلا عليه ... ولقد رأينا كثيرا ممن اغتروا بوجود قسم من المال في أيديهم فتركوا الدراسة وبعدوا عن المجال العلمى نرى أنهم يندمون ويأسفون لما فرط منهم ويتمنون العودة الى طلب العلم ولكن ذلك أصبح صعبا لا يطيقونه بعد أن ذاقوا لين العيش ورقة الحياة ... أما العالم فانه لا يتأثر بتغير الأزمان واختلاف الأحوال وبعد الأهل والخلان ... وهذا أمر معروف للجميع ...

الغناء وفساد الأذواق :

لكل زمان آية ومن آية زماننا هذا ترقي لفظة الغناء الى الفن واتخاذه حرفة له رجاله ونساؤه ومؤلفوه وملحنوه وفرقه ومشجعوه .. ومن أغرب ما في هذا الأمر أن جميع المنتسبين الى هذا الفن هم من البعيدين عن الثقافة والعلم والشعر والحكمة ... وهذا الشيء الذى يعنينا الآن ...

فاذا كانوا كذلك فسوف يكون انتاجهم لا محالة ضحلا ضارا باللغة والاخلاق وبعيدا عن تاريخ الأمة وآثارها .. فهو لا يخدم سوى اللحن فلفظه ضعيف ونظمه مرتبك .. وهدفه غير موجود وان وجد فلما يدور في خيال الناظم والمغنى فقط .. ومن أغرب ما في الأمر أن قادة الرأى ورجال الفكر بعدوا عن هذا المجال وما ظنوا أنهم بفعلهم هذا يتيحون المجال لغيرهم ويتركون الميدان لغير أهله حتى يمر الوقت وبعدها لن يستطيعوا اصلاح الوضع أو حتى توجيهه ..

ولقد كان الغناء في ماضى هذه الأمة يردد أبيات الحماسة والشجاعة ويدعو للاخلاق ، والحفاظ على كيان الأمة وتاريخها ، ويفخر بمآثرها وفضائلها ... ومنذ أن بعد عن هذه المعانى فسدت الأذواق ، وضعفت الألة فصرنا نسمع كلاما وأصواتا وطقطقة وأنغاما كلها دعية على الغناء فسدت بها الأذواق . وقل بها حصيل الأجيال وصارت على ضعفها وبعدها عن اللغة لغة

الأولاد •• ترسخ في أذهانهم وتنطبع على ألسنتهم •• وما ذنبهم هم اذا كانوا يسمعونها عدة مرات في اليوم ••

أما نحن الكبار فان أسماعنا قد ملت هذه الأصوات وضجت تلك الأنغام وصارت ازعاجا بعد أن كان أصحابها يريدون بها التملية ••• ومللا بعد الراحة •••

فالى المؤلفين ••• ومدعي الغناء نسوق هذه الكلمات آملين أن يحترموا المستمعين فيقدموا لهم ما يستحق أن يسع ••

العقل :

•• فكر المتنبى كثيرا وجرب الحياة أكثر •• ثم صاغ هذه التجارب شعرا ينطق بالحكمة ويبقى مثلا تردده الألسن على مر السنين والأعوام من ذلك قوله :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله   واخو الجهالة في الشقاوة ينعم

يجعل العقل سببا للشقاء في هذه الحياة وذلك أن العاقل يفكر ويرى بعينى عقله الحياة على حقيقتها فيتأثر لذلك لأنه يرى غير ما يراه الناس البسطاء الذين تغرهم المظاهر ، ويكتفون بما تصل اليه أبصارهم ، فترى العاقل كأنه يسير في صحراء خالية وفي طريق لا يسلكه أحد ••

ولعل أشد ما على العاقل حينما يرجع البصر ويلتفت لمن حوله يمينا وشمالا فيرى الجهال يسعدون في هذه الحياة ، وينعمون بخيراتها •• لا يهمهم منها سوى ما استطاعوا الحصول عليه من المآكل والمشرب والملبس والمركب لا يتأثرون بأحوال الناس ولا يتألمون لآلام اخوانهم ولا يعلمون ما يجرى في الأمور العامة حسب الرجل منهم بيته وطعامه •• وهو لذلك يبدو سعيدا بينما يتألم العاقل لكل ذلك •• ومن هنا كانت حكمة أبى الطيب جارية مجرى المثل ••• وحق لها ذلك •••

التهالك علي المـــادة

قال الله تعالى :

(يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا لا تُلهِكُمْ أموالكمْ ولا أولادُكم عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفعَـلْ ذَلِكَ فَأُلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ، وَأَنفِقُوا مِمَّـا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّي لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ، وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَـا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) .

كلنا ذلك المحب للمال والولد ... ولم ينكر الله علينا هــذه الطبيعة ، وذلك الخلق ، ولكنه حذرنا من التمادى في هذه المحبة حتى تلهينا عن ذكــر الله وعبادته ولقائل أن يسأل : ما علامة ذلك ؟ .

الجواب علامة ذلك اكثار النفقة في الخير والصدقة على الفقراء والمساكين من المال الذى وهبه الله لنا ... وخاصة اذا كان الرجل قويا في بدنه صحيحا في جسمه سعيدا في ماله وولده . فاذا كان يستطيع أن يغلب نفسه فينفق مــن ماله كان دليلا على أن المال والولد لم يلهياه عن الله ، ولم يغفل بسببهما عــن ذكر الله ...

ومن أجل أن يحض الله عبادة على النفقة لفت نظرهم الى أن الفرصة قد

تزول وقـد يفاجئهم الموت فلا يستطيعون ، ولو أرادوا ذلك ، ولا سـيما أن الأجل أمر محتوم لا يتقدم ولا يتأخر ..

لو عملنـا بتعـاليم ديننـا لم يبـق بيننـا فقير ولا محتـاج ولكنـا سعداء في مالنا وولدنا وبين أخواننا المسلمين ..

اخـلاق الصحابة :

دخل مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف غريب ، تبدو عليه علامات الجوع والاعياء فأجال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكره فعلم أنه لا يوجد في بيوت أزواجه طعاما . ثم اجال نظره بين صحابته فعلم أنه لا يوجد في بيوت أصحابه الذين يعـرف حالهم طعام .. فقـال : مـن يطعم هـذا ؟ فقام رجل من الصحابة فقال : أنا فقام وأخذ ضيفه معه ، وعندما استأذن على زوجته وسلم عليها أخبرها بأن معـه ضيف رسـول الله .. فقالت مرحبـا بالضيف والمضيف ... فقال هل عندك مـن طعام قالت ... لدى طعام قليل للصبية ... فأشار اليها أن تلهيهم حتى يناموا ... وأن تقـدم ما لديها مـن طعام قليل .. لضيف رسول الله .. وعندما قدمته رأى أنه قليل .. لا يكفيه هو وضيفه فقدمه لضيفه وأطفأ السراج وأظهر لضيفه أنـه يأكل معـه فشبع الضيف .. وحمد الله وسر وسر المضيفون بالنتيجة ..

وعندما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقـال للصحابي : لقـد عجب الله مـن صنيعكما البارحة ...

رحمهم الله ... لقد كانوا مثاليين في أفعالهم وتصرفاتهم ... صادقين في اسلامهم متفانين في حب رسول الله صلى الله غليه وسلم ...

الشـــــــيب :

قال الخليفة العباسي المستنجد بالله :

عـيرتني بالشـيب وهـو وقـار ليتهـا عـيرت بمـا هـو عـار
أن تكـن شـابت الذوائب مـني فالليـالي تزينهـا الأقمـار

لن تتحدث هنا عن حسن التعليل ولا عن مجال الشعر وبلاغته واختيـار التشبيه ولكن عن الشيب ، وكونه وقارا وعن الشيوخ وظهور الوقـار عليهم مظهرا وعملا ••• لقد كانت هـذه الحقيقة سائدة بين الأجيال عبر التاريخ فما أن يبلغ الرجل أشده ويبلغ أربعين عاما حتى تبدو عليه أمارات الثبات وعلامات العقل والحكمة ••• وما أن تبدو على محياه أو فوق رأسه الشعرة البيضـاء حتى يكون وقورا مهابا ، يحترمه ويجله من دون سنه ••• فلا يجلسون قبله ولا يرفعون أصواتهم عنـده ولا يتكلمون بما لا يليـق ، يسمعون حديثه ، ويستفيدون من مقاله ••• ولقد لاحظنا في زماننا اليوم ظاهرة غريبة هي عدم ظهور الوقار على الشيوخ وسبب ذلك هم أنفسهم اذ يجلسون مجالس لا تليق بهم ويتكلمون بكلام لا يصدر عن مثلهم فضعفت هيبتهم وقل احترامهم •••

وكأن الله عز وجل ـ وضع عن الشيب هيبته فصرنا نرى شبابا أبيضت رؤوسهم واختلط الأبيض بالأسود في وجوههم وهم لم يبلغوا مبلغ الشيوخ • ولم يصلوا للعقد الرابع من أعمارهم •••

ولكل زمان آيـة •••

الصـــــديق :

قال ابن المقفـع :

كان لي أخ هو أعظم الناس في عيني وكان رأس ما عظمه في عيني صـغر الدنيا في عينه • كان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهى ما لا يجده ولا يكثـر

اذا وجد ، وكان خارجا من سلطان لسانه فلا يتكلم بما لا يعلم ولا يماري فيما علم ، وكان خارجا مـن سلطان الجهالة فلا يتقدم أبدا الا على ثقـة بمنطقه . وكان أكثر دهره صامتا فاذا قال بز القائلين وكان يرى ضعيفا ومستضعفا فاذا جد الجد فهو الليث عاديا ، وكان لا يدخل في دعوى ولا يشارك في مـراء ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضيا فهما وشهودا عدولا ، وكان لا يلوم أحـدا فيما يكون القدر في مثله حتى يعلم ما عذره ، وكان لا يشكو وجعه الا عند مـن يرجو عنده البـرء ... ولا يستثير صاحبا الا أن يرجو منـه النصيحة وكان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يشتكى ولا يتشهى ، ولا ينتقم من العدو ولا يغفـل عن الولى ولا يخص نفسه بشيء دون اخوانه من جلسته وقوته واهتمامه ...

فعليك بهذه الأخلاق ان اطقتها ولن تطيقها ولكن أخذ القليل خير مـن ترك الجميع ...

هكذا يكون الصـديق ، ولكن أين الطريـق اليـه ، وأيـن يوجـد انه نادر الوجود ... وكل شيء ثمرته من جنسه فاذا حسنت اخلاقنا وطابت فعالنا ، وجد فينا من تنطبق عليه هذه الصفات ...

وكل يعلم عن نفسه أكثر من غيره ..

* * *

الامــانة العظمى

قال الله تعالى :

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً) .

ان الحمــل الذى كلف ابن آدم بحمله عبء ثقيــل عجزت عــن تحمله السموات والأرض والجبال على ســعتها وقوتهــا ، وشدتها ••• ولكن نفس ابن آدم أقوى ارادة وعزيمة من كل هذه المخلوقات •• لقد خافت الجمادات من هــذا الحمل ولكن ابن آدم لم يخش العواقب ، ولم يهب المخاطر وهو في أمره هذا ظلوم لنفسه جهول بثقل الحمل وعواقب الزمن ••

يصدق ذلك ما نشاهده اليوم من حال الناس والأعمال التى يقومــون بهــا •• فــان كثيرا منهم يظلمون أنفسهم ويظلمون أخوانهم وهم في أنفسهم قد أهملوا واجباتهم الشخصية ونسوا علاقتهم مع ربهم ••

وكأنهم ليسوا مسئولين وليسوا محاسبين •••

لو أن انسانا منا فكر قليلا واستعرض قائمة حسابه في يوم أو شــهر أو فترة يسيره لوجد النتيجة المدهشة التى تحــير عقــل اللبيب ، وتحرك كوامن النفوس حتى تبقى في بحر خضم •••

والنتيجة حقيقة واحدة هى أن الانسان يظلم نفسه ويظلم غيره ويغــالط نفسه ويسير على غير هواه •• والله هو العليم بالسرائر وخفايا الأمــور •••

المســـــلمون :

« المسلمون يد واحدة يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من ناواهم » .

كذلك كان المسلمون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده كانوا يفهمون هذا ويعملون به ويطبقونه .. وقد نفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمليا حينما أقر تصرف امرأة من الصحابة اجارت رجلا من المشتركين وأخذته بكفالتها وجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تخبره فقال :

أجرنا من اجرت يا أم عامر .....

كان شعور كل واحد منهم رجلا أم امرأة شعورا يطابق شعور الآخر ، ويجتمع معه في البدء والنهاية لأنه يصدر عن مبدأ واحد ...

لقد كانوا رضى الله عنهم يمثلون هذا الوصف أصدق تمثيل اذ هم يد واحدة على أعدائهم .. ولن يستطيع أى انسان أن يوجد مثلا أقوى أو أدل أو أدق من التعبير باليد .. فاليد قطعة واحدة في شكلها وحركتها واحساسها وتصرفها وفي استقامتها وعملها .. وهكذا ينبغى أن يكون المسلمون سواء أكان ذلك في شئونهم العادية أم في أمور المسلمين العامة .. حتى يجتمع شمل الأمة ، ويكتمل بناؤها وتنتصر على أعدائها ..

فهل يحس بذلك المسلمون اليوم ؟ ...

الصــــــديق :

اذا المرء لم يلقاك الا تكلفا — فدعه ولا تكثر عليه التأسفا
ففى الناس أبدال وفي الترك راحة — وفي القلب صبر للمحب اذا جفا
فما كل من تهواه يهواك قلبه — ولا كل من صافيته لك صافيا
اذا لم يكن صرف الوداد طبيعة — فلا خير في ود يجيء تكلفا
ولا خير في خل يخون خليله — ويلقاه من بعد المودة بالجفا

تنسب هذه الأبيات الى الامام الشافعي رحمه الله ...

وقد روى له شعر في الحكمة والمواعظ .. وهنا يستعرض حال الاخوان وودهم ووفاءهم ، واختلاف أحوالهم ولا شك أن الصديق جزء من حياة المرء لا يستغنى عنه ولا يمكن أن يغفل أمره أو يتناساه الا اذا نسى حيـاته .... ولكن الخلق مختلفون في معاملتهم كاختلاف طباعهم وأمزجتهم ..

والامام الشافعي يصف الخلة المثالية والتعامل الصادق ويرى أن العلاج هو المعاملة بالمثل وعدم التثبث بالماضي فللقلب على القلب دليل حين يلقاه .. وفي الناس ابدال لمن قطع حبل الصداقة أو أضعفه فلم ينقطع الخير من الدنيا ولم تعدم الحياة وفيـا ..

ولعل زماننا اليوم قد ضعف فيه حبل الوفاء بل قد وهن وانقطع الا أن يشاء الله ... وعلى كل انسان أن يشد حبل اصدقائه ليرى مـدى تحمله ..

معـاوية والاحنـف :

« غضب معاوية بن أبي سفيان على ابنه يزيد فاستدعى الاحنف بن قيس . وتحدث معه في شئون شتى ثم قال له : يا أبا بحر ، ما تقول في الولد ..

فقال الاحنف : ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقيلا فيملوا حياتك ، ويحبوا وفاتك فقال : لله درك يا أحنف لقد دخلت علي وأني لمملوء غضبا على يزيد فسللته من قلبي » ..

رجلان عظيمان يضربان لنا مثلا رائعا في حال الولد مع والده ... وفي السيرة التي يجب أن ينتهجها من أراد الابقاء على نفسه وولده وتجنب الغضب وانفصام المودة وانقطاع حبل الصـلة ...

وفي هذه الحادثة عبرة للوالدين .. وهو أنـه ما دام معاوية على حلمه

وقدره وعلمه وفهمه قد أحرجه يزيد وأغضبه حتى استدعى حكيما يعرض عليه الأمر ويشاركه ضراءه ويسليه عما أصابه فما بال الآخرين الذين ليسوا في درجة معاوية أو قريب منها ..

ان الدنيا حلوة مرة ، وسارة محزنة ، لا تدوم سراؤها ولا تبقي ضراؤها فاللهم أهد لنا الأولاد وأعنا على تربيتهم ..

* * *

العلاقات الاجتماعية

قال الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) .

هذه مبادىء للتعايش والحياة الاجتماعية المستقرة الثابتة ، المؤمن مأمور أمرا مؤكدا بتجنب الظن والتوهم لأن كثيرا من الظنون التى يتصورها المرء كلها اثم وسوء ولا أصل لها في الحقيقة ولكنها من الشيطان ليقوض دعائم المجتمع وليقطع الصلة بين المؤمنين ..

ومن أسباب تفرق المسلمين تتبع الأخ لأخيه ومحاسبته على ما يأتي من الأمور ومضايقته في مكانه وسكناته حتى لا يكون مستقرا آمنا .. لأنه يخاف من أخيه المؤمن أو جاره أو زميله ومن هذه الأخلاق السيئة الغيبة

والنميمة وهى أن يتحدث المؤمن عن أخلاق أخيه المؤمن المكروهة له التى لا يرضاها ولا يحب أن يستمعها أو يقول عنه ما ليس فيه ويبهته كذبا وعدوانا •• وهذا من أسوأ الأخلاق لأنه يفرق بين المتحابين ويباعد بين الأخ وأخيه والزوجة وزوجها والوالد وولده وهو سبب لتفكك المجتمع وقصم كل الروابط التى تربطه ولذلك مثل الله للغيبة والنميمة يأكل المسلم لحم أخيه المسلم ميتا ••• وهذه صفة تقشعر لها الأبدان ويأباها الانسان ولكنه يفعلها عندما يغفل عن ربه وينساق مع الشيطان وحيث أن هذه الأخلاق وتلكم الصفات تجري دائما في السر فقد أكد الله عز وجل أنه خبير بما يعمله الناس في السر والعلانية عند الصديق والعامة ••• فعلى المؤمنين أن يجتنبوا الصفات الرديئة ويتصفوا بالأخلاق الفاضلة حتى يرضوا ربهم ويعيشوا براحة وسعادة •

عادة نبويه :

« عن أم المؤمنين أم سلمه رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج من بيته قال :

(بسم الله توكلت على الله اللهم انى أعوذ بك أن أضل أو أضل ، أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على •••)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة لأمته في قوله وعمله وعادته وكل أعماله وكان حريصا على دلالة أمته على الخير ورفع الحرج عنها وتيسير حياتها واسعادها في الحاضر والمستقبل •••

وكان اذا خرج من بيته يذكر اسم الله ويستعيذ به من الضلالة والاضلال ومن الخطأ عنه وعليه ومن الظلم بسببه أو ظلمه هو أو أن يعمل عملا جاهلا أو أن يعامله أحد بذلك •

ولو أننا أعدنا النظر في هـذا الدعاء الذى كان يعمل بـه رسول الله ـ وطبعا أمته مدعوة للعمل بـه ـ لوجدنا أنه يعنى أمرا مهما في الحيـاة وهو السلامة من الناس وعـدم التعدى عليهم ومعنى هـذا هو التعايش السلمى والعلاقة الحسنة مع المجتمع حتى ينعد المرء بنفسه ويترك لغيره باب السعادة مفتوحـا واذا طبق كل انسان هـذا الاتجاه على نفسه أصبح المجتمع كله مستقيما راضـيا عن نفسـه وعن افـراده ورضى ربهم عنهم فعاشوا بأمـن وطمأنينة وسلام ...

ولا شك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما دعا بهذا الدعاء كان يتوقع حصول شيء مما استعاذ منه ، فعلى المرء أن يتوقع اصابته بشيء مـن هذه الأمور كل صباح ومساء حتى يوطن نفسه على تجنب الوقوع فيها وحتى يعد للأمر عدته قبل حدوثه ... وهكذا يرسم لنا الاسلام طريق السعادة ... ويدعونا لسلوكه .

القضـــــــاء :

لما ولي عمر بن الخطاب رضى الله عنه عبد الله بن مسعود القضاء كتب اليه وقال له :

« يا ابن مسعود : اجلس للناس طرفي النهار وأقرئهم القرآن ، وحدث عن السنة وأحرص على ما سمعت عن نبيك صلى الله عليه وسلم ولا تستنكف اذا سئلت عما لا تعلم أن تقول لا أعلم وقل اذا علمت واصمت اذا جهلت وأقلل الفتيا فانك لم تحط بالأمور علما وأجب الدعوة ولا تقبـل الهدية ـ وليست بحرام ـ ولكنى أخاف عليك القالة ... والسلام .. » .

رحم الله عمر بن الخطاب لقد وضع بهذه الرسالة القليلة اللطيفة أصـول القضاء ومسئولية القاضى .. ففيها علاقة القاضي مع ربـه ودينه وبيتـه ثم صفات المفتى وعلاقة القاضى بالناس ..

ولا شك أن القاضى هو مجموعة كل هـذه الأمور وهكذا كانت مهمته

فهو شخصية لها قيمتها المعنوية والحسية ووزنها في المجتمع ورجل هذا مركزه يجب أن يتحلي بالأخــلاق الفاضــلة ويجب أن يكون عالما مدركا وأن يكون عاقلا يحسن التصرف ويجيد الدخول والخروج مـع الناس حتى يستطيع أن يؤدى مهمته الكبيرة التى عليها جانب هام وواسع من أمور الحياة ..

فالى قضاتنا الكرام نهدى رسالة الفاروق ...

الســــــعادة :

ينسب الى الامام الشافعى رضى الله عنه هــذان البيتان :

النفس تجـزع أن تكــون فقــيرة   والفقــر خــير مــن غنى يطغيهــا

وغنى النفوس هو الكفاف فان أبت   فجميــع ما فى الأرض لا يكفيهــا

ستظل علامة الاستفهام باقية مدى الدهر ... تبحث عن تعريف مقنــع للسعادة والرضا بالحياة ...

وقــد شعر الامام الشافعى رضى الله عنه بهــذه المشكلة الباقية مدى الدهر فأدلى برأيه حولها .. ورأى أن السعادة هي القناعة فاذا قنعت النفوس رضيت بالقليل وكفاها اليسير وأن طمعت فان كل ما على الأرض لن يكفيها لأن الرغبة لا تقف عند حد . ولا تنتهى الى أمــر ... وهذا مشاهد في التاريخ ويبدو ذلك واضحا في الزمــن الحاضر اذ يظل أصــحاب الأمــوال الكبيرة جاهدين لزيادتها وكسب مال جديد .

ومن أجل ذا عرف الشافعي الغنى الذى يجلب السعادة بأنه الكفاف ... لا المال الكثير الذى يطغى ويلهي وهذا معنى البيت المشهور ..

والنفــس راغبــة اذا رغبتهــا   واذا تــرد الى قليــل تقنــع

حكمـــة :

من كثرة نعم الله عليه كثرت حوائج الناس اليه .. فان قـام بما يجب لله فيها عرضها للدوام والبقاء وان لم يقم بما يجب لله عرضها للزوال ..

حكمة قاطعـة تحكى حـال الناس حينما فضل الله بعضهم على بعض في الرزق والعقل وجاءت تبعا لذلك فرص العـزة والتمكن والرئاسة .. ولعـل كثيرا من اخواننا الذين يؤتيهم الله المال أو يتيح لهم فرصة الرئاسة يغفلون عن هذه الحكمة فنرى بعضهم يتبرمون بالناس ويتأففون من ترددهم عليهم وعرض حوائجهم وما علموا أن ذلك جزء من واجبهم وانه ابتـلاء واختبـار من الله عز وجل لهؤلاء ليرى هل يشكرون نعم الله فيؤدون ما يجب عليهم بسببها أم ينسونها وينسون موجدها فيتكبرون على عباده ولا يحسون بمشكلاتهم ولا يساهمون في حلها ... وعلى أى فكل يعمل لنفسه ويختار لها ما يشاء ....

* * *

أخـلاق رذيـلة

قال الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَـوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُو بِالْأَلْقَابِ) .

المرء في هذه الحياة لا يمكن أن يعيش وحده ولو حاول ذلك وقد امتاز الاسلام بأن جعل العلاقة بين المؤمنين دينا يجب أن يخلص فيه المؤمن وينصح لاخوانه ويحب لهم ما يحب لنفسه وقد حافظ الاسلام على العلاقة بين المؤمنين

فلا يجوز لمؤمن أن يسخر من أخيه المؤمن ولا أن يستهزىء بـه ، ولامرأة أن تسخر من أختها أو تستهزىء بها أو تغدر بها • ولا يجوز لمؤمن أو مؤمنة أن ينابزوا اخوانهم واخواتهم بالقابهم التى لا يرضـونها ، أو التى تثير حفيظتهم أو تقلق راحتهم ••• وكل هذه الصفات هي لمز للنفس وسباب لها وتحقير لها فاذا أساء المسلم الى أخيـه المسلم فهو يسيء الى نفسـه مـن حيث يدرى أو لا يدرى •

وهذه الصفات هى أساس فساد المجتمع وقطع أواصر القربى والصلاة ، فاذا وجدت في مجتمع تفكك وتباعد •• وعدمت الصلة بين أطرافه •• واذا عدمت حصلت المحبة والسعادة بين الأفراد والأسر والجماعات ••

ليتنا نعمل بتعاليم ديننا اذا لكنا أسعد المجتمعات ••

الحـــرفة :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان اخوان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحدهما يأتى الى النبى صلى الله عليه وسلم والآخر يحتـرف فشـكا المحترف أخـاه الى النبى صلى الله عليه وسـلم فقـال : (لعلك ترزق بـه) •

الاخوان هما شيء واحد في تفكيرهما وفي أعمالهما وهذه الحادثة أمـام رسول الله صلى الله عليه وسلم توضح مدى ارتباط الأخوين ببعضهما ••• ولقـد كان أحدهما يحترف ويكتسب والثانى يطلب العلم ويتردد على مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان المحترف وجـد في نفسه على أخيـه كيف يستريح ويتعب هو ويسعد ويشقى هـو فاطلع رسـول الله على طويته وكشف له عما في نفسـه فسلاه رسول الله وشجعه على الاستمرار في عمـله والنفقة على أخيه وقال له لعلك ترزق بسببه •••

وهذه الجملة اللطيفة تعنى مبدأ من مبادىء العلاقة بين الأقارب • وهي عدم بخل الرجل على أهله وقرابته وعدم امتنانه بما ينفق عليهم فلعل أحدهم يدعو له ويسأل الله له العون والتوفيق فيستجيب الله دعاءه ويعين العـامل ويكثر رزقه ويوفقه لكسب الحلال فكأنه يعمل معه ويشقى لشقوتهوهذا طبعا يحتاج الى نيـة صادقة واخلاص لله عز وجل حتى تحصل المثوبة ويرضى الله عن العامل ويقوى بدنه ويوسع رزقـه •

وهذه الحال تكثر في كل مجتمع فنحن نشاهد رجلا واحدا يقوم باعالة رجال وأسر وقد يكون هو أضعفهم بدنا وأقلهم حولا •• ولكنه بتوفيق الله يقوم باعالة أسرته وهو راض مسرور •••

شجاعة الصحابة :

في موقعة اليرموك المشهورة كان عدد جيش المسلمين أربعين ألف رجـل وعدد جيش الروم مائتين وأربعين ألفـا ••

وقبل التحام الجيش بدأت المبارزة بين شـجعان المسلمين ومن يقـدم الأعداء لمبارزتهم وقـد كانت عـدة الروم وعددهم ومظهرهم توحي بالرعب والخوف وكان في المسلمين الزبير بن العوام رضى الله عنه فتجهز للهجوم على الروم فجاءه جماعة من المسلمين وقالوا نريد أن نحارب معك ، قال : لا تقوون قالوا نعاهدك • فقال أتبعوني •• فهجم على الروم ولم يلتفت الى مـن وراءه واحجم من وراءه وتقدم الزبير فاخترق جيش الروم يقتل ويضرب بسيفه حتى انتهى الى آخرهم ثم عـاد سيرته الأولى ولما وصل جيش المسلمين قال لمـن عاهدوه : مالكم • قالوا هنـا الجيش الكثير •• ولكنا نعاهدك الآن فقال : لا تقوون فعاهدوه •• وأقبل على جيش الروم فاخترقه وحده وتخلف أصحابه وصار يضرب ويقتل وعاد سالما •••

أن نتيجـة المعـركة معـروفة وهى انتصـار المسلمين وفـوز جنـد الله فهل يقرأ المسلمون مثل هذه المنقبة وهل يستفيدون منها ؟ ••

اننا بحاجة الى رجال مثل الزبير •• وان لم يكن فلمن يشبهه أو يقلده ••
فأين هؤلاء ؟ ••

النـــاس :

قال ابن دريد يصف أخلاق الناس وطباعهم وقيمهم وموازينهم •••

والنـاس كالنبت فمنـــه رائـق غـض نضـير عـوده مـر الجنى

ومنـه ما تقتحـم العـين فـان ذقت جنـاه انسـاغ عذبا في اللهى

والنـاس ألف منهمـو كواحـد وواحـد كألـف أن أمـر عـنى

وانمـا المـرء حـديث بعـده فكـن حديثـا حسـنا لمـن وعى

تختلف أخلاق الناس كاختلاف خلقهم فمنهم مـن يعجبك مظهره ولكن يسوءك مخبره ومنهم من تحتقره العين عند رؤيته ولكنه عند ابتلائه واختباره وتجربته يملأ العين والقلب ويسر الخاطر ويرضى النفس ••

وعلى هذا المقياس يوجد في الناس رجل واحد يعـادل ألف واحد •••
ويوجد ألف من الناس يساوون واحدا فقط •

وكل المظاهر تزول وتبقى الحقيقة فلا يبقى من المرء سوى ذكره أن كان حسنا أو سيئا وعلى كل منا أن يختار ما يشتهى •••

حكمـــة :

من حكم العرب قولهم :

« خير ما أكتسب المرء الاخوان لأنهم عون على حوادث الزمان ونوائب الحدثان وعون في السراء والضراء ، وشر ما عمله المـرء التفريط بمن كسـبه منهم » •••

مهما حاول المرء أن يعيش وحده ويبتعد عن الناس فلن يستطيع لأن الله خلق الخلق ليتعارفوا ويعيشوا على هذه الأرض بسلام ويتعاونوا على عمارة الأرض .

ولابد لكل انسان من أصدقاء يخصهم عطفه ويمنحهم مودته وهؤلاء يكون عددهم قليلا والصديق المخلص منهم نادر يصعب الحصول عليه فاذا وفق أحد منا لصديق صادق فان ذلك يعتبر كسبا يجب على العاقل أن يحافظ عليه وأن لا يتركه فاذا فرط فيه فقد ضيع على نفسه ما لا يستطيع الحصول عليه ...

* * *

الناس سواسية

قال الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الناسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَي وَجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا انَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) .

في هذه الآية الكريمة مبدأ للتفاضل وللقيم بين الناس فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أبيض ولا لقريب على بعيد الا بهذه الصفة الخاصة التى هي التقوي .. بمقدار تقوى الله وطاعته يكون قدر المؤمن وفضله على أخيه المؤمن ..

والتقوى صفة متاحة لجميع بنى الانسان يستطيع كل واحد منهم أن يتصف بها وأن يتقرب من ربه ويفضل غيره ممن لم يبلغ منزلته من التقوى .

أما ما سوى ذلك فالناس سواء خلقوا مـن ذكر وأنثى وجعلوا شعوبا وقبائل ليتعارفوا ولتكون بينهم علاقات اجتماعية تمكنهم مـن عمارة الأرض والعيش على ظهرها بسلام .

وبهذا التعارف تكون الصلات الدنيوية والعلاقات الاجتماعية .. وكلهم سواء في الحقوق والواجبات . الغنى منهم والفقير والعزيز والوضيع وسوف تذوب كل هذه الصفات وتزول الألقاب ما عدا صفة واحدة وهي التقـوى .. وفي ذلك دفع للمتقين للاستزادة من هذه الصفة وتسلية للآخرين بعدم التحسر اذا لم يكونوا مثـل الآخرين في الحياه والمـال وتهوين مـن شأن الماديات وتشجيع على سلوك أحسن الطرق وأقومها .

والله هو الحكيم العليم ..

التوكل :

« عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا .. » .

في هذه الجملة النبوية الكريمة شرح لحقيقة التوكل وبيان للنوع الذى يريده الله مـن المتوكلين فالتوكل عقيدة تجعـل المؤمن يرضى ويسلم ويبعد عن نفسه الملل والسآمة ولكنها لا تمنعه من العمـل أو تدعـو الى الكسـل والخلود الى الراحة ..

أن المتوكل يؤمن بقرارة نفسه أن ربه سيرزقه وسيكفيه الشرور ولكنه يجب أن يبذل الأسباب . أما أن يترك الأخذ بالأسباب ويقبع في بيتـه ينتظر الرزق يطرق عليه الباب فهذا ليس توكلا ولكنه تواكل وكسل وعدم فهم .

وهـذا الطير المخلوق الضعيف يدرك معنى التوكل فليس لـه حول ولا طول ولكنه يخرج من عشـه ويطير في الآفـاق لطلب الرزق فاذا رزقـه الله

وشبع وامض بياض نهاره في طلاب الرزق • عاد في السماء سعيدا راضيا هانئا بحياته عند ذلك يستقر في عشه ويعيش مع أولاده بأمن وراحة ••

وهذا مثل واضح للتوكل ودليل صادق على عدم دعوة الشريعة الاسلامية الى الكسل وترك العمل ••

فهل نعجز أن نكون كالطير ••

عمــــر :

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعمل في بيتــه في طين فجاءت امرأة من البصرة تسأل بالباب فردت عليها زوجة عمر لأنــه مشغول عنها بالطين •• فسمعها تقول خمس نساء كسل كسل • فيردد كسل كسل ويبكى ويقبل عليها فيسألها عنهن ويبــدأ بالكبرى فيكتب لهــا خراجــا حتى الرابعة •• والمرأة تحمد الله فلما انتهى من الكتابة للرابعة قالت شكرا لك يا عمــر •• فتوقف عن الكتــابة للخامسة وقال : لمــا كنت تعطين الحمد لمســتحقه كنت أعطيك ما تستحقين •• ولما أعطيته لغير مستحقه توقفنا فمــرى الأربع أن ينفقن على الخامسة فانصرفت وعندما وصلت البصرة وسلمت الورقة لعامله هنــاك بكى بكاءا شديدا وقال : رحم الله كاتب هذا فبكت ثم قال : انا كنا لا نعصيه حيا فلن نعصيه ميتا وأمر بانفاذ ورقته وصرف خراجهن •• » •

لله أنت يا ابن الخطاب لقد كنت محترما حقا لأنك كنت مؤمنا بالله منفذا لتعاليم نبيه متواضعا لربك متفقدا للرعية بحــدود التعاليم الاســلامية ••• فمشكلة امرأة بالبصرة تهمك كمشكلة رجل بالمدينة وأنت كأحد الناس تعمل في بيتك وتتعاون مع أولادك وما أحــوج المسلمين الى اقتفاء اثــار اسلافهم واتباع عمل الخلفاء الراشدين ••

مسـلم هنـدى :

« (أورانق زيب) حاكم هنــدى حــكم الهنــد خمسين عامــا وولده

(شاه جاهان) وكان ورعا عالما زاهدا يأكل من عمل يده يخيط الطواقى ويكتب المصاحف . وكان أبوه ثريا يجلس على عرش الطاووس المصنوع من الذهب والجواهر وكان جده خرافيا حاول أن يخرج دينا مأخوذا من الأديان كلها ...

ولما استولت بريطانيا على الهند استطاعت أن تسرق جوهرة من عرش شاه جاهان لتضعها في تاج ملكتهم لتفخر الملكة بها ...

بنى (أورانق زيب) جامع دلهى الكبير ولما أراد افتتاحه بالصلاة لأول مرة قال : ليتقدم منكم للأمامة من لم يترك الوتر وصلاة الضحى أربعين عاما . فلم يتقدم أحد ثم تقدم هو وصلى بالناس ... وقد حكم حكما صالحا الغى البغايا وقضى على الفساد .. » .

ان هذا العمل هو الذى جعل الاسلام ينتشر في شرق آسيا ويعم القارة كلها تقريبا ثم يتجاوز حدود آسيا الى أوروبا فيتقبله أهلها ويقبلون عليه ويزهدون في دينهم ..

لقد كان أولئك دعاة في أنفسهم وفي أعمالهم وفي كل تصرفاتهم فلقد هم أهل بلدهم وخرج من تلك البلاد رجال وهبوا أنفسهم في سبيل الله ..

فهل يا ترى يجود بمثلهم اليوم اننا لا ننكر أن في باكستان والهند من يدعو لدين الله ويجاهد في سبيله ... أعانهم الله ووفقهم ..

الزمان :

لئن كان الزمان هو هذه الفترة التى يعيشها المرء في حياته فهو الشىء الذى يتردد على ألسنة الناس هذا يثنى عليه وذاك يكيل له السباب وذاك راض عنه وهذا غاضب منه ..

ولقد عالج الاسلام هذه المشكلة فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سب الدهر ..

ولم يغفل الشعر العربى هـذا المعنى فدونه بفلسفته وتعليل قـائله ••

ومن ذلك ما رواه الشيبانى قال : أتانا أبو مياس الشاعر ونحن في جماعة فقال : ما أتتم فيه • قلنا نذكر الزمان وفساده •• قال : كلا : الزمان وعـاء وما القي فيه من خير وشر كان على حاله ثم انشأ يقول :

أرى حـللا تصـان عـلى رجـال واخلاقـا تـزال ولا تصـان
يقولـون الزمـان بـه فسـاد وهم فسـدوا وما فسد الزمـان

أن الحقيقة هي هـذه فالزمان لا يفسد والدهر لا يعمل ولكن مـن في الدهر يعملون وهم الذين يصلحون ويفسدون ومن ذلك قول الخنساء :

ان الزمـان وما يفـنى لـه عجب ابقى لنـا ذنبـا واستؤصـل الراس
ان الجديدين مـع طول اختلافهما لا يفسـدان ولكن يفسـد النـاس

ومنه قول الشاعر العـونى :

يقولـون دنيانـا علينـا تغـيرت تغـيرتم أنتـم ما عرفنـا غيورهـا
الأيـام هي الأيـام ما زاد عدهـا هـذه لياليهـا وهـذى شـهورها

هذا هو التعليل الصادق لهذه المشكلة الباقية مـدى الدهر •• فليس للدهر ذنب وليس لليل والنهار سبب في سعادة وشـقاء الآدميين •• بل هم أنفسهم السبب •

فيـا ترى كيف حالنـا نحن مع زماننا •• على كل انسان أن يجيب بما يرى من نفسه وما يشاهد من عمله •••

* * *

القــوة والظلم

قال الله تعالى :

(وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَــدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَــلْ مِنْ مَحِيصٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيد) .

أعتقد جازما أنه لو ترجم معنى هذه الآية ترجمة مطابقة للمعنى الحقيقى ، ولامست هذه الترجمة مراد الله عز وجل ـ ثم كتبت بخط جميل وأهديت الى الدول التي تغمط عبــاد الله وتظلم الضعفاء • لكان لها أثر كبير في رجوعهم عن غيهم وعدم تماديهم في عنادهم ••

فكل أمة في عصرنا اليوم ترى انها قوية وأنها تؤثر على العالم وتوجــه الرأى العام العالمي اذا فكرت في أنه قد سبقها أمم قبلها أقوى منها بطشا وأشد منها تأثيرا أو أكثر منها عمارة للأرض وأبلغ منها في القول ورغم كل هذا فقد أهلكهم الله فلم يجدوا مناصا ولم يستطيعوا فرارا •

ان ذلك سيرجعهم الى عقولهم لأن في هــذا العمل الواضح البين الذى يعرفه كل أحــد ، ذكرى لكل انسان لــه قلب واع أو أذن مصغية مدركة أو شاهد مثل ذلك بنفسه وحضر عقوبة الله في حلقه ••

ونحن نشــاهد اليوم عظات جسيمة حسية تصيب الأمم مثــل البراكين والزلازل ، والفياضانات التى تأتى على السكان جميعــا •• ولكن النــاس لا يتعظون بسبب غفلتهم وعدم تذكرهم ••

فهل ينتبهــون ؟ ••

الخـــــير :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت •• »

كل الأمـــور تأتى مـــن اللسان خيرها وشرها فرب كلمة قالت لصاحبها دعني ورب كلمة أوقفت حربا ورب كلمة سببت حربا ••

والاسلام عنى بهذه المضغة المتحركة في فم الانسان فراقبها وأرشـــدها وحذرها من آثار تحركها • فهي أن نطقت بالخير أثيبت عليه وأن نطقت بشر عوقبت عليه •

وهذا نوع من أنواع توجيهها للخير فقد رتب في هـــذا الحديث الجزاء والجواب على الايمان بالله واليوم الآخر •• وهذا الجزاء والجواب هو قول الخير لمن وجده واستطاعه • فأن لم يقل خيرا فلا أقل من أن يصمت •

والسكوت فيه راحة كبيرة وسلامة من المشكلات وطاعة لله عز وجل ، واتباع لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واستجابة لدعوته •

وفي هذا القول القليل المختصر تثبيت لقاعدة مهمة بالنسبة لكل مجتمع فـــاذا كان افراد المجتمع لا يقولون الا خـــيرا •• واذا كانوا يسكتون عندما لا يعلمون ، ولا يكون موضوع الحديث يعنيهم استقر المجتمع وتفرغ افراده للعمل ولم تنشغل الجماعة بمشكلات الأفراد التىتبدأ صغيرة ثم تكبر حتى تغدو مشكلة مستعصية يئن منها المجتمع •

لقد نظم لنا ديننـــا كل شيء حتى القـــول والحديث متى يكون وكيف يكون ، ولم يبق سوى العمل ••

الصـديق الجـاهل :

يوافق عبد الله بن المقفع المثل العربي القائل :

(عدو عاقل خير من صديق جاهل)

ويرى أنه خطر يجب الابتعاد عنه ، وبلية يجب التخلص منها بأى وسيلة وداء عضال على العاقل أن يعالج نفسه منه ، فيقول :

« لا يؤمننك شر الجاهل قرابة ولا جوار ولا الف فان أخوف ما يكون الانسان لحريق النار أقرب ما يكون منها ، وكذلك الجاهل أن جاورك انصبك وان ناسبك جنى عليك وان الفك حمـل عليك ما لا تطيق وان عاشرك آذاك واخافك مع أنه عند الجوع سبع ضار وعند الشبع ملك فظ وعند الموافقـة في الدين قائد الى جهنم فانت بالهرب منه أحق منك بالهرب من سم الأسـاود والحريق المخوف والدين الفادح والداء العياء » •

لا شك في صدق هذا القول ووقوعه وانطباقه على بعض الأصدقاء ولكن قد يقول أحدنا وما الذى يجعلني أتخذ هذا صديقا ؟ وما الذى يربطنى بـه ؟ ويضطرنى اليه •• يجيب على ذلك أبو الطيب :

ومن نكد الدنيـا على الحران يرى   عـدوا لــه ما مـن صـداقته بـد

النفـس :

(خطب الحجاج بن يوسف يوما فقال :

أقدعوا هذه الأنفس فانها أسأل شيء اذا اعطيت ، وأمنع شيء اذا سئلت فرحم الله امرءا جعل لنفسه خطاما وزماما فقادها بخطامها الى طاعة الله وعطفها بزمامها عن معصية الله فانى رأيت الصبر على محارم الله أيسر من الصبر على عذابه) •

لا غرابة أن يقوم الحجاج واعظا فانه عالم عاقل مدرك لأحوال النفوس واطماعها . وهذا الكلام ليس بعيدا عن اختصاصه فقد أدب الأبدان وهو هنـا يؤدب النفوس ولا شك أن للنفس جماحا يفوق جماح الخيل ، واندفاعا يسبق الريح فهي سريعة التقلب قريبة التحول لا تقوم على حال ولا تبقى على مبـدأ الا من أدرك ذلك فصار أقوى منها وأقدر على توجيهها ..

ولن يكون ذلك الا بالتقوى والسير على نهج الصالحين والأخذ بتعاليم الله ورسوله ..

فاللهم اهدنا وأقدرنا على أنفسنا ..

الوسط خير :

وكن معقلا للعلم وأصفح عن الخنـا ... فـانك راء ما حـييت وسـامع
وأحبب اذا أحببت حبـا مقاربـا ... فـانك لا تدرى متى أنت نـازع
وابغض اذا ابغضت بغضـا مقـاربا ... فـانك لا تدرى متى أنت راجـع

علاقة الاخوان لها ميزان يحكمها فاذا طفت كفة أضيف اليها ما يعيدها للوسط واذا ثقلت الأخرى أخذ منها حتى تساوى أختها .

وما دام الزمن يلد كل يوم جديدا فان أيا منـا لا يدرى عما في الغـد وما دام جاهلا في المستقبل فعليـه أن يكون عـاقلا حسن التصرف في الحاضر يأخذ منه دليـلا على المستقبل .

والأصدقاء جانب مهم في الحياة ومعاملتهم تأتى تبعا لذلك والعاقل هـو الذى لا يسرف في الحب ولا يفرط فيه ولا يبالغ في البغض ولا ينأى في البعد بل يجعل للرجوع طريقا وللعودة موضعا ... وللتراجع محلا ..

ومن هـذا الباب المثـل العربي أحبب حبيبك هونا ما ، وابغض عدوك هونا ما وكل هذا حتى يمسك المرء بطرف الخيط ولا يقطعه وهو حـر بعـد ذلك فيما يأتي من الأمـور ..

صـفات المؤمنين

قال الله تعالى :

« وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ » .

هذه صفة من صفات المهاجرين في علاقتهم مع اخوانهم الأنصار يدعون لأنفسهم بالمغفرة ولاخوانهم الذين سبقوهم بالايمان فهذا اعتراف لهم بالفضل.

وبعد ذلك يدعون ربهم دعاءا يرفع الغل والحقد والحسد مـن قلوبهم لاخوانهم المؤمنين ..

وهذا الدعاء الأخير أساس في العلاقة الاجتماعية بين المسلمين فلا وفـاء ولا سعادة ولا استقرار لمن يضمرون خلاف ما يظهرون ولا هناء لمن يخفى غلا على أخيه المسلم لأن ذلك يحرقه هو ، ويطرد الراحة عن قلبـه ويعيش في ألم وحسرة دائمين ..

واذا كان بهذه الصفة فلن يخلص لأخيه المسلم ولن يتعـاون معـه ولن يتركه يعمل ويكافح ..

ويأتى بعـد ذلك تفكك المجتمع وتباعده وضياع مصالحه ولعل ختـام الآية الكريمة يدل على أن الصدور لابد أن تخفى شيئا وهذا الشيء صـعب وقاس ولن يطرده سوى رأفة الله ورحمته .. وهو رحيم بعبـاده ارأف بهم من الأم بولدها ...

فاللهم ازل الغل من قلوبنا انك رؤوف رحيم

العشرة الزوجية : ـ

عن أم سلمة رضى الله عنها أن رســول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(أَيَّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ) .

يحرص الاسلام دائما على بقاء العشرة الزوجية وعلى استمرارها في حالة مستقرة هادئة سعيدة والمرأة جزء مهم فيها بل انها تعتمد عليها الحيــاة اعتماد تاما ..

ولعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرك بثاقب بصيرته أن الزوجــة دائما تغضب زوجها وتأتى من الأعمال والأقوال ما يثيره ويزعجه فأورد هــذه المقدمــة التى يترتب عليها مصــير المرأة في الدار الآخــرة .. ولكن بالشرط المطلوب وهو رضــا زوجها عنها عند مماتها بمعنى بقائه راضيا طول الحيــاة لأنه اذا كان راضيا عنها في نهاية حياتها كان راضيا عنها في أول ووسط حياتها .

وفي ذلك دفع للمرأة لتحافظ على رضا زوجها دائما لأنها لا تدرى متى تكون نهاية حياتها ..

أيها الزوجات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبنا جميعا ويحرص على سعادتنا في الدنيا والآخرة وقد جعل لكن طريقــا للسعادة فلا تعصنه ولا ولا يفوتكن العمل به وفي ذلك سعادة لكن وراحة لأزواجكن وأولادكن ..

وانتن أقوى مــن الرجال احساسا واعرف بحال الرضــا والغضب ... فلا تدعن للشقاوة طريقــا ...

الكتـــــاب :

أعــز مكان في الدنيا سرج ســابح   وخــير جليس في الزمــان كتــاب

أما السابح فقد سبح حتى غرق في خضم بحر الدنيا المتلاطم فلا نكاد نجده الآن الا في أماكن السباق ومواضع التمثيــل وهكذا الدنيا فيــوم لك ويوم عليك .

وأما الثاني : وهو الكتاب فانه كاد أن يلحق زميله وأن يزهد فيه الناس حتى خلت المجالس منه واقفلت الأعين عن النظر اليه ومنعت الأيدى من ملامسته الا القليل النادر . فبعد أن كانت مجالسنا عامرة بالكتب والقراءة فيها وبعد أن كان لا يشغلنا شيء عنها وبعد أن كنا نقض الوقت في محادثتها أو جلاء المعرفة من بطونها وفي ثنايا صفحاتها أقفرت مجالسنا منها وحلت محلها أشياء تقطع الوقت وتلهى عن الكتب .. حتى اعتاد الناس هذه الحياة فلم يعد الرجل يبحث عن الكتاب الجيد ليهديه لزميله أو يتحف اصدقاءه به أو يفاجئهم باحضاره وتطور هذا الأمر حتى صار الرجل الذى قد اعتاد القراءة والمطالعة لا يقرأ ولا يسامر المكتبة والكتب ..

وهذا حدث غريب اذ أن هذا الزمن زمن الكتب وزمن العلم ولا عذر لنا في البعد لأنه قد يذل لنا فتيسر مناله ، وسهل ادراكه وقل ثمنه وجمل منظره وخف حمله وقرب تناوله . ولقد كان نادرا يصعب الحصول عليه ويبذل طالبه المال فلا يجده الا بسفر ومشاق وزمن وطول انتظار وهو ان وجده فهو حمل ثقيل وحرف غامض صغير وورق ممزق هزيل ومع ذلك كان اسلافنا يرحلون لطلب العلم ويتحملون المشقة والعناء في سبيل الحصول على مسألة واحدة ونحن اليوم قد توفر لنا كل شيء ولكننا أصبنا بصدود غريب ... وقل لي بربك ما طعم الحياة بدون كتاب وما معناها بدون قراءة وما هو الشيء الذى يستوى فيه الغنى والفقير والكبير والصغير انه التمتع بما في بطون الكتب وما تحويه من أخبار الماضيين وحياة السابقين وما تقدم من تنوير للعقل وترويض للفكر وتسلية للناظرين ...

ولا سيما في هذا الزمن الذى فسد فيه الناس وقل الجليس الصالح فلا جليس سوى الكتاب .

الوقت :

نقل ابن الجوزى في صيد الخاطر حوادث أعمال الاقدمين في الحفاظ على الوقت وتقدير قيمته قال :

رأيت العادات قد غلبت الناس في تضييع الزمان وكان القدماء يحذرون من ذلك ••

دخلوا على رجل من السلف فقالوا لعلنا شغلناك فقال : أصدقكم كنت أقرأ فتركت القراءة لأجلكم ••

وجاء رجل الى سرى السقطى فرأى عنده جماعة فقال :

صرت مناخ البطالين ثم مضى ولم يجلس •

وكان جماعة قعدوا عند معروف فأطالوا فقال :

ان ملك الشمس لا يفتر في سوقها أفما تريدون القيام ؟

المحافظة على الصلاة :

كلنا نعرف قصة اغتيال الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيد (أبي لؤلؤة) وهى قصة مشهورة لا تخفى على أحد ••

ولقد لفت نظرى أمر في سياق القصة غريب وهو أن عمر رضى الله عنه حينما أحس بالطعنة لم تلهه عن الصلاة وعن المسلمين فقد تناول من خلفه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فقدمه في المحراب ليؤم الناس ويكمل صلاتهم وقد كان فأتم عبد الرحمن صلاة خفيفة وأتمها وراءه المسلمون ••

لقد بلغ من محافظة الصحابة على الصلاة جماعة أن استمروا في تلك الساعة الحرجة التى يطير لها عقل الحليم ويغفل فيها المرء عن نفسه •• ويكثر فيها الهرج والمرج ••• فرحمهم الله لقد كانوا سادة كاملين في كل شىء ••



الامتحـــان والابتـــلاء

قال الله تعالى :

« وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ . وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٌ » .

هذا المسكن الذى أحله الله .. آدم جاء بعد الدرس العملى بفضل العلم الذى فضل الله به آدم على الملائكة وكان جزاؤه سجود الملائكة لـه واعطائه الجنة يسكنها ويستقر فيها هو وزوجه يأكلان ويشربان من حيث شاءا ما عدا شجرة واحـدة .

وفي هذا الشرط دليل ما زال قائما على أن اللذة لا تدوم وأن السعادة لا تكمل ولابد من وجود ما يضادها حتى تظهر لذتها ويبدو فضلها .. فقـد سلط الله ابليس على آدم منذ أن كانا جميعا مع الملائكة فورم أنفـه واجتذبه أصله النارى فعصى ربـه ولم يسجد لآدم الذى سـجد له جميع الملائكة .. فكان أن كبر في قلبه الحقد عليه فصـار يتابعه ويؤذيه وينغص عليه حيـاته فاستطاع بعد محاولات أن يوقع آدم في الخطأ ويجعله يخالف شرط ربه بعدم قربان الشجرة وكان ذلك سـببا لهبوط آدم وزوجـه وابليس مـن الجنـة الى الأرض .

لقد هبطوا من السعادة الى الشقاء ومن الراحة الى التعب ومن الاستقرار الى البحث عن المأوى •

اهبطوا وهم فريقان متضادان متعاديان آدم وزوجه من جهة وابليس من جهة أخرى •• وسيظل هذا العداء مستحكما حتى قيام الساعة ••

ان كثيرا من الناس ينسى هذه الحقيقة المقررة في الأزل فينساق مع ابليس ويطيع وساوسه وينفذ رغباته وهو يعلم في قرارة نفسه أنه وجد لاغوائه واشقائه ••• فحذار أن تنسوه •••

المؤمن القوى :

(عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وفِي كُلٍّ خَيْرٍ احْرِص عَلَى مَا يَنْفَعُكَ واسْتَعِنْ بالله وَلَا تَعْجَزَنَّ وإنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِي فعلْتَ كَذَا وكَذَا كَانَ كَذَا وكَذَا .. ولكن قل : قَدَّرَ اللهُ ومَا شَاءَ فَعَلَ فإِنَّ لَوْ تفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانَ .

(رواه مسلم)

في هذا الحديث حث على العمل والجد والانتاج في تفضيل المؤمن القوى على المؤمن الضعيف •

ولعله واضح من سياق الكلام أن المعنى لم يقتصر على القوة الحسية بل على القوة المعنوية التى تجعل نفس المؤمن ثابته لا تتزعزع ورأيه لا ينثنى وجأشه مربوطا لا يحل وثاقه وسوسة الأعداء ولا يهين من جانبه كيدهم أو خداعهم ومكرهم •

فالمؤمن مأمور بالحرص على ما ينفعه من كل وجوه الحياة ومأمور أن يستعين

بالله ولا يركن الى العجز والهوان ومأمور بالصمود للحوادث وعدم الاستخذاء لها وعدم الانسياق مع الشكوك والتأسف والتردد وضياع الوقت في التفكير في الماضي وماذا لو عمل كذا وكذا ان المرء له الساعة التى هو فيها وهو مأمور أن يكون سريع البديهية مدركا يأخذ للامور حسابها فاذا وقعت فعليه أن يعترف بالواقع ويقول : قدر الله وما شاء فعل .

وليعزم وليمض لشأنه ويسعى في الأرض حتى يعوض ما فاته وهذا غاية في التأثير النفسي والعلاج لراحة النفوس وطرد الأوهام عنها ..

اللهم أجعلنا مؤمنين أقوياء ..

الأمانة :

مر عبد الله بن عمر بن الخطاب براع مملوك ومعه غنم سيده فأراد أن يمتحن أمانته فقال له :

أيها الغلام هل من جزرة ؟

قال الراعى : ليس هنا ربها

قال ابن عمر : تقول له (أن الذئب أكلها) ؟

فقال له الراعى : أتق الله ...

فسر ابن عمر من هذه الأخلاق وعزم في نفسه على تشجيع صاحبها ليستمر فيها وليقلده من يراه أو يسمع به ، فاشترى الراعى من سيده وأعتقه واشترى الغنم أيضا ووهبها له ..

هذه هى أخلاق الصحابة دعوة وهداية في كل وقت وانتهاز للفرصة عندما تسنح واقدام على الخير ورغبة فيه .

وما بالكم بهذا الغلام الذى يقضى كل وقته مع غنمه ، ان دينه ثابت وأمانته راسخة لا تتزعزع مع المغريات ولا تنهنهها العروض ولا تلين منها الحيل .

وهو بعد ليس جبانا ولا خائرا فهو يرد على من دعـاه الى خيانة الأمانة بالعبارة المؤثرة القاهرة (اتق الله) اتق الله القوى المطلع العالم بخبايا النفوس الذى لا تنطلى عليه الحيل ولا التقولات ..

ومن يدرى لو أن ذلك الغلام اختلطت بدمه المدنية الحديثة وشـغلته المخترعات الجديدة وبهرته المظاهر البراقة هـل يبقى على صلابته أم يتزعزع ؟ والحقيقة انه أن كان لديه مثل ابن عمر فسيبقى ثابتا ...

النـــــاس :

قال شـــوقي :

النـــاس ذو فقــر يــروم الغــنى وآخـــــر للنـــــاس ما يقــتنى

ويســتوى هــذا وهــذا غــدا يــا وارث العــالم أنــت الغــنى

نظرة من شاعر بأحوال النـاس وما هم عليه في أهدافهم ومراميهم فكل يغالب هذه الحياة ويكابد الزمن وكل يضمر في نفســه مطلبـا ومطمحا ولكن آمالهم تختلف كاختلاف عقولهم وأفكارهم ..

والغنى أمل براق وهــدف محبوب لكنا نرومــه ونسعى اليه فمخطىء ومصيب ، وموفق وخائب ومــدرك ومحروم والأغنياء منهم من ينفعه غنــاه ومنهم من يضره ومنهم من يكون حارسا على المال لا يستفيد منه ولا يفيد غيره بل يحفظه حتى يسلمه لغيره ..

وكل الناس سواسية أمــام الله الغنى والفقــير والصــغير والكبير .. ولا يبقى غنيــا سوى الله عز وجل .

أن الذين تتفتح أذهــانهم ليســمعوا مثــل هــذا المعنى سيستفيدون منــه ويدركون معنــاه . أما الذين قلوبهم صخرية يمر عليها الماء فينســاب سريعا دون أن تتأثر به فانهم لن يتأثروا بهذه المعانى الناطقة ...

القـاضي الطبيب :

« في آخريات حياة الصحابى الجليل أبو الدرداء ولي القضاء وكان لـه صديق حميم هـو سلمان الفارسى رضى الله عنهما فكتب أبو الدرداء اليـه يقـول لـه :

هلم الى الأرض المقدسة ...

فكتب اليه سلمان أن الأرض لا تقدس أحدا انما يقدس الانسان عمله ولكن بلغنى أنك جعلت طبيبـا تداوى (يريد قاضيا تحكم بين الناس) فـان كنت تبرى فنعما لك وان كنت متطببا فاحذر أن تقتل أحدا فتدخل النار .

فكان أبو الدرداء رضى الله عنه اذا قضى بين اثنين ثم أدبرا نظر اليهما وقال : متطبب والله ارجعا فأعيدا على قضيتكما .. » .

رحم الله الصحابة لقـد كان كل كلامهم ورسائلهم خـيرا . يتناصحون ويتقبلون النصيحة ويعملون بها وكان يدفعهم الى ذلك طـاعة الله والرغبـة في الخـير ونفع النـاس ..

ولا شـك أن التمثيل الذى أورده سلمان مطابق ومناسب فان القاضى كالطبيب ذاك يقضي في الأبدان والأرواح وهذا في الحقوق والدماء ..

وكلاهما مسئولان مسئولية خطيرة .. والقاضى ذلك الرجـل الطبيب المداوى كل انسان بما يناسبه ... أعانه الله ووفقـه ...

* * *

فضل العلم

قال الله تعالى :

« وَعَلَّمَ آدمَ الأَسْماءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ العَلِيمُ الْحَكِيمُ . قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ . فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ » .

درس تقريرى لفضل العلم على أرقى صور الدروس العملية فالله هو المقرر والمسئول الملائكة والمفضل بالعلم هو آدم ..

انه لا يشك أحد في فضل كل واحد من الملائكة الذين هم عباد مطهرون يعملون بأمر الله ولكن الله عز وجل أراد أن يثبت فضل العلم بهذه الطريقة الحوارية البليغة التى لم تبق مجالا للتردد في أن صاحب العلم يفضل غيره ممن لا يعلم مهما بلغت منزلته .

ولقد آتى الله آدم هذه المنزلة العالية لأمر يعلمه هو فلم يكن لدى الملائكة علم مما كان من تعليمه له ولا مما سيكون من أنه سيستخلفه هو وذريته في الأرض .

لقد سارع آدم الى امتثال أمر ربه فأخبر الملائكة بالأسماء التى يعلمها

ويجعلها الملائكة •• وعندما انتهى منها سجد الملائكة جميعا تقديرا للعلم في شخصية آدم واكبارا لله عز وجل في علمه غيب السموات والأرض وما يظهرون وما يكنون في صدورهم •

وهكذا نرى الدلائل النظرية والعملية القديمة والحديثة في الأرض والسماء على فضل العلم وفضل حاملى العلم •••

فهل يا ترى ينسى ذلك العلماء •••• ؟

الصحة والفراغ :

(عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(نعمتان مغبون فيهما الناس ، الصحة والفراغ •)

رواه البخارى) •

لا ينكر أحد أن الصحة نعمة من نعم الله التى يهبها المخلوق ليعيش بها طول حياته فبالصحة تحلو كل الحياة ويطيب العيش ويسيغ الشراب وبضدها تظلم الدنيا وتضيق في عين المرء وتقل قيمتها فلا تساوى نقيرا ولا قطميرا ••• فلو أن أحدنا كان يملك الدنيا كلها ثم احتاج لعلاج يعتقد أنه نافع لبذلها كلها دون أن يتردد وهو لا يلوى على شىء • ولكن الله جعل الغفلة والسلوة تستولي على الآدميين حتى يالفوا الحياة وينغمسوا فيها ممتطين الصحة متناسين المرض أما الفراغ فانه الوقت الذى يستطيع أن يعمل فيه الانسان وان يستغله لتحقيق رغباته وآماله ••

ولكن الناس لا يحسون بهاتين النعمتين ويفرطون فيهما فهم مغبونون فيهما لا يشعرون بالضيق وتمر بهم الفرصة فلا يأخذون بها وتمر بهم اللحظات الحاسمة فلا ينتبهون لها فاذا مرض أحدهم تذكر صحته وندم على ما فرط فيها واذا شغل ادرك أنه أضاع الوقت المناسب للعمل ••

وهاتان النعمتان هما أساس الحيـاة ولذلك نبـه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وجوب الأخذ بهما واستغلالهما ..

وبالمناسبة فـان ظاهرة تسيطر على عصرنا الحاضر وهى الانشغال فكل الناس مشغولون ، وكل الناس لا يجدون الفراغ .. ولعل ذلك نبأ نزع البركة حتى من الوقت .. اللهم بارك لنا في وقتنا وصحتنا ،،

الخليل بن احمد :

الخليل بـن أحمد صـاحب علم العروض والتقطيع والأوزان كان عالما مدركا يقولون عنه أنه من أذكى العرب وأصفاهم تفكيرا وأدقهم ذوقا ..

كان يعلم العلم ويستقبل الطلاب من جميع الآفاق فجاءه مرة رجل مـن بـلاد بعيدة رحل في طلب علم العروض فلما جلس بين يديه بدأ يعلمه ويحاول افهامه لكن أدرك أنه بليد لن يصل فهمه الى هـذا العلم النادر الذى يعتمـد على الذوق والادراك ورغم هذا فقد اسر لشيخه أنه لم يفهم هـذا العلم وانه معقد صعب الفهم .. فقال له الخليل مرة : قطع هذا البيت :

اذا لم تستطع شـيئا فدعـه وجـاوزه الى ما تسـتطيع

فكأن الرجل أدرك مرام شيخه فخجل وترك حلقة الشيخ ثم غادر البلد .

وعندما اشتهر الخليل بذكائه واختراعه جاءه رجل يمتحنه يسأله فجعـل الخليل يفكر ويطيـل التفكير ويردد النظر الى السائل وأبطـأ في الجواب . فأعجب الرجل بنفسه وقال : لم تفكر وتكثر التأمل فان هذه المسألة لا تستدعى اطالة النظر ؟ فقال الخليل قـد عرفت مسألتك وجوابها وانما أفكر في جواب أسرع لفهمك فاتعبت نفسى بما قصدت اراحتك بـه .

فخجل الرجل وانصرف ..

انني انصح بعض طلابنـا الدارسين حديثـا الى قراءة وسماع هـذه وأمثالهـا .. حتى يستفيدوا في علاقتهم مـع مدرسـيهم واصدقائهم وبني مجتمعهم ...

ثلاثـــة ســاعات :

يقول حكماؤنا :

(على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات . ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل ، فان هذه الساعة عون له على سائر الساعات ..) .

هذه الحكمة تصلح للذين يحرصون على الوقت والاستفادة منه فينظمونه ويرتبون ساعاته ويحترمون دقائقه ولحظاته ...

أما أولئك الذين لا يقيمون للوقت وزنا وينسون أنه هــو أعمارهم فلن يستفيدوا من هذه الحكمة ولن يعرفوا هذه الساعات الثلاث فالوقت عندهم واحد ، والساعات واحدة فاما مبالغة في اللذة وانهماك فيهــا وأما اسراف في العمل ثم انقطاع ..

والعاقل هو الذى يكون وسطا بين الافراط والتفريط فساعة لعبادة الله والتفكير في مخلوقاته وأخرى للرجوع الى النفس واستعراض ما قامت بــه من عمل خلال بيــاض النهار وسواد الليل : وثالثة يخلد فيها المرء الى الراحة وتسلية نفسه بما تهواه من الأمور المباحة الشريفة التى تليق بالرجال العقــلاء وبذلك يكون وزع وقتــه واستفاد منــه ..



البنـــــــان

قال الله تعالى :

« أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أن نسَوِّيَ بَنَانَه » .

في مجال اقناع الناس بالايمان بالله واليوم الآخر خوطبوا بظاهرة مــن ظواهر خلق الله للبشر وهى قدرة الله عــز وجل على خلق وتسوية البنــان والله قادر على خلق الخلق جميعا بما فيهم البنان فلماذا خص الله هــذا الجزء الصغير مــن جسم الانسان ؟ .

لقد دلت التجارب العلمية والطبية على أن البنــان وهو رأس الأصبع يحتوى على مواد وقطع كثيرة هائلة فيها خاصية لا يدركها الا خالقها ...

فيقول العلم ان فيها على صغرها ثمانية وعشرين قطعة ..

وهذا الشيء الحسى لكن المعنوى الذى لا يدركه الناس هو ذلك الحس الخاص الكامن فيها فهى تدرك طبيعة الاجسام وطبيعة الموجودات من صلب الى ناعم ومن حار الى بــارد ومن مسالم الى محارب ثم ترسل ذلك الادراك بسرعة خارقة الى العقل فيتحرك الجسم كله على ضوء هــذه الاشارة الخفيفة الخفيــة .

ان قدرة الله بالغة وان سراً منها في هــذا الجزء الصغير مــن الجسم ولا غرو في ذلك ولا عذر لمن لم يؤمن بالله بعد أن يدرك هذه الحقيقة ...

خير الأخوين :

عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث • يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام •• »

جاء الاسلام فغيير المفاهيم وجعل الاسلام سببا في القرابة والصلة، المسلم أخو المسلم قريبا أم بعيدا أسود أم أحمر ذو معرفة وقرابة أم من أبعد الناس •

وبعد أن يصيرا أخوين لا يجوز لأحدهما أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام أو ثلاث ليالى لأن الثلاثة أيام محتملة أم بعدها فلا مجال لاستمرار الهجران وانقطاع الاتصال وتباعد الأجسام وقسوة الأرواح ••

وأى منظر أسوأ وأثقل وانكى من التقاء رجلين ثم اعراضهما عن بعضهما كأنهما جماد أو حيوان بل أن الحيوان يخاطب بعضه باللغة التى وهبها الله اياه ••

ولقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الصفة ودعا الى التحول عنها والاسراع الى الخروج منها فجعل خير الرجلين الذى يبدأ منهما صاحبه بالسلام حتى تعود الصلة وترجع المودة ••

أن هذا علاج اجتماعى ناجح يبقى على الصلة والروابط بين المجتمع الواحد •

اللغــة العــربية :

(نقــل الشيخ محي الدين الخطيب أن صاحب « مجلة الشمس » يعرف اللغة الاسبانية معرفة جيدة ويؤكد أن نصفها من أصل عربى ••

وقــد نقل عن أحد أدبــاء العرب في الأرجنتين الذى ألف كتابا باللغة الاسبانية وقد ذكر فيه الكلمات الاسبانية الكثيرة الى هى من أصل عربى •

وأخيرا أدى به البحث الى الحكم بأن اللغة العربية أقــدم لغــة حيــة وقــد ارجع كثيرا مــن الكلمات الانكليزية واللاتينية واليونانية وغيرها الى أصلها العربي وبرهن على أنها ليس لها في غــير العربية تحليل ولا تركيب فهى في غير العربية غريبة وفي العربية ذات نسب وسلالة ••) •

ويؤكد كثيرون ممن عرفوا الاسبانية اليوم أن فيها كثيرا مــن الكلمات العربية التى يعرفون لهجتها ونطقهــا ويلاحظون أن في عوائدهم ما يدل على أن أصلهم عرب ••

ان هــذا شىء لا يحتاج الى تأكيد أو تدليل ولكن الغريب في الأمر أن العرب لم يحاولوا تنمية هذا الأصل وبعثه وتحريكه فلم يفتحوا مدرسة عربية ولم يبعثوا معلمين عربا وكان الأمر لا يعنينــا •

لقد ضاعت اللغة العربية من اسبانيا ثم ضاع معها الاسلام ••

والاسبانيون وغيرهم من العالم بحاجة الى الاسلام •• ونحن مسئولون عن ابلاغه لهم فهل أدينا الأمــانة ؟ •

قــاضي :

في عهد هشام بن عبد الملك ولي القضاء (توبه بن نمر الحضرمي) فدعا امرأته وقال لهــا •

يا أم محمد : أي صاحب كنت لك ؟

قالت : خير صاحب وأكرمه ٠

قال : فاسمعى ٠ لا تعرضى لي في شيء من القضاء ولا تذكريني بخصم ولا تسألين عن حكومة فان فعلت شيئا من هذا فانت طالق ٠٠ فاما أن تقيمي مكرمة واما أن تذهبي ذميمـــة ٠

وقد كان هذا القاضى الذى قسا على زوجته من أكثر الناس شفقة على المرأة فكان من القضايا التى حكم بهـــا :

أن رجلا وامرأته اختصما عنده فطلقها فقال له توبه متعها فقال لا أفعل فسكت عنه توبه لأنه لم يره لازما له ٠

وبعد مدة أتـــاه الرجل الذى طلق امرأته في شـــهادة فقال لـــه توبه : لست قابلا شـــهادتك قال : ولـــم ؟ قال : انك أبيت أن تكون مـــن المحسنين وأبيت أن تكون من المتقـــين ٠٠

يشير الى قول الله تعالى :

« وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ » ٠

وقوله تعالى :

« وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقاً عَلَى الْمُتَّقِينَ »

الحكمـــة :

(القلوب تحتاج الى قوتهـــا من الحكمة كما تحتـــاج الأبدان الى قوتها مـــن الغـــذاء ٠٠٠) ٠

أهدي هـذه الحكمة الى اخواني أبنـاء الجيل الحاضر وأذكرهم بـأن الحكمة هي غـذاء العقول والأرواح فاذا تغذوا بهـا كانوا كمن يغذى بدنه بالطعام الصحي المتكامل واذا غفلوا عنها وأهملوها أو رغبوا عنها الى غـذاء آخر كانوا كمن لا يأكل أو يأكل ما لا ينفع ..

اننا في هذا الزمن أهملنا هذه الناحية تماما فصرنا لا نقصد الى اختيـار ما تقرأ بل أن بعضنا انصرف عن القراءة من حيث هي وبعضنا صـار يقرأ مما تلفظه المطابع من غث القول ومرذول الحديث ومهلك الوقت ..

وتبعا لذلك صارت الثقافة ضحلة والمعرفة قليلة والعقول هزيلة والفكر يعيش على الحافة ويتيه في مهـامه وخيالات لا وجود لهـا الا في أفكار مـن يكتبون لـه .

ولا شك أن ذلك من نقص الغذاء الروحي وقلة مرور الحكمة على قلبه توقظه وتشحذ ذاكرته وتفتح له مجال الفهم والادراك .

واذا أهمل الانسان قلبه فماذا يبقى له بعد ذلك .... ؟

* * *

العبادة لا تنافي طلب الرزق

قال الله تعالي :

« يا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ انْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . فَإذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » .

في هـاتين الآيتين دعـوة للسـعي في طلب الرزق والضرب في الأرض وممارسة البيع والشراء ولكنه مع ذلك تنظيم للوقت وترتيب للعمل فلا يمنع

البيع والشراء عن الصلاة وما دامت الصلاة محــددة بوقت معين فان على المسلمين ان يؤدوها في وقتها وأن يذروا البيع والشراء وأى عمل يشغلهم عنها في وقتها ثم يعودوا الى ممارسة أعمالهم •

وفي ذلك طاعة لله وترتيب للوقت وراحة نفسية وتجديد للنشـــاط ••

واذا أمعنا النظر في كيفية ارشاد الله لنا للسعى في الأرض رأينا أمــرا بالسعى وأمرا بالانتشار في الأرض والسفر لطلب الرزق وابتغاء فضل الله •

فلم يكن الرزق في يوم من الأيام يطرق الباب ليدخل على الكسلان ••• ولم يكن يوهب للاتكالى ولكن مع بذل الأسباب يهىء الله الرزق • ويعطى عبــاده العاملين •••

وهكذا نحن المسلمين مدعوون للعمل والعبادة ولن يتعارضا أبــدا •••

طـــارق :

قائد من قواد الجيوش الاسلامية تعرفونه فهو علم لا يجهله أحد ذلكم هو طارق بن زيــاد ••

كان في شبه جزيرة الأندلس •• ومعه بضعة آلاف من المسلمين •• فقابله جيش القوط بقضه وقضيضه وقوته وبأسه وفي بلاده •• وكان قائد الأعداء (لذريق ملك القوط) معه مائة ألف مقــاتل ••

عند ذلك فكر طارق في مخرج من هــذا الموقف المتأزم الحــرج فليس أمامه سوى الموت أو النصر •• وهذا ثمنه غال جدا فاين الطريق اليــه ••• لقد قرر أن يستعيض من ضآلة جنده وقلة عدته بملء صدور الجنود حماسا وتضحية وأن يرتفــع بقواهم المعنوية الى أعلى الدرجات •• وأن يقطع عنهم كل أمــل في امكان العــودة فعمــد الى الســفن التى نقلتهم فاحرقها ثــم خطب فيهم وقال :

(أيها الناس أين المفر البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله الا الصدق والصبر ...) .

لقد نفث بهـذه العبارة القصيرة في صدور جنده نارا تلتهب وحقيقـة تنطق فهم يلتفتون يمينا وشـمالا فلا يرون سـوى أسباب الموت فهم أن لم يموتوا بيد الأعداء ماتوا غرقا في البحر .. اذن ما الذى بقى مما يمكن عملـه أن يصدقوا اللقاء ويقدموا على الاعـداء فما دامـوا أمواتا فلا يهمهم بعـد طريقة الموت ولكن طريقة الملاقاة والهجوم على الأعداء فيها بصيص من الأمل وفيها رمق يتراءى لهم وفيها استجابة لدعوة الله ورسوله لهم ... فان ماتوا بهذه الطريقة كانوا شـهداء وأن انتصروا وهـذا أمـل ضعيف فتلك بغيتهم وأملهم ...

وتقدمهم القائد البطل وشدوا على عدوهم حملة رجـل واحد وهجمة الأسود الكواسر فكانت لهم الغلبة ووهبهم الله النصر بذلك الموقف التاريخى النـادر ...

وهكذا أيها الاخـوة يكون التفكير وهكذا تكون السياسة والمبـادرة والخروج من المواقف المحيرة .. وهكذا كان اسلافنا شـجاعة ورأى وطاعة واقدام واستسهال للموت اذا لم يكن طريق سواه وعدم احتقار لأنفسهم مهما قلوا وخلت أيديهم من السلاح والمال ... ولكن معهم الايمان واليقين ..

ومن أجل هـذه الصفات فتحوا الفتوح ونشروا النور والعدل في كثير من اجزاء المعمورة .

رحمهم الله ورزقنا حسن القدوة بهم والاستفادة من أعمالهم .

الجليس :

قال القاضى على الجرجاني :

ما طعمت لـذة العيش حتى　　صرت للبيت والكتاب جليسا

ليس شيء أعز عندى من العلـ　　ـم فما ابتغى سـواه انيسا

انما الـذل في مخالطة النـا　　س فدعهم وعش عزيزا رئيسا

نحن مع القاضى في أن لذة العيش وهنـاء الحيـاة في مجالسة الكتاب ومحادثته ، وتتبع أخبار الماضين ومطارحتهم العلم والأدب والحكم والأمثـال ولن يلام القاضى ولا غيره على تفضيله الكتاب على غـيره ..

أما فضل العلم فهو أمر ثابت لا يختلف فيه اثنان .. والأمر الآخر الذى يراه القاضى هو أن الذل هو مخالطة الناس والعز في الوحدة والابتعاد عـن مجتمعاتهم ولست معه في هذه الفكرة الا بعد توضيح وبيـان ...

فلقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الَّذِى يُخَالِطِ النَّاسَ وَيَصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الَّذِى لَا يُخَالِطُهُمْ وَلَا يَصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ ».

والحياة تتطلب الاختلاط بالناس ومجالستهم والعمل معهم وغشـيان مجتمعاتهم وهي سبب في الحصول على الرزق فلا يمكن أن يعيش انسـان وحده مهما حاول ذلك .

ولعل وجهة نظر القاضى ما كان عليه أصدقاؤه والمحيطون به من فسـاد في الأخلاق وسوء في المعاملة وقلة في المروءة ... ولا شك أن البعد عن هؤلاء خير من البقاء معهم وان الوحدة خير من جليس السوء ...

اهــل العقــول

قال الله تعالي :

« فَبَشِّرْ عِبَادِيَ الذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَــوْلَ فَيَتبِعُونَ أَحْسَنَهُ أولئِكَ الذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأولئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ » .

حفل القرآن الكريم بآيات تعلى من شأن العلم والعقل وتحض على تعليم العلم وفهمه وهذه منها وهي تعني الفهم والادراك واجادة الاستماع وحســن الاختيــار .

كثيرون من الناس يستمعون القول فلا يفرقون بين الحسن والأحسن بل بين الغث والسمين وقد يخرجون بنتيجة عكسية يتعصبون لها ولا يشكون في أنهم سمعوها واستخرجوا مما سمعوا وهــذا يدل على ضحالة تفكيرهم وقلة عقولهم وتعجلهم في الحكم على الأمور ..

وهنا يبشر الله عبــاده الذين هداهم ومنحهم العقول ليفكروا بهــا .. ما يسمعون وما يشاهدون فاذا سمعوا حديثا أو نقل اليهم خبر تثبتوا وأمعنوا النظر فيه . فاختاروا أحسنه وأفضله ..

ومن كان بهذه الصفة كان مؤمنا حقا صالحا للحياة وللعيش مع الناس بأمن وطمأنينة ينشر الخير ويدعو اليه وينهى عن الشر ويبتعد عنــه ..

كثر الله منهم ...

ذخـــــر :

« روى أنه كان لعبد الله بن عتبة بن مسعود رقعــة من الأرض فباعها وانفق ثمنها في سبيل الله فقال له بعض أصحابه (انسى عبد الله أن له ولدا هو أحوج ما يكون الى أن يدخر هذا المال ؟ .. » فأجاب عبد الله « ما نسيت ولكن أجعل هذا المال ذخرا لله فقال صاحبه .. وولدك .. فقال عبــد الله : أما ولدى فسأجعل الله ذخرا له .

أولئك الرجال الذين عرفوا الله حق المعرفة وأدركوا قيمة الحياة فاستفادوا مما آتاهم الله منها .. انهم يملكون الايمان الذى يقضى على كل مشكلة وينفى كل هم ، ويريح من منتظر .

ولقد كانوا لا يدخرون من المال خشية الفقر وكان توكلهم على الله يدفعهم الى ذلك ويجعلهم يؤملون بالله خيرا ولا يقتلهم الحرص على الدنيا ولا يعوقهم التفكير فيها .

ونحن اليوم بالغنا في التحسيب والتفكير وكنا على حافة طرف الجانب الآخر فتخوفنا من الحياة وظننا أننا ان لم ندخر فسوف نموت جوعا وسيقتل أولادنا العوز فمنعنا ذلك عن الانفاق في سبيل الله ..

والوسط دائما خير والاسلام يدعونا الى وسط الأمور .. فلا اسراف ولا تقتير ...

سماحة الاخلاق :

(كان المهدى يصلى الصلوات الخمس كلها بالمسجد الجامع في البصرة .. وذات يوم اقيمت الصلاة وتقدم للمحراب ليؤم الناس فتقدم اليه اعرابي وقال : يا أمير المؤمنين انني لست على طهر وقد رغبت الى الله تعالى في الصلاة خلفك فأمر هؤلاء أن ينتظروا ...

فقال المهدى : انتظروا رحمكم الله .. ودخل المحراب فوقف الى أن أقبل الاعرابي وقيل له أنه قد جاء الرجل فكبر .. فتعجب الناس من سماحة خلقه) ..

ان الاسلام يدعونا دائما الى السماحة والبساطة وفرض الصلاة جماعة من الأمور التى تعلم المسلمين التواضع وحسن الخلق وتعودهم على التعاون والتفاهم وتكون سببا في التعارف والاتفاق وحل المشكلات ...

وما على المسلمين اذا أرادوا أن يكونوا سعداء في حياتهم وآخرتهم الا أن يعملوا بدينهم ...

الحـــكم :

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : علموا أولادكم ومن ••• ومن ••• يعنى قصيدة زهير بن أبى سلمى التى منها هذه الأبيـــات :

ومـــن يصنع المعروف في غـير أهله ... يكن حمـــده ذمـــا عليـــه وينـــدم

ومـــن لم يصـــانع في أمـــور كثيرة ... يضرس بأنيـــاب ويوطـــأ بمنســـم

ومن يوف لا يذمم ومـــن يهد قلبه ... الـــى مطمـــئن البـــر لا يتجمجـــم

ومن هاب أســـابب المنايـــا ينلنـــه ... وأن يـــرق اســـباب السماء بســـلم

ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يضره ومـــن لا يتـــق الشتم يشـــتم

ومـــن يك ذا فضل فيبخل بفضـــله ... على قومـــه يســـتغن عنـــه ويذمـــم

رحم الله الصحابة لقـــد كانوا أطباء القلوب ورجال العلم والأدب وأهل الحكمة والفضـــل ••

ان عمر حريص على تخريج جيل مؤمن ثابت ملىء بالفهم والحكمة فأرشد الى تعليمه الشعر •• وليس أى شـــعر بل الشعر الذى يفيـــد العقـــل والفكر وينمى ملكة الفهم والادارك •• ويغرس الأخلاق الفاضلة التى تبنى المجتمع وتثبت دعائمه ولسنا بصدد تحليل حكم زهـــير فهى ناطقـــة ويكفيها شهادة الفاروق وثقة الخليفة البطل ذى الفكر الوقاد والنفس الأبية العالية والعقـــل الراجح الكبير • فما لى أرى مثل هذه الأبيات قد غربت عن كتب الأجيـــال ومطالعاتهم وحلت محلها أسماء غريبة وعنـــاوين عجيبة ، ومعانى أكثر غرابة وأشـــد عجبـــا ••

هل نسينا تاريخنا أم زهدنا بتراثنا أم شغلتنا عن اللب القشور ورضينا بالغث عـــن السمين •• واكتفينا بأطراف الحيـــاة عن حقيقتها •• ان أولادنا اليوم لا يحفظون مثل قصيدة زهير هـــذه •• ولكنهم يستطيعون أن يسردوا

كثير من الكلمات المرذولة الهزيلة ويستطيعون أن يقصوا قصة أجنبية في ساعات بكل اتقان واجادة .

والمسئولية في ذلك كله على رجال التعليم الذين بيدهم توجيه الأفكار وتهيئة المجال لغرس المبادىء والثقافات السليمة في نفوس الشباب ..

وهم فاعلون ان شاء الله ...

الحيـــــاء :

(جاء اعرابى ذات يوم الى على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين : ان لي حاجة يمنعنى من ذكرها الحياء ولست أملك ما أشترى به قرطاسا وقلما .. فقال على : خطها على الأرض . فكتب الاعرابى : « أنى فقير » فقال على رضى الله عنه : يا قنبر : اكسه حلتى) ..

صورة رائعة للاخلاق الكريمة التى كان عليها سلفنا الأماجد .. تواضع علي ورأفته بالفقير وملاطفته له والاسترسال معه حتى يزول عنه الحياء ويعبر عما في نفسه .. ووضوح لما كان عليه حال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه من ضيق اليد حتى لم يجد سوى حلته يكسوها الاعرابى ..

وبيان لحياء الاعرابى واستنكافه من العوز الاضطرار للسؤال حتى الى الخليفة انه قد طبع على أخلاق الاسلام ورضع لبان العزة والرفعة فهو مشدود لها برباط قوى ولن يتحول عنها الى ضدها الا للضرورة وفي مواقف خاصة مثل مجلس أمير المؤمنين ونفس على بن أبى طالب ..

لله تلك الأخلاق .. ودردر تلك الطباع ...

* * *

التفكر والتدبر

قال الله تعالى :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ » .

دعوة للتفكير وشحذ العقل لادراك حكمة الله تعالى في الخلق وقدرته على ايجاد الكون واتاحة للفرصة لذوى العقول لأعمال عقولهم والتبصر في ماء ينزل على الأرض فيختلط مع ترابتها ويجرى في فجاجها حتى يكون ينابيع خلال طبقات الأرض وبسببه تنبت البذور زروعا وأشجارا وثمارا مختلفة الألوان والروائح والطعم .

ولهذا الزرع عمر محدود ونهاية معلومة فهدا بعد أن يؤدى مهمته يذبل ويصفر حتى يجعله الله حطاما ذائبا تذروه الرياح ..

ان هذه الصورة لهذا المراحل التى جعلها الله تجرى أمام أعيننا وفي متناول أيدينا هى ذكرى لأصحاب العقول الذين يستفيدون من عقولهم وينتفعون بها . ولقد جاءت هذه الآية بعد سياق آيات في فضل العلم وأهله وأهل العقول وقيمتهم بين الناس وهى دلالة واضحة على فضل العقلاء العالمين لأنهم يستفيدون من عقولهم وينتفعون من علمهم فاذا صلحوا في أنفسهم فسيمتد صلاحهم الى من حولهم ثم الى البشرية جمعاء فهم بذرة صلاح ووسيلة خير للعالم كله ..

ولكنهم قليل والخيار دائما قليل ...

اليتيـــم :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أنا وكافل اليتيم كهاتين » ـ وأشار بالوسطى والسبابة ـ

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الرؤوف بأمته الحريص عليها في عقولهم وأبدانهم وحياتها ومماتها ادرك بثاقب نظره بالهام الله له أن اليتيم بحاجة الى رعاية وكفالة وأنه سيكون موجودا في كل حين •• وأن من يعوله سيلاقى منه شـدة وعنتا ومضايقة وألما يحتاج الى صـبر واناه • وتحمـل ومعاناة ••

وناهيك بازعاج طفل غير طفلك وملاحقة ابن غير ابنك ومشكلة عقيـد ونصف عقد من عمره تلاحقه وتشرف عليه لا شك أنه أمر صعب على النفس لا يقوى على تحمله سوى المؤمنين الصابرين ••

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يضع مبدءا لكفالة اليتيم وأن يدفع أمته الى التسابق لتربيته والعناية به مثل أولادهم أو أشـد ••• فجعل من يعمل هذا العمل معه في الجنة بجانبه وقريب منه وفي منزلته وهـذا مطمح للراغبين وأمل للعقلاء المؤمنين •• ومن أجـل ذلك فليس في المسلمين مشردون ولا متروكون بل كلهم سواء يجب أن يكفل القوى الضعيف والغنى الفقير والقادر اليتيم •• ولن توجد لهم مشكلة ما عملوا بدينهم ••

خطـة للمحاربين :

(عندما كان سعد بن أبي وقاص قـائدا للجيوش الاسلامية في عهـد عمر كتب اليه عمر كتابا أرسله اليه في الجبهة هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم •• أما بعد فانى آمرك ومن معك من الاجناد بتقوي الله على كل حال فان تقوي الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحــرب •

وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من ذنوبكم منكم من عدوكم فان ذنوب الجيش أخوف عليهم مــن عدوهم وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قــوة لأن عددنا ليس كعددهم وعدتنا ليست كعدتهم ••

فان استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة والا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا •

فاعلموا أن عليكم في سركم حفظــة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحوا منهم ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم في سبيل الله •

ولا تقولوا أن عدونا شر منا فلن يسلطه علينا •

فرب قوم قد سلط عليهم من هو شر منهم كما ســلط على بنى اسرائيل لما عملوا بمعاصى الله كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا •

وسلوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم واسأل الله ذلك لنا ولكم •• وترفق بالمسلمين في سيرهم ولا تجشمهم مسيرا يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقض مــن قوتهم فانهم سائرون الى عدو مقيم حامى الأنفس الكراع •

واقم بمن معك في كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون بها أنفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ••

ونــح منازلهم على قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها مــن أصحابك الا من تثــق بدينه ولا يرزأ أحد من أهلها شيئا •

فان لهم حركة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها ..

فما صبروا لكم فتولوهم خيرا ولا تنتصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح واذا وطئت أرض العـدو فأذك العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك أمرهم .

وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن الى نصحه وصدقه فأن الكذوب لا ينفعك خيره وأن صدقك في بعض .

والناس عين عليك وليسوا عينا لك .. » .

لو أننا اتحنا الفرصة لكل ضابط وجندى ليحفظ هـذه الرسالة لاستطعنا أن نفهمهم معنى الجهاد وقيمة مهمتهم وكيف يحاربون وكيف يعاملون ربهم وأنفسهم وزملاءهم ورؤساءهم ومرؤسيهم ثم أعداءهم .

وعلينا أن نعرض أعمال المحاربين اليوم على هذه الرسالة ونرى مـدى انطباقها وبمقدار ذلك تكون النتيجة ..

اعرابيـــة :

قال الأصمعي كنت أسير في البادية اتلقف أخبار العرب وانقل من شعرهم وقصصهم ما أسمعه عنهم فاقبلت اعرابية متلفعة ببرد تسير متعثرة تبدو عليهـا أمارات الحيـاء ولما وقفت علينا قالت :

« السلام عليكم ورحمة الله .. يا قوم تعثر بنا الدهر اذ قل منا الشكر وفارقنا الغنى وحالفنا الفقر فرحم الله امرءا فهم بعقل واعطى من فضل وواسى من كفاف واعان على عفاف » .

ان البلاغـة عنـد العـرب سليقة لا تحتـاج الى عنـاء ولا تكلف ولكم تمنيت أن توجد مثل هذه القدرة على التعبير عند علماء البلاغة ومحترفي

الأدب فهذه جمل بليغة تقطر رقة وتفيض دلالة وتمتلىء حكمة ورمزا الى المعنى الأهم .

وهو عاقبة الجحود وعدم الشكر .. ونتيجة الفاقة والحاجة والفقر وفائدة المعونة والبذل لحفظ ماء الوجه ..

وكم تمنيت أيضا أن تتاح الفرصة لمثل هذه الاعرابية لتشبع وتستريح ترى ماذا ستفعل .. انها ستفيد المكتبة العربية حكمة وعلما ..

* * *

صدق الوعد

قال الله تعالى في معرض الثناء على نبيه اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام .

« انَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ .. وَكَانَ رَسُولاً نَبِياً .. »

في سورة (مريم) ذكر الله عز وجل صفات لأنبيائه ورسله أثنى بها عليهم ، وكلهم خيار اصطفاهم الله لهداية أمته ولكن بعضهم يختص بصفات يزيد بها على غيره واسماعيل من صفاته البارزة أنه كان صادق الوعد .. ومعنى ذلك انه لا يخلف وعده أبدا . وانه يحافظ على وعده ويحترم قوله ويفي بوعده .. وهذه صفة من أبرز الصفات التى تجعل الرجل في نفسه ، محبوبا في قومه .. فلا نزاع ولا ازعاج ولا مضايقة ولا تسببا في احراج ..

ونحن العرب من ذرية اسماعيل بن ابراهيم وهذه صفة أبينا فهل نحن مثل والدنا ؟ ..

الحق انه اذا كانت صفة الوفاء خلقا دعى اليها الناس فاننا أولاهم

بالاستجابة لها .. والعمل بهـا وتطبيقها في كل حياتنا لأننا ذريـة ذلك النبى الرسول الذى امتدحه الله تعالى بهذه الصفة ، ولأننا أمـة محمد بن عبد الله الذى جاء بمكارم الأخلاق وختم الرسالات ودعا أمته لكل صفة فاضلة نبيلة وكان هو بنفسه يمثل أرقى الصفات الحميدة ..

فما عذرنا بعد كل هذا ..

ان الوفاء بالوعـد .. فضـلا عن كونه كذلك فهو مريح لصاحبه ولمن يعيش معه منظم للحياة مبـق للعلاقة الاجتماعية ... وهو لنـا دين وعـادة ووراثـة ...

المنـــافق :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آية المنافق ثلاث :

« إِذَا حَـدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ » .

المنافقون هم أولئك النوع المريض في المجتمـع الذى يضـمر الكيـد والحسد لاخوانه ويظهر خـلاف ما يبطن ويغبط النـاس حتى على وجودهم وصحتهم .. وهم أناس قـد فسـدت ضمائرهم وخبثت نفوسهم فتمادوا في الشر ، وبالغوا في سلوك أسبابه ووسائله ، والبحث عن نتائجه وآثاره ، وكل مجتمع لا يخلو من هذا النوع ولا يسلم جسمه من ذلك الوباء ...

ورسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحريص على تربية أمته تربيـة صالحة وهدايتها الى الخير ، وتجنيبها الشر .. حذر أمته من أخلاق المنافقين وأخبر أن علامات المنافق صـفات ثلاث اذا وجدت احداهن كانت دليلا على تخلق الرجل بأخلاق المنافقين وهذه العلامات هى :

الأولى : الكذب : والكذب يقوض بناء المجتمع ، ويقطع الصلات بين افراده ويورث العداوة والبغضاء في النفوس ويضر ضررا بالغا بالكاذب والمكذب عليه .. وتضيع معه الحقيقة حتى لا توجد في مجتمع فيه كذابون ..

الثانية : اخلاف الوعد : ان أخلاف الوعد صفة ذميمة تجعل الحياة مضطربة لا قيمة لها ، وتقضى على الوقت ، وتعدم الصلة بين الناس .. وتضر بمصالحهم .

الثالثة : خيانة الأمانة : وهذه صفة ذميمة تنزع الثقة من نفوس المجتمع وتورث الشك في كل واحد ، وتجعل الرجل يخون نفسه ويخون ربه ومجتمعه . واذا نزعت الأمانة فسد المجتمع وعدمت العلاقة بين افراده ..

فحذار أيها المسلمون من أن تكون فيكم علامة من علامات المنافقين وليحاسب كل منا نفسه ليرى ما لها وما عليها .. أعاذنا الله من المنافقين ...

الخمر :

حذر الاسلام المسلمين من الخمر ، جميع أنواعها وأشكال استعمالها حتى قربها .

وهذا شيء معروف لدى كل مسلم .. لأن الخمر أم الخبائث وأساس كل شر وفساد ..

وهذا تصريح لأحد أعداء المسلمين هو (هنرى ديكاسترى) يقول :

« ان أحد سلاح يستأصل به الشرقيون وأمضى سيف يقتل به المسلمون هو الخمر ...

ولقد جردنا هذا السلاح على أهل الجزائر فأبت شريعتهم الاسلامية أن

يتجرعوه ، فتضـاعف نسلهم ، ولو أنهم استقبلونا ــ كما استقبلنا قوم مـن منافقيهم ــ بالتهليل والترحيب وشربوها لأصبحوا اذلاء لنا كتلك القبيلة التى شربت خمرنا وتحملت اذلالنا ‥) ٠

ان في هـذا التصريح الذى لا يذيع فيـه صاحبه سرا ‥ اثباتاً لأمرين هامين في التخطيط للقضاء على المسلمين واضعاف شأنهم هما ‥ الخمـر ‥ وتحديد النسل ٠ ولا شك أنه اذا ماتت معنوية الرجل وانقطع نسـله انتهى وجـوده ‥

فإلى شبابنا نبعث بهذا التصريح ونحذرهم مما يحاك لهم ولعـل الغلاف البراق الذي يغلف بـه أصحاب الدعاية لهـذين الوبائين يغـر بعض السذج وقريبى التفكير الا فليعلموا أن هذين الأمرين من أفتك الأسـلحة التى تقضى على الأمم كلها فليحذروا ولينتبهـوا ٠٠٠

كريم مـن كرام :

(يروى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه غضب مرة فاشتد غضبه ــ وكان ابنه عبد الملك حاضرا ــ فلما سكن غضبه ‥ نظر الى ابنـه عبد الملك فقال له ما تقول يا بنى ‥

قال : يا أمير المؤمنين في قدر نعمة الله عندك وموضعك الذى وضـعك الله بـه وما ولاك من أمر عباده أن يبلغ بك الغضب ما أرى ‥

قال عمر : كيف قلت ٠ فأعاد عليه كلامه ‥ فقال له عمر :

أما تغضب أنت يا عبد الملك لو كنت في موقفى ؟ ٠

قال عبد الملك : ما يغنى عنى جوفي ان لم أرد الغضب فيه حتى لا يظهر منـه شىء) ٠

لا شك أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان يغضب في الله ومن أجله ‥

ولكنه سر كثيرا عندما رأى ابنه يقاصه ، ويدعوه لكتمان الغيظ .. ويقول عن نفسه أنه لن يظهر غضبه من جوفه ..

لله أنت يا عمر .. ولله ابنك .. وهكذا يكون الكريم من الكرام ...

ان الغضب صفة ذميمة ما لم يكن في ذات الله وهو من أسوأ الصفات التى تذهب بالعقل وتفوت الفرص وتضر بصاحبها وتقطع صلته بأهله وأحب الناس اليه ، ولقد نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا وحذر من مغبتها ..

وأسوأ الغضب ما كان بدون سبب أو لأسباب تافهة وفي غير موضعه ، ولا يكون هذا الا عندما يفقد المرء موازين عقله ، ولا يملك التصرف بها ...

نجانا الله من الغضب ....

خلـــق :

ينسب الى الامام على رضى الله عنه هذان البيتان :

صن النفس واحملها على ما يزينها	تعش سالما والقول فيك جميل
ولا تـريـن النفس الا تجمـلا	كبا بك دهر أو جفـاك خليل

رغم ان النفس هى أخص شيء في الانسان الا أنها تخدعه وتعمل أفعالا لا تليق بها .. فلا بد من قسرها وحملها على الأفعال الحسنة التى تجعلها حميدة ، سليمة من الصفات الرذيلة ، تنال رضا الرب وثناء الانسان . ومن أجل ذلك فلا بد من تحمل المشاق والتغلب عليها واظهار التجمل عند تخلى الأصدقاء وقسوة الزمان وهذه صفة لا يقوى عليها الا الرجال العظماء الذين يملكون السيطرة على نفوسهم ولا شك ان على بن أبى طالب من أولئك الرجال الأفذاذ .. الذين يستطيعون قسر نفوسهم والتحكم فيها حتى بلغوا المنزلة السامية وبزوا اقرانهم في الشجاعة والعلم والكفاح ... فرحمهم الله ورزقنا حسن الاسوة ..

* * *

المجتمـع المثـالي

قال الله تعالى :

« مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ » .

بلغ المجتمع الاسلامى في المدينة المنورة غايته ووصل الى أرقى الحالات الاجتماعية تماسكا وصحبة وتعاونا وارتباطا ..

فقد أفاض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من روحه حتى صفت قلوبهم وطابت أنفسهم فكانوا كنفس واحدة وجسد واحـد وكانت السمات التى تبدو في ذلك المجتمع انهم في غـاية التراحم بينهم والرقة في التعامل مـع بعضهم .

وفي غاية الشدة مع الكفار والأعداء .. وفي الوقت الذى يكونون فيـه أقوياء أشداء في الحرب والجهاد تراهم في العبادة متمسكين والى الاكثار منها متسابقين فلا تراهم الا ركعا سجدا يعبدون الله ويسألونه القبول والنصر على الأعداء .. انهم يبتغون فضلا من الله في الدنيا ورضوانا منه في الآخرة .

وكان أثر هذه الصفات تبدو في وجوههم فلو رآهم أحد ممن لا يعرفهم لعرفهم ولأدرك انهم العبـاد المجاهدون والاخـوة المتحابون لا يحتاجون الى التعريف بأنفسهم ولا الى الدعاية لأشخاصهم وانما هم أعضاء في هذا المجتمع الاسلامى الكبير ..

رحمهم الله وجمعنا بهم في جنـات النعيم ..

شفـــاعة نبينـا :

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« انِّى مُمْسِكٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ - هَلُمَّ عَنِ النَّارِ - هَلُمَّ عَنِ النَّارِ - لَكِنَّكُمْ تُقَاحُمُونَ فِيهَا تَقَاحُمَ الْفَرَاشِ أَو الْجَنَادِبَ فأُوشكُ أَنْ ارْسلَ بحجزِكُمْ - وانا فرطكم على الْحَوْضِ تَرِدُونَ عَلَيّ جَمَاعَاتٍ وَأَشْتَاتاً ، فَأَعرفكُمْ بِسِيمَاكُمْ وَأَسْمَائِكُمْ كَمَا يَعرِف الرجلُ الغرِيبةَ من الإِبِلِ في إِبلِهِ . وَيُذْهب بكم ذات الشمال ، وَأَنَاشِدُ فِيكُم رَبّ الْعَالمينَ فَأَقُول : أَيْ رَبِي أُمتِي ، فيقول يامحمد « انَّكَ لا تَدْرِى ما احْدَثُوا منْ بَعدِكَ انَّهُم كانُوا يمشُون بعْدَكَ القهقرَى على اعقَابِهِمْ » .

وودت لو أن الناس يعنون بترداد هـــذه العبارات التى تقطر بلاغــة وصفاء وتفوح رقة واخلاصا وحدبا من الرسول على أمتـــه .. وتقف معانيها هذه ناطقة الا يا أمـــة محمد .. انتبهوا من غفلتكم ولا تغتروا بما أنتم فيـــه من العرض الزائل ولا يستهوينكم الشيطان ببهرجه وخداعه فتقتحموا النـــار بطوعكم ورغبتكم وعملكم وأنتم لا تحسون ذلك .. ان اقتحام النار لا يعنى الوقوع بنار حامية في الدنيا ولكنه يعنى الانســياق وراء الشهوات والملذات الدنيوية والغفلة عن الله والبعد عن الخير ومجانبة الطريق المستقيم .

وودت لو أترك هذه الكلمات التى تشع نورا تعبر عن نفسها وتسمعونها مرات حتى تصل الى أعماق قلوبكم فتعوها وتدركوا مراميها .

جزاك الله خيرا عـــن أمتك يا رسول الله فلقد هديتهم للخير ووضحت

لهم الطريق وجاهدت في الله حق جهاده ثم ها أنت تتابعهم في الآخرة وتسعى لمصلحتهم وتحرص على ضعفتهم فتنقذهم من النار وتدلهم على الجنة •

الا فلا يضلن بعد اليوم الا هالك ولا يزيغ عن الطريق الا ضـال فاللهم أهدنا وأرزقنا فهم كلامك وكلام رسولك ولا تحجبـه عنـا بذنوبنا •••

* * *

المصـــائب

قال الله تعالى :

« وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ » •

يتنعم المرء في هـذه الحياة ويتقلب في خيراتها ، ويتنقـل بين ملاذها ، ويهيم في بحورها •• يمتع نفسه وقلبه وفكره وبدنه •• فاذا أصابته مصـيبة يسيرة نسى ما كان فيه من قبل وكأنه لم يمر عليه شيء مـن نعيم الدنيا ولم يتمتع بنعم الله الكثيرة التى كان يرفل بهـا ردحا من الزمن •

وهنا يؤكد الله عز وجل أن المصائب التى تصيب المرء هى بسببه هـو وبما عمله من أعمال لم يقدر نتائجها وأن كل المصائب التى تأتى على الانسان في الدنيا هى قليلة وصغيرة بجانب عفو الله عز وجل الذى يعفو عن الكثير • ويقبل القليل ويرحم العبد الضعيف •

« وَلَوْ يُوَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ على ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ » .

ولكنه عز وجل يتخللهم بالمواعظ التى تصاحب المصائب ليتعظوا ويتذكروا ولا يتمادوا في غيهم وبعدهم عن الله •••

ولا شك أن العاقل اذا أدرك أنه هو السبب في المصيبة تحل بـه كان راضيا مطمئنا فكله بما كسبت يده ... وكل يعمل على شاكلته .. فسوف يلقى جزاءه ...

الخيـــار :

روى الشيخان أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل :

(أى الناس أكرم عند الله ؟

قال : أكرمهم عند الله أتقاهم .

قالوا : ليس عن هذا نسألك .

قال : فيوسف نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله .

قالوا : ليس عن هذا نسألك .

قال : فعن معادن العرب تسألونى .

قالوا : نعم .

قال : فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا) .

هـذه الطريقة الحوارية واسلوب الحكيم التى قرر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة .. طريقة نافعة لايصال العلم فقد سأله الصحابة وهو يعلم ما يريدون لكنـه ساءلهم حتى تتنبـه اذهانهم وتستشرف نفوسهم فيعوا ما يقول .

وفي هذا تأكيد على أن قيمة كل انسان ما يحسنه وأنـه لا يكفى شرف النسب أو جمال الوجه أو عز القبيلة أو مالها .. وأن كل ذلك سيذهب ويزول اذا لم يوصل بعلم يزينه ويحفظه ..

فالخيار في الجاهلية لن يكونوا خيارا في الاسـلام الا اذا تفقهـوا في دين الله وادركوا مراميـه وفهموا أغراضه فكانوا سادة علماء أشرافا أتقياء .

وهكذا كان كثير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم استطاعوا أن يحتفظوا بقيمتهم في الجاهلية والاسلام اما من لج في عناده واستنكف واستكبر فقد أضاع قيمته وشوه نسبه ، وخسر الدنيا والآخرة ..

حكمـــة :

من حكم العرب قولهم :

(ثمرة الأدب العقل الراجح وثمرة العلم العمل الصالح)

كل الوجود جماد لا فائدة منه الا اذا كان له ثمرة .. والثمر يختلف فقد يكون معنويا وقد يكون حسيا .. وكثيرون من الناس يدرسون الأدب ويدركون أساليبه ومناهجه ، ويعرفون رجاله ودرجاتهم وميزاتهم ..

ولكن ثمرة دراسة الأدب تنحصر في مدى استفادة الدارس مما درس .. فاذا أثمر الأدب عقلا راجحا كان قد آتى ثمرته ، وأدى المقصود منه .. واذا كان مجرد عبارات منمقة وكلمات مرصوصة فليس ذلك أدبا ..

والعلم بأنواعه وكثرته لا يكون علما صحيحا الا اذا أثمر عملا صالحا نافعا ولعل الحياة كلها شواهد على واقعية هذه الحكمة فكم من رجال درسوا العلم وتخرجوا من المدارس ومع ذلك لا يبدو عليهم أثر العلم وكأنهم لم يمروا به ولم يمر عليهم . فهم كنسخة من كتاب كتب عليها القلم ولكنها لا تدرى قيمة ما خط فيها ..

وعلى فرض أن بعضهم حفظ شيئا من العلم ولم يعمل به فان ضرره أكبر من نفعه فقد يورث وبالا وقد يعقب ندما ..

ومن هنا نستطيع أن نخرج من حيرتنا التى تستولى على أفكارنا اذا أمعنا النظر في حال بعض المتعلمين ...

حيـاهم وحياتنـا :

(قيل لاعرابى : كيف تصنع في البادية اذ اشتد القيظ وانتعل كل شيء ظله ؟ •

قال : وهل العيش الا ذاك : يمشى أحدنا ميـلا فيرفض عرقا ثم ينصب عصاه ، ويلقى عليها كساءه ويجلس في فيئه يكتـال الريح • فكأنه في ايوان كسرى ••)

قد يكون هذا الكلام غريبا عند مـن لا يعرفون الاعراب ولا يدركون حقيقة البادية وقد يكون لديهم معلومات مشوشة يظنون انهم تعساء اشقياء •

أما نحن فقد عشنا تلك الحيـاة كما هى ورأينـا كيف يتمتعون بحياتهم ويسعدون بها ، ولا يغبطون الحضر على حياتهم ولا يتمنون أن يعيشوا حيـاة المدن •• ظاهرة يعرفها كثير ، انما الشيء الغريب في الأمر أن نقـارن حياتهم بحياة بعض النـاس اليوم الذين لا يسـيرون على اقدامهم ، فهم في الشارع بسـيارة وفي المكتب على كرسى وفي البيت على سرير وفي مكان جلوسـهم يستنشقون هواء المكيفات ويشربون ماء المقطرات وقد أصبحت هذه الظاهرة تنطبق على حياة كثيرين منـا ومن أهل زماننا اليوم •

حتى يقول أحدهم لا نستطيع الحياة بدون مكيف أو بدون عربة فخمة •• ترى لو قست الحياة وتعرض كثير منـا لمثل تلك الحياة التى تعتبر سعادة في البـادية •• ماذا سيكون وضـعنا وشعورنا •• وهنـا نرجـع الى رأى لعمر الفاروق رضى الله عنه فقد كان يقول :

(تمعددوا واخشوشنوا ، وانزوا على الخيل نزوا ••) • انه كان ينظر الى حياتنا من خلال نصيحته تلك ويخشى أن يتحـول الناس اليهـا فتضعف أمامهم الحياة بمتاعبها وأخطارها وأحداثها •• ومعنى ذلك ركونهم الى الراحة والكسل وتسلط أعدائهم عليهم وسبقهم اياهم في مضمار العمل والانتاج واذا جاز لأمة أن تصير الى ذلك النوع من الحياة فلن يجوز لنا ونحن ابناء أولئـك

الأبطال الأشاوس الذين قهروا الصحراء وبنوا الدنيا وعندما دخلوا بلاد المدنية والحضارة لم تؤثر فيهم ولم تصبغهم بطباعها بل أناروها بعلومهم ومعارفهم وأنقذوها بدينهم وأسعدوها بحكمهم ..

لقد تمنيت أن أحمل مجموعة ممن رقت حالهم وانساقوا مع نعومة العيش الى مكان ذلك الاعرابى ليعيشوا معه أياما أو الى ساحة الجهاد ليحيوا حياة الجنود المجاهدين الأبطال .. واننى لعلى يقين أن خشونتهم ستعود وأن سواعدهم ستشتد ويألفون تلك الحياة القوية البسيطة .

* * *

الانفاق المحمود

قال الله تعالى :

« وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّي لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ، وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ » .

أسلوب واضح ودعوة للانفاق من بعض ما رزق الله عباده .. شيء قليل من فضل الأموال وتعليل لهذه الدعوة بأن ينتهز المرء الفرصة ما دام قادرا على الانفاق قبل أن يأتى الموت وعند ذلك لا يستطيع الانفاق ولا يمكن تأجيل الموت ولا الندم .

ان طبيعة المرء انه يسوق ويؤجل وتشح نفسه وتتوقف عن الانفاق من المال على أمل أن تطول الحياة ويتمكن من النفقة في مستقبل الأيام ولكن الله

عز وجل أمر عباده المؤمنين ألا يغتروا بالحياة وألا يؤخروا عمل اليوم الى الغد ..

وأبان هنا أنه لا يخفى عليه شيء من أعمال خلقه فكل عمل يعملونه فهو خبير به فمن كان صادق النية عازما على النفقة فالله يعلم منه ذلك ، ومن كان شحيحا بخيلا لا يهون عليه انفاق المال في سبيل الله ولكنه يتظاهر بأنه سينفق ويتصدق فالله يعلم منه ذلك وعلى الجميع أن يتذكروا أن المال الذى بأيديهم هو من رزق الله وانهم ولدوا ليس معهم شيء منه وسيموتون وليس معهم شيء منه ..

الغـنى :

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(لَيْسَ الْغِنَىَ عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَي النَّفْسِ

رواه البخارى ومسلم .

يصدق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الواقع وأحوال الناس فالشواهد على هذا كثيرة جدا ، فأنت ترى من يملك من اعراض الدنيا ما يملأ مساحات من الأرض بناءا ، ويشغل فراغات تخزينا وحفظا وصفحات من البنوك قيدا وسجلا وتراه كأنه لا يملك شيئا فلم يحس بما أتاه الله من الدنيا وعروض التجارة فهو يلهث ليلا ونهارا ويطلب المزيد سر وجهرا نحن لا ننكر أن حب الدنيا طبيعة الانسان وانه أمر فطرى لدى كل المخلوقين ولكن الذى ينكر ويعينه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو التكالب على الدنيا والاستماته في طلبها وعدم الشبع منها حتى لتجد الرجل يملك ما يكف لمئات السنين وملايين الناس ومع ذلك لا تبدو عليه القناعة ولا يشعر بالرضا والاطمئنان ولا يشكر الله على ما آتاه هذا هو الخلق الممقوت وهذا هو فقير النفس فارغ القلب الذى لا يملأ نفسه شيء مهما كثر ولا تقنعه الدنيا كلها فلا ينفق مما أتاه الله ولا يتصدق بفضل ماله ولا يحسن الى أقاربه وجيرانه وأصدقائه ولا يعطى

الفقراء والمحتاجين من مـاله ••• وهو بذلك قد أتعب نفسـه وأغضب ربـه وأضاع حظه وبقي حارسا على ماله حتى ينتهى من الدنيا وتبقى للناس •

وبمقابل ذلك آخر غنى النفس مطمئن القلب يكتفى بما قسم الله له من الدنيا فيتمتع بها ويتصدق بما يستطيع ولو كان قليلا وهـذا أسعد حالا مـن الأول ••• وأفضل عند الله وأحب الى الناس فهو يشعر انه غنى ولم يكن لديه مال وسعيد ولو لم يكن لديه عمارات ولا أرض •

اللهم أرزقنا غنى النفس لنرضى بما قسمت لنا أنك أنت الحكيم العليم •

لغتنـــــا :

يوجد معجم كبير في اللاتينية والعربية الفـه العالم الألمانى (فريتـاغ) وقـد جاء في مقدمته هذه الشهادة للغة العربية •

(ليست لغة العرب أغنى لغات العـالم فحسب بل ان الذين نبغـوا في التأليف بها لا يكاد يأتى عليهم العـد ، وان اختلافنا عنهم في الزمان والسجايا والأخلاق أقام بيننا ـ نحن الغرباء عن العربية ـ وبين ما ألفـوه فيها حجابا لا تتبين ما وراءه الا بصعوبة) ••

هذه حقيقة اللغة العربية والمؤلفات بها وهذا هو الجواب الذى يرد بـه على الذين يقولون أن اللغة العربية صعبة أو غير عالمية ••

ان بعض أبنـاء اللغـة العربية يجهـلون اللغـة العربية ويتأثرون كثيرا بالكتابات الحديثة المعادية للغة العربية وما علموا ان الهدف من هذه الحملات هو ما وراء اللغة العربية مـن مبادىء ومثل لقـد صـعب على أعداء الدين الاسـلامى أن يبقى محفوظا بالقرآن وبلغة القرآن فصاروا يدسـون عبارات وجملا يحفظها ويرددها السذج •

وقد ضمتنى اجتماعات علمية كان يدور فيها مثل هـذا البحث بحضور

أصحاب لغات أخرى باحثين ومؤلفين فكنت أجيب بأننا نحن السبب في عـدم تيسير لغتنا وعرضها للعالم فأين هي المؤلفات التي تقدم اللغة العربية للعـالم بلغاتهم وطريقتهم في الدراسـة يمثل ما يعرضون لغـاتهم بمؤلفاتها ومعاملها ومدرسيها وأفلامها ان اللغة العربية سهلة ميسورة .. للمتعلمين والدارسين ..

ولكننا نحن قصرنا في خدمتها ، فقـد تغيرت الأساليب الحديثة فصـار المتعلم ينتظر أن يقدم له الدرس بطبق شهى على صينية جذابة يحسن عارضها طريقة تقديمها وارضاء متناولها ..

فلا تلوموا لغتكم ولوموا أنفسكم .. وما دمنا كذلك فغيرنا أبعد عـن اللوم لأنه لا يعرف لغتنا ولم تصل اليه الا مشوشة صعبة الحال ..

واني أرجو أن يعى ذلك رجالنا في الخارج وأبناؤنا الدارسون ..

الحيـــاة :

وقف أبو الطيب المتنبي على اهرام مصر فأعجبه منظرها وهـاله بناؤها فاستغرق في الخيـال يفكر في الدنيـا واقبالها وأدبارها وحلوها ومرها فكان تفكيره هذه الأبيات التي بقيت أثرا مثل الاهرام بعد أن تركها هو :

تصفو الحيـاة لجاهل أو غـافل	عمـا مضى منهـا ومـا يتوقـع
ولمن يغـالط في الحقائق نفسـه	ويسومها طلب المحـال فتطمـع
أين الذى الهرمان مـن بنيـانه	ما قومه ؟ ما يومه ، ما المصـرع
تتخلف الآثـار عـن أصـحابها	حينـا ويدركها الفنـاء فتتبـع

هذه هي حقيقة الحياة بالنسبة لكل المخلوقين من مضى منهم ومن سيأتي والفرق بينهم في ادراك هذه الحقيقة فالجاهل والغـافل والمخادع لنفسه وذو الطمع يشعرون ان هـذه الحياة يدوم ما فيها وتبقى سارة مواتية فيلهون بهـا وينشغلون عن التفكير بما وراءها أما ذو العقـل والتفكير الصائب فانه يدرك

حقيقة الدنيا ويعتبر بما يشاهد من آثار الماضين وما تركوه من أعمال تدل على قوتهم وجبروتهم ولكن ذلك كله لم يغير من السنة الازلية وهى الكدر بعد الصفاء والموت بعد الحياة ..

واذا كانت الدنيا كذلك فعلى العاقل ألا يغتر بها وأن يستخدمها للأعمال النبيلة التى ترضى ربه وتريح نفسه وتجعل له ذكرا حسنا في الآخرين ..

وهكذا كل ما في الوجود مواعظ وعبر للعاقل المدرك ، وملهاة وقضاء على الوقت للجاهلين ...

وسيمضى الجميع ويلاقون حصيلة أعمالهم ..



المنعمون

قال الله تعالى :

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدِ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) .

تصوير رائع لحال أناس ضعفت نفوسهم وفسدت ضمائرهم وقل ايمانهم وهم في عداد المسلمين .. لكن الايمان لم يخالط دماءهم ولم يتمكن من قلوبهم فهم يعبدون الله على طرف وجانب صغير على الحافة فاذا أنعم الله عليهم بشتى النعم من الصحة والغنى والأمن والاستقرار تراهم مطمئنين راضين متظاهرين بالايمان والشكر لله ... ولكن ان تخلف شيء من أمانيهم أو صعب شيء من مطامعهم الكثيرة أو أصابهم ما يصيب كل حى من

مرض أو فقد عزيز أو ضياع مال .. انقلبوا على وجوههم وابدوا ما خفى من قلوبهم وكشروا عن أنيابهم وأظهروا معصية ربهم وهم بذلك يبدون على حقيقتهم وما علموا أنهم خسروا الدنيا والآخرة ولا خسران أوضح ولا أعظم ممن يخسر دنياه وأخراه فلم يبق له شيء وهذا التصرف دليل على ضعف عقولهم وفساد نفوسهم فقد نسوا كل النعم التى كانوا يرفلون بها ولم يتحملوا ساعة أو أيام مع أن جزعهم هذا وانقلابهم لا يجدى شيئا بل يجعلهم من الأشقياء الدائمين ..

ويصدق هذا التقلب على أناس كثيرين في زمننا اليوم فقد ألفوا الحياة الناعمة اللينة وتقلبوا في النعم المتعددة وظنوا انها دائمة لهم وانها شيء ملازم لهم لا يتحول ولا يزول فماذا احسوا بزوال شيء منها فقدوا أعصابهم ونسوا ربهم وصاروا يتفوهون بكلمات تقرض ايمانهم وتقطع صلتهم بربهم وتبقى ندامة وشقاء دائما لهم ..

نعمـــة الله :

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(إِذَا نَظَرَ أَحدُكُم إلى مَنْ فَضُلَ عَلَيْهِ في المالِ والخُلُقِ فَلْيَنْظُر إلى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ فَذَلِكَ أَجدَر أَنْ لا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُم) **(رواه الشيخان)**

علاج ناجح لناحية نفسية يمر بها كثير من الناس فالمرء في هذه الحياة يرى بعينه ويسمع المتناقضات فيرى جميل الخلق حسن الصورة ويرى قوى البدن حسن المظهر ويرى كثير المال ، ويرى العالم الفاضل الذى يعلم الناس الخير ويدلهم على الطريق السليم ويرى العابد المطيع لربه عز وجل ، ويرى أشكالا وألوانا من الصفات الحسية والصفات المعنوية ، وبالطبع سيتأثر بما يرى وقد تحدثه نفسه بأمور غير محموده مما ينتج عنه التوقف

عـن الأعمال الصالحة والعلاج النبوى لهـذه الانفعالات النفسـية أن ينظر الانسان الى من هو فوقه في معالى الأمور والعبادة وأن ينظر الى من هو تحته في مظاهر الحياة ونعيمها •

لأنه ما من سعادة الا وفوقها سعادة وما من بلاء الا ويوجد بـلاء أعظم منه فاذا شاهد الانسان من هو دونه ومن هو أسوأ منه حالا وأقبح منه منظرا اقتنع بما أوتى ورضي بما أعطى وأقبل على الحيـاة يعمل ويسعى في أرض الله لا يتعثر ولا تقلقه وتقتله الوساوس والأوهام •

اللهم ألهمنا رشـدنا وأرزقنا حسن الاقتداء بنبيـك ••

زمـــــان :

جمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمراء الأمصار مرة ثم خطب خطبـة بليغة جاء فيهـا :

(يا أيها الناس أن الله عظم حقه فوق حق خلقه فقال فيما عظم من حقـه

« وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » .

الا وانى لم أبعثكم أمراءا ولا جبارين ولكن بعثتكم أئمة الهدى يهتـدى بكم ، الا فـأدوا على المسلمين حقوقهم ولا تضربوهم فتذلوهم ولا تحمدوهم فتفتنوهم ولا تغلقـوا الأبواب دونهم فيـأكل قويهم ضعيفهم ولا تستأثروا عليهم فتظلموهم ولا تجهلوا عليهم وقاتلوا بهم الكفار طاقتهم ، فاذا رأيتم بها كلالة فكفوا عن ذلك فان ذلك أبلغ في جهاد عدوكم أيها الناس انى أشهدكم على أمراء الأمصار انى لم أبعثهم الا ليفقهوا الناس في دينهم ويقسموا عليهم فيئهم ويحكموا بينهم فان أشكل عليهم شيء رفعوه الى) •

وقد اقترب منكم زمان قليل الأبناء كثير القراء قليل الفقهاء كثير الأمل يعمل فيه أقوام للآخرة يطلبون به دنيا عريضة تأكل دين صاحبها كما تأكل النار الحطب الا كل من أدرك ذلك منكم فليتق الله ربه وليصبر •

ترى هل هذا الزمن هو زمننا هذا ؟ أم أنه جاء وذهب أم أنه سيأتى ؟ أن أسواء افتراض أن يكون ذهب لأنه بالطبع سيكون أهل زماننا أسوأ منه • الا فليتق الله وليصبر من شاهد هذه الأخلاق ••

العرب :

الأحنف بن قيس هو الحكيم المشهور بالحلم الكريم المفوه بالكرم ••• يحب العرب ويغار على سمعتهم ومصالحهم كان يقول :

(ما تزال العرب عربا ما لبست العمائم وتقلدت السيوف ولم تعد الحلم ذلا والتواهب فيما بينها ضعة) ••

لعل هذه كلمات عابرة تقرؤها ولا تقف عندها أو قد يمط أحدنا شفتيه مستغربا مثل هذا الكلام في هذا الزمن ، وخاصة بالنسبة للبأس والعادة المتبعة في التزين بالسيوف •• ولعمرى أن لها معنى عظيما يدركه الذين يختلطون بالأجانب غير المسلمين في بلادهم فان العرب اذا لبسوا لباسهم وتزينوا بزيهم ومشوا مشيتهم واتبعوا طرائق حياتهم وقلدوهم في مظاهرهم • سهل عليهم تقليدهم في أفكارهم وعقائدهم وهان عليهم ترك أخلاقهم والتنصل من سماتهم وحسنت في أعينهم طباع أولئك ••

وماذا ستكون النتيجة انهم سيحتقروننا وسنضيع بينهم وسنفقد أنفسنا ومعنويتنا في مجتمعاتهم •• أما لو تمسكنا بعادتنا في ملابسنا فسيلزمنا ذلك التمسك بأخلاقنا وطباعنا واظهار ديننا والسير على نهجه ويومها سنفرض عليهم احترامنا وسنرغمهم عن طوعية على تقليدنا والتصديق بديننا أما العلم ••• فكله خير وقد شهر العرب به ، ولن يكون في شيء الا زانه ولن ينزع من

شيء الا شانه ولكنه قليل في هذا الزمن أما التسامح والتصافي والتنازل عن الحقوق فقد صار نادرا وخبثت نفوس البشر وسيطر عليها الطمع والشح .

وان يكون لها صلاح الا بالاسلام ليحل لها كل مشكلاتها ...

* * *

السر العجيب !

قال الله تعالى :

(اللهُ يَعلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلّ أُنْثَي وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) .

لا يشك أحد في أن الله يعلم كل شيء مهما خفى ومهما استتر ومهما صغر وقل شأنه ... ولكنه هنا ذكر علمه بشيء خاص ومهم في الحياة ، الا وهو الحمل الذى يكون في رحم الأنثى .. فانه عز وجل اختص به نفسه فلا يعلم عنه أحد من الناس ...

وفوق ذلك فليس علمه عز وجل عن الحمل فقط بل كبره وصغره ، ولونه وشكله ، وذكورته وأنوثيته .. وكل زيادة له أو نقص فانما هى بمقدار دقيق ثابت قدره عز وجل لاستمرار الخليقة وبقاء نوع الانسان ...

وهذا السر العجيب ما زال كذلك رغم وصول الطب الى مرحلة كبيرة من التقدم واكتشاف الاسرار التى كانت خافية على الناس من قبل .. ولكنه وقف حائرا أمامهذا السر العجيب فقد حاول ثم حاول ثم ارتد حسيرا يائسا .. ولله في ذلك حكمة ..

فقد تقدم العلم والاختراع وجاء بأمور غريبة جعلت بعض الناس يغتر ويفكر وقد تداخله الحيرة .. وخاصة بمصاحبة الدعايات الحاقدة على العالم التى تحاول ضلال البشرية وتشكيكها في دينها وعقائدها .. فحينما وقف العلم أمام هذا السر العجيب كان انقاذا لكثيرين وسبب لزوال الشك وحصول اليقين ... ولعل الجملة الأخيرة .. (وكل شيء عنده بمقدار) تعطى معنى رائعا ودقيقا فان ذلك السر دقيق وخطير وفي مكان عجيب فاذا لم يكن وضعه وتطوره ونموه بمقدار ثابت معلوم كان عرضه للاختلاف .. والله على كل شيء قدير ...

ثلاث :

وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيف من منى فخطب خطبة بليغة معروفة وكان منها :

(نصر الله أمراءا سمع مقالتى فأداها كما سمعها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن : اخلاص العمل لله ، والنصيحة لولاة المسلمين ، ولزوم جماعتهم) ..

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معلما وهاديا في كل أحواله وفي حديثه وفعله وكانت خطبته في عرفات وفي منى مبادىء وسننا ومعارف وهبها لأمته وقال خذوا عنى فلعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا ..

وهنا في هذا الجزء من خطبته دعا للذين ينقلون ما يسمعون دون تغيير أو تحريف لأنه يعلم أن آفة الأخبار رواتها .. وان كثيرا من الناس يحفظ ولا يفهم أو يفهم قليلا ولكن غيره أفهم منه فاذا أدى ما سمع الى من يفهمه وينفعه كان قد بلغ الأمانة وشمله دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ... أما أولئك الذين يوقون ما يسمعون أو يزيدون فيه أو ينقصون فانهم الكذابون الذين لا يرضى عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يصلحون لمجتمع صالح : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته الى أمور ثلاثة :

الأول : اخلاص العمل لله •• ولن يتصف بهذه الصفة الا المؤمن الذى سلم قلبه مـن الأدران ، وصفت نفسه مـن الشوائب •• فاذا أخلص لله أخلص في كل أعماله فنفع نفسه ونفع الناس ••

الثاني : النصيحة لولاة المسلمين •• واذا نصـح المؤمن لولاته كـان عضوا صالحا في المجتمع الاسلامى الكبير أما اذا غشهم أو عمل ضدهم كان غير مسلم وغير مطيع لربه ونبيـه •••

الثالث : لزوم جماعة المسلمين •• ولا شك أن يد الله مع الجماعة وأن من شـذ عن جماعة المسلمين في عقيدته أو فكره أو رغبته أو اتجاهه أو عمله خرج من حزبهم ووقع فريسة للشيطان وللندم والخـزى الدائم ••

فالاجتماع كله خير ، والفرقة والشذوذ والبعد عن الجماعة كله شر وضـلال •

والمسلمون مدعوون للاجتماع وعدم التفرق •••

اللهم أجمع كلمتنا وانصرنا على عدونا ••

اللغـة العـربية :

كان الحسن بن أبى الحسن اذا عثـر لسـانه بشيء مـن اللحن قال : « استغفر الله •• » فقيل له في ذلك فقال : من أخطأ في العربية فقد كذب على العرب •• ومن كذب فقد عمل سوءا وقد قال الله تعالى :

(وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِماً) . .

ليت شعرى ما هذه العثرة التى يخطى بهـا الحسن فيعدها سـوءا انها

شيء سهل لا يعد خطأ الا أنه لكماله وحرصه على اللغة العربية عد ذلك لحنا ..
رحمهم الله لقد كانوا يدركون أهميـــة المحافظة على لسانهم لأنهم اذا حافظوا على اللغـــة فقـــد حفظوا لغتهم وفهموا دينهم ، وحفظوا أدبهم وتراثهم واذا أضاعوها فقدوا تاريخهم كله ..

ولقد وددت أن يوجد مثل هذا الرجل بيننا ليسمع ويرى ما نجنيه مـــن أخطاء على اللغة العربية انـــه لا شك ســـيصاب بالصـــمم وسيقول : أنـــه لو يستغفر ليله ونهاره لم ير أنه كفر عـــن هـــذا الخطأ ...

ان زمننا اليوم قد تساهل أهله باللغة العربية حتى لم يعدوا الخطأ فيهـــا عيبـــا ، بل لم يعدوه أمرا يؤاخذ عليه المتكلم أو الكاتب .. وكأنهم لم يأتوا سوءا أو يقترفوا ذنبـــا أو يجنـــوا على لغـــة القرآن ...

والعجيب في الأمـــر أن المتعلمين يخطئـــون في حديثهم وكتابتهم وحتى المدرسين منهم وهذا أمر غير معقول أبدا فاذا جـــاز للبعيدين عن اللغـــة أن يعللوا أخطاءهم فلا يصح لرجال العلم والأدب أن يقعوا في خطأ لغـــوى ولو صغير .... ولا شك انه بمقدار استقامة لسان الرجل يكون ذوقه وأدبه ...

أدب الحـــديث :

قال ابن المقفع :

(تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ومن حسن الاســـتماع امهال المتكلم حتى ينقضى حديثه وقلة التلفت الى الجواب والاقبال بالوجـــه والنظر الى المتكلم والوعى لما يقـــول .. وأعلم ـ فيما تكلم بـــه صاحبك ـ انه مما يهجن جواب ما يأتى بـــه ويذهب بطعمه وبهجته ويزرى بـــه في قبوله عجلتك بذلك وقطعك حديث الرجل قبل أن يفضي اليك بذات نفسه) ..

هذا هو أدب الحديث وأدب الاستماع ولقد شهر اسلافنا بكثرة أدبهم وحسن استماعهم ورقة طباعهم حتى انهم نقموا على النساء طريقة حديثهن وكثرة

المتحدثات منهن وقلة المستمعات •• ولقــد كانت مجالسهم هــادئة محترمة لا يتحدث فيها سوى واحد والباقون يستمعون وبذلك تعلموا العلم وحفظوا الأدب وعرفوا قصص الماضين أما المجتمع اليوم فقد اختلفت معــالمه وتغيرت عادة أهله فصــار الرجل يتحدث فيقاطعه الآخــر ويعترضه ذاك ويشغله ثالث يرفع صوته ويخرجه عن الموضوع واذا وجــد مستمع يرغب متابعة المتحدث منعه من ذلك أصوات المتحدثين ••

فأصبحت المجالس كأنها مجالس صبية أو كتاب لصغار أو سوق لبيــع وشراء وانعدم احترامها وقلت هيبتها وندرت الفائدة منهــا •••

واذا لم يكثر المتحدثون فهناك من الأصوات المزعجة والمشغلات الكثيرة ما يفسد الاجتماع ويذهب بالفائدة •••



الجزاء من جنس العمل

قال الله تعالى :

« عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ، سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ، لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ ، إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ » .

الله عز وجل هو العالم بكل شيء في الوجود وهو العلى الكبير خالق الخلق وهو يعلم كل شيء عنهم في حياتهم وآخرتهم ، كان يعلم ما سيجترحه الانسان في لحظاته وساعة ليله ونهاره في سره وجهره ..

ولقد كانت حكمة الله عز وجل أن يبتلى هؤلاء المخلوقين فأتاح لهم سبيل الحياة ودلهم على الخير والشر وترك لهم الحرية ليختاروا وليعملوا ما شاءوا .. وهو عدل لديه القسطاس المستقيم جعل على الانسان ملائكة يحفظونه ويشهدون عليه ويحصون ما يقول .. فان كان خيرا كان الجزاء أفضل وأوفي وأن كان شرا كان الجزاء بما عمل لا يظلم أبدا ...

وما دام عز وجل أخبرنا بمبلغ علمه وانه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فلن تنطلى عليه بعد التعليلات ولا التوهيمات ولا اظهار خلاف ما يبطن المرء .. فهو يعلم وساوس الصدور ، ومن أجل ذلك فانه لا يغير

ما بقوم حتى يغـيروا ما بأنفسهم ولا يـرد فضـله ونعمته عنهم الا بسببهم أنفسهم وهـذا مبـدأ عظيم في حياة الأفراد والأمم فكل المصائب التى تحـل بالناس سببها أعمالهم وأقوالهم •• ولكنهم يغفلون عن الله وينشغلون بالدنيا فاذا أصابتهم مصيبة لجئـوا الى الله وندموا ولات ساعة منـدم وكل هـذا بفضل الله ورحمته والا فلو أراد بالخلق سوءا أو مصيبة أو فتنـة فلن يرده عن ذلك أحد وليس لهم ولى سـواه ••• وكل الناس يفهمون هـذا ولكنهم ينسونه أو يتناسونه حتى يحل بهم المكروه فيرجعوا الى الله •••

والله بكل شىء عليم •••

المصـــيبة :

(عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« مَا يُصِيبُ الْمُسلِمَ مِن نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ وَلاَ هَمّ وَلاَ حزَنٍ ولاَ أذَى وَلاَ غَمّ حَتَّى الشَّوكَةَ يُشَاكُهَا إلاّ كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خطَايَاهُ » .

هذه الدنيا طبعت على الاكدار والمصائب فلا تدوم على حـال ولا تبقى على شيء وهى ممر عـابر للآخرة نضـع فيها أعمالنا ، ونطوى فيها صحائفنا لتنشر في الآخرة ولكن المسلمين يمتـازون على غيرهم بأنهم اذا أصيبوا بتعب أو مرض أو هم أو حزن أو أذى أو غم أو أي مصيبة في الدنيا فـان الله يكفر عنهم الخطايا بمقدار ما أصيبوا من ذلك •

ولكن هـذه الكفارة مشروطة بـأن يكون المؤمن عارفا بربـه راضيا بما أصابه ، صابرا محتسبا وهذا الفارق بين من يتحمل المصائب ويقابلها بنفس راضية وبين مـن يجزع ويقلق ويفقد صوابه •••

وهذه الميزة التى جعلها الله للمؤمنين علاج نفسى ناجح فغير المسلمين اذا أصيبوا ماذا يرجون ؟ واذا ابتلوا بماذا يعللون أنفسهم ؟ .

أما المسلمون فانهم يعللون أنفسهم بالجزاء الذى وعدهم الله ، وهو التكفير من خطاياهم واحتساب الأجر عند الله عز وجل .. ولذلك نرى المؤمن راضيا مطمئنا وغير المؤمن قلقا هلعا ، لا يهدأ له بال ..

وهذه فضيلة الايمان ...

دليل مادى :

(« سانت هيلير » كاتب فرنسى ألف كتابا عن تاريخ نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه وقد أورد في ذلك التاريخ دليلا ماديا على صدق محمد جعله لا يشك في صدقه وانه رسول من عند الله وأن رسالته من الله .. قال :

« اننى كنت أشك في صدق النبى محمد في رسالته حتى قرأت في جميع السيرات لما نزلت آية الحفظ ووعد الله نبيه بأنه سيتولى حراسته ..

بادر محمد الى صرف حراسه ـ والمرء لا يكذب على نفسه ولا يخدعها فلو أن لهذا الوحى مصدر غير الله لا بقى محمد على حرسه) ..

ان هذا الدليل المادى المحسوس يعطى فكرة على تفكير وبعد نظر ذلك الكاتب الفرنسى وهو غريب عن الاسلام ولكن العاقل لا يهمه أى شىء اذا هو آمن أو صدق بفكرة .

ان هذه حقيقة نعرفها نحن ولا نشك فيها ولكن نحب أن نهديها الى الذين يختلطون بغير المسلمين ويتطارحون معهم الحجج حول دعوة محمد وصدق رسالته . والعاقل منهم سيعترف بهذا الدليل لا محالة ..

اننا بحاجة الى رجال يفهمون الدين ثم يبلغونه للناس والا فان العالم اليوم يتطلع الى رسالة مثل الاسلام تنقذه من ورطته وتخرجه من حيرته ..

واذا لم يفهم الاسلام فالتقصير من المسلمين أنفسهم حيث لم يبلغوه للعالم .

الزمـــــان :

عانى أبو الطيب المتنبى ما عاناه غيره مـن الزمان وأهواله ، ولا سـيما وهو في طلاب الامارة والولاية وهو مطلب صعب ، وأمل قد لا يتحقق وفعـلا لم يتحقق لأبى الطيب الذى سعى اليه كثيرا بالقول والعمل فقد سعى يطلبـه لـدى الحمدانيين ثم لـدى كافور وكان يلمح للأخـير ويشير لأمله حتى اذا لم يجد التلميح استعمل التصريح فقال :

ابا المسك هل في الكأس فضل أذوقه   فانى أغنى منـذ حـين وتشـرب

يعنى بذلك الولاية . ولكن كافورا كان ذكيا لماحا فلم يمكنه من تحقيق مطلبه بل أجله وأجله حتى كانت النهـاية ....

والمتنبى بنفسه الكبيرة وأمله الكبير قال هذه الأبيات :

صـحب النـاس قبلنـا ذا الزمانـا   وعنـاهم مـن شـأنه ما عنانـا
وتولـوا بغصـة كلهـم منـه   وان سـر بعضـهم أحيانـا
ربمـا تحسـن الصـنيع لياليه   ولكـن تكـدر الاحسـانا
ومـراد النفـوس أصـغر مـن أن   تتعـادى فيـه وأن تتفـانى

لقد قال المتنبى هذه الأبيات في أخريات حياته عندما تجرع غصص الحياة والله حكيم عليم ـ جعل هذا الزمان لا يحلو حتى يتحول الى مرارة ولا يهدأ حتى ينتقل الى حركة وتقلب .. ولا يسعد اناسا حتى يشقيهم طال الزمـن أو قصر وهذه حكمة الاهية تجعل العاقل يتيقن أن الاستقرار والسعادة في الدار الآخـرة ...

المؤمنــون ...

قال الله تعالى :

(إنَّما المُـؤمِنُونَ الذين اذا ذَكر الله وَجلتْ قُلوبُهُمْ ، واذا تُليَتْ عَليْهِم آ يَاتُه زَادَتْهُمْ ايمـاناً وعَلى رَبِّهمْ يَتوكلونُ ..)

صفة من صفات المؤمنين وصفهم الله بها وأثنى عليهم بسببها وهى أنهم يخافون ربهم اذ ذكر ، تهتز أفئدتهم وتتحرك قلوبهم عند ذكره يتأثرون لذلك ويحسون بوجود الله وعلمه بما في نفوسهم ..

واذا سمعوا آيات الله تتلى ازداد ايمانهم وقــوى يقينهم بما أضافوا الى علومهم مما جاء في آيات الله وهم دائمــو التوكل على الله لا يؤثر في ايمانهم تقلب الأمــور ولا تصريف الأحوال . فكل شيء بارادة الله وقدرته وتدبيره وهو الذى يعلم حاضر الأمور ومستقبلها وما يصلح منها وما لا يصلح ..

وهؤلاء المؤمنون هم الذين يبقى ايمانهم لأنــه يزيد على مــر الأيام ، وتصفو نفوسهم ويسعدون في حياتهم لأنهم مؤمنون متوكلون على ربهم ..

وهذه الصفات التى وردت من صــفات المؤمنين هى دعــوة للمسلمين للاتصاف بهــا وللبقاء عليها ..

وهى صفات فيها ســعادة نفسية وارضــاء لرب المؤمنين .. جعلنا الله مؤمنين ....

الغضــــب :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » .

في هذا الحديث علاج نفسي ودعوة صادقة لحل مشكلة اجتماعية خطيرة هي الغضب ، فالغضب هو مصدر الشرور بـه يعصى الله وبـه تتهدم بيوت ويتفرق المجتمعون وتنتهك حرمات الله ...

ويوجد في الناس من يشتهر بالقوة فيهابه الناس ويقولون عنه انه شديد قوى .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هذا بالشديد انما الشديد الذى يستطيع أن يملك نفسـه عند الغضب .. نعم اذا انتفخت أوداج المرء وضعفت أعصابه وتطاول خصمه وأثار حفيظته محدثه فهنـاك يأتى الشديد ويتبين الضعيف من القوى ..
ولا شك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أثر الغضب على الحياة .. وتائجه السيئة الخاصة والعامة ويعلم انه لا يستطيع أن يملك نفسه الا رجل شديد قوى يتحكم بأعصابه وعواطفه وهذا نادر قليل .. ولكن الكرام قليل .

السـفور :

من ألطف ما قرأت في موضوع السفور أبيات للشاعر أمين ناصر الدين يقول فيهـا :

قـل لمـن بعـد حجـاب سـفرت	أبهـذا يأمـر الغيـد الشـرف
اسـفورا والحيـا يحظـره	وتقـى الله وآداب السـلف
ليسـت المـرأة الا درة	أيكـون الـدر الا في الصـدف

في ثلاثة أبيات ظريفات لطيفات عالج الشـاعر مشكلة السفور وخاطب النساء أنفسهن وطلب منهن الجواب ؟

فالسفور لا يجيزه الشرف لمن كان لديها شرف ..

ولا يجيزه الحياء لمن كان لديها بقية من حيـاء ..

ولا يجيزه تقوى الله التى أمر بها جميع المسلمين ..

ولا تجيزه آداب السلف الاماجد الذين سبقونا الى الفضل والأدب والعز والجمال ونحن احفادهم ..

واذا كان كل هذا غير مقنع للمرأة التى ترغب السفور فجدال عقلى يقنع كل راغبة في السفور وهو أن المرأة درة جميلة محترمة ولن تتبرأ من هذا الوصف أى امرأة ... فأين يكون الدر ؟ ..

هل يكون في الشارع ؟ لا ..
هل يكون في المقاهى ؟ لا ..
هل يكون في ايدى السفلة ؟ لا ..
هل يكون مبتذلا للجميع ؟ لا ..
اذن أين يكون ؟!

انه يكون في صدفة مقفلة بحواجز منيعة في قاع البحر لا يدركه الا غائص ماهر قصده بالذات وسعى اليه من مكان بعيد وتكبد من أجله المتاعب وقد يدركه وقد لا يدركه ...

ونضيف هنا مع شكرنا للشاعر أن المرأة خير وأغلى من الصدف فالصدف جماد وينوب عنه غيره والمرأة انسانة ولا يستغنى عنها أحد .. وقد كرمها الله وأمرها بالترفع عن التبذل وأماكن الريبة ..

الا هل رأيتن أيتها النساء قيمتكن ؟ ان أكثر الناس تغفيلا وبلاهة من يجهل نفسه .. ولن تعرض فتاة وجهها وجسمها للعموم الا جاهلة بقدر نفسها وقيمتها ..

ولعل حكمة الله عز وجل في السفور تبدو فوق كل هذا .. وهى انه لو جاز السفور فما موقف الفتاة الدميمة الخلقة .. هل تحتجب والجميلات سافرات ؟ .. أم تسفر عن وجهها وهى قبيحة ؟ .. أن ذلك سيكون مشكلة

اجتماعية هامة وحكمة الله جعلت الحجاب سترا للجميع واحتراما للمرأة ••
وعزا لها والذين يدعون للسفور لا يدركون قيمة المرأة ولا يقدرون قدرها بل
يريدونها دميـــة بأيديهم ••

غـــــذاء :

قال عبد الملك بن مروان :

(ما الناس الى شيء من العلوم أحوج منهم الى اقامة ألسنتهم التى بها
يتحـــاورون الكلام ، ويتهـــادون الحكم ، ويستخرجون غوامض العلم مـــن
مخابئها ، ويجمعون ما تفرق منها ، ان الكلام قاض يجمع بين الخصوم وضياء
يجلو الظلام وحاجة الناس الى مواده كحاجتهم الى مواد الأغذية) ••

ان الناس جميعا مع عبد الملك في رأيه وفي فضل تقويم اللسان واستقامة
الكلام وجماله وحسن جرسه ولن توجد أمة تغفل عن لغتهـــا أو تتساهل في
لسانها الا ضاعت وغلبها أعداؤها ••

ونحن أمـــة نمتاز على غيرنا مـــن الامم بأن لغتنا لغـــة القرآن وانهـــا
محفوظة بحفظ الله له ما دامت السموات والأرض ، وحتى في الدار الآخرة •

فاذا وجب الحفاظ على لغة فان على المسلمين واجبا مضاعفا •• وعليهم
مسئولية خاصة ••

ولقد أصبحنا نـــرى اليوم كثيرين لا يقيمون لتعديل اللسان وزنـــا ولا
يعدونه واجبا فرديا بل يقولون ما دام الكلام مفهوما فليس ضروريا أن يكون
معربـــا ••

وقد أخطئوا في فهمهم هذا فلا بقاء للكلام ولا أداء لمعناه ولا لذة لـــه
الا بالاعراب ولن تستطيع الأجيال القـــادمة فهم التراث الا اذا كانت مجيدة
للغتها حافظة لقواعدها وأصولها وفروعها •

وهذا عبد الملك العالم الأديب يثبت أن حاجة الناس الى مواد اللغة كحاجتهم الى الطعام والشراب ..

طول العمر

قال الله تعالى :

(اوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ)

في خطاب الله عز وجل ومحاسبته للمسيئين يوم القيامة يسألهم أسئلة تقريرية متعددة ومنها انه أتاح لهم الفرصة ليتذكروا ويتعظوا في الحياة الدنيا فعمر طويل وعقل مدرك ومواعظ تمر وحوادث تذكر .. ورسل تبعث لتبين للناس الخير والشر ثم اذا طال عمر المرء جاءه مذكر يذكر كل لحظة .. مذكر ثابت لا يتغير ولا يزول ولا يبرحه أبدا يراه كل لحظة ويلمسه متى أراد .. ذلكم هو الشيب وكفى بالشيب واعظا ...

واذا لم يعظ الشيب فما الذي يعظ ؟ أن كثيرا من الناس تلههم الحياة الدنيا وينغمسون في ملذاتها ويأتي الشيب فلا تتغير نظرتهم للحياة ويتزايد فلا يرجعون الى الله .. وأولئك لا عذر لهم ولا يجدون جوابا اذا سألهم الله عز وجل في الدار الآخرة .

وويل لشيخ لا يتعظ وويل لشيخ يعمل أعمال السفهاء يظن أن ذلك تمدن أو أخذ باسباب الحياة ولقد كان أهل المدينة في صدر الاسلام اذا بلغ الرجل فيهم أربعين عاما قالوا لقد جاءك النذير ..

فيتفقد عمله ويصلح حاله ويحاسب نفسه ويرجع الى الله ويكثر من العبادة وقد شاهدنا ذلك في آبائنا وطبقتهم وفيما نقلوه عن آبائهم ..

أما زمننا اليوم فان نعومة العيش وتوافر أسباب الحياة جعلت بعض

الناس لا تفيده الذكرى ولا تؤثر فيه المواعظ التى يشاهدها ••
والله حكيم عليم ••

العلم :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان عمر رضى الله عنه يدخلنى مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال : لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟! فقال عمر : انه من حيث علمتم فدعانى ذات يوم فأدخلنى معهم فما رأيت انه دعانى يومئذ الا ليريهم قال : ما تقولون في قول الله عز وجل : (اذا جاء نصر الله والفتح) فقال بعضهم : أمرنا نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لى : أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت لا •• فقال ما تقول ؟ قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له قال : (اذا جاء نصر الله والفتح) وذلك علامة أجلك (فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) فقال عمر رضى الله عنه : ما أعلم منها الا ما تقول ،

العلم خير كله وبالعلم يكبر الصغير ، ويشرف الوضيع ويحترم البعيد وفي هذه القصة اللطيفة دليل واضح على فضل العلم فقد جعل العلم ابن عباس في مصاف الاشياخ الذين شهدوا بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعد غلام حدث لم يبلغ الحلم •• ولا غرو فقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم فقهه في الدين فكان فقيها يفهم تفسير كتاب الله ويدرك معانيه ••

وعمر الفاروق البطل العالم كان يقدر هذا المعنى في ابن عباس فيحضر معه في المجالس الهامة التى تبحث فيها الامور لا يشترك فيها سوى الكبار في العلم والسن وقد اعترض على وجوده من لا يعرفه فأراد عمر أن يكون الاقناع عمليا فسأل المعترض عن مسألة لم يفهمها ثم سأل ابن عباس فأجاب جوابا صحيحا •• فكان ذلك اقناعا للسائل وللحاضرين وعذرا لعمر في دعوته هذا الصغير مع هؤلاء الكبار قدرا وسنا ••

وهكذا العلم ينزل الانسان منازل عالية ويجعله أهلا للتقدير والاحترام ●● وتبوء المكان العالى ●●

مبـــــادىء :

خطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه في موسم الحج فقال :

(اني والله ما أبعث اليكم عمـالي ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا مـن أموالكم ولكني أبعثهم ليعلموكم دينكم وسنة نبيكم فمن فعل بـه سـوى ذلك فليرفعه الى فوالذى نفسي بيده لاقصنه منه ●● فوثب عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين أرأيت أن كان رجل مـن المسلمين واليـا على رعيـة فأدب بعضهم انك لتقصه منه ؟ فقال عمر : أى والذى نفسي بيده لاقصنه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص مـن نفسه ● الا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوا بهم الغيـاض فتضيعوهم) ●

العلم هدف من أهداف الاسلام الذى جاء ليخرج الناس مـن الظلمات الى النور ومن غياهب الجهل الى سعادة العلم حتى الولاة من الهدف منهم تعليم الناس العلم وتوضيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ●●

وقد كانوا رضى الله عنهم كذلك ●● ومن أجل هذا الهدف الكبير فان الولاية في الاسـلام اختيار وتكليف لا طلب وتطلع اليها حتى ان مـن يطلبها لا تعطى لـه ولعلكم تدركون ان الولايـة تشـمل كل أمـر مـن أمـور المسلمين وكل وظيفة لهـا علاقة بهم فكل انسـان مسئول بحدود عمـله ●● مسئول عمن يرأسهم عن دينهم وعن اتجاههم وعن أحوالهم عليه أن يتفقدهم ويدلهم على الخير ويبعدهم عن الشر ●● ولقد شعر الموظفون أخيرا انهم غير مطالبين بهذه المسئولية فاهملوا من تحت رئاستهم ومن يعمل معهم فضـاعت المصلحة العامة وانعـدم التعاون والتناصح على الخـير ●● وسبب كل هـذا عدم العمل بالمبادىء الاسـلامية أو اهمالها وعـدم الاهتمام بهـا أو اسـناد الأعمال الى غير أهلها وطبعا فان فاقد الشىء لا يعطيـه ●

العـز فى العمـل :

قال الأصمعى :

مررت بكناس في البصرة ينشد :

فايـاك والسـكنى بـأرض مـذلة تعـد مسـيئا فيه ان كنت محسنا
ونفسك أكرمها وان ضـاق مسكن عليك بهـا فأطلب لنفسـك مسكنا

فقلت : والله لم يبق بعد هذا مذلة !! فقال :

والله لكنس ألف مرة أحسن من القيام على باب مثلك .

لا اشكال أن نفس هذا الكناس أبية وفكره جيد وعقله راجح ولا غيب فيه سوى انـه فقير والفقر ليس بعيب اذا كان صاحبه يحسن التصرف اما اذا كان أخرق فان فقره سيزيد وحاله ستبقى كما هى وهذا الكناس الذى ورط معه الأصمعى من النوع الذى أكرم نفسه بالعمل فأغنى به نفسه وسلاها ولم يحتج للوقوف على أبواب الناس أو التعرض لطريقهم أو المرور على وجوههم.

ولقد أكد الاسلام هذه الناحية وأمر بالعمل وأثنى عليه وعلى من يمتهنه ونهى عن المسألة وعن الكسل يريد بذلك أن يكون كل المسلمين عاملين فعلهم يغنون أنفسهم وينفعون غيرهم ..

ولقد أصاب والله هـذا الكناس .. وأحرج الأصمعى ورد على أولئك النوع مـن الناس الذين يتكاسلون ويمرغون أنفسهم بالتراب واذا دعوا الى العمل قالوا : نحن لا نمارس المهنـة الفلانية ولا نعمـل في المكان الفلانى .. ثم عددوا أمورا وشروطا تزهد صاحب العمل فيهم وتمنعهم من طلب الرزق .. وهى شروط لم ينزل الله بهـا من سلطان ..

ورغم كل ما يدعيه هؤلاء فالكناس الذى عمـل ليستغنى عن الناس هو خـير منهم ..

المرء يعمل لنفسه

قال الله تعالى :

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ اَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلعَبِيد ..)

حقيقة مقررة ومبدأ معروف .. من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعلى نفسه .. جريرة عمله تعود عليه .. أول ما تعود .. فان كانت خيرا فهو الذى سيجنى ثمرتها وان كانت شرا فهو الذى سيكتوى بنارها ..

والله عز وجل حكم عدل ، يحصى هذا العمل فيجازى به المخلوقين .. والقرآن يتلى دائما وقد وهب الله للناس العقول وترك لهم حرية التفكير والأخذ بأى الطريقين شاؤوا وهذه الآية شاهد عليهم وتذكرة لمن له عقل ولديه أدنى فهم ..

والعمل الصالح لا يقف عند حد ولا يقتصر عند غاية ولا تنحصر أنواعه ولا تعد أبوابه وأول من ينتفع به صاحبه ثم من حوله ثم المسلمون جميعا ..

والشر كذلك مغبته تبدأ بصاحبه ثم تتجاوزه الى من حوله ثم الى كل الناس حتى يصبح وباؤه فاسدا وجرثومته مرضا يؤذى كل الناس ويبتعد عن كل من عرفه .. واذا فليختار الانسان لنفسه ما يحلو له ..

العمل :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب فيبيعه فيأكل ثمنه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) ..

لقد عالج رسول الله صلى الله عليه وسلم مشكلة البطالة بأنواع شتى من الحلول قولا وفعلا فكلما جاء اليه رجل من أصحابه يشتكى الفقر أمره بالعمل وكلما اشتكى الكسل وقلة ذات اليد أمره بالعمل •• ولم يقتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اشباع المعوزين بل أوجد فيهم روح العزة والانفة وأكد لهم أن حبلا وفأسا مع حركة يسيرة كفيل بحل المشكلة والقضاء عليها واظهر المسألة بمظهر مزر تنفر النفوس منه وتزهدها فيه وتدعو الى عدم العودة له •

وهذا العلاج اليسير يستطيع أى انسان أن يمارسه فهو لا يحتاج الى عدة ولا الى راحة ولا الى رأس مال ويكفى فيه حبل قد يجده الانسان بدون قيمة وسعى في الأرض لطلب الرزق ولن يعدم صاحب الحبل شجرا يقتطع منه ما يصلح حطبا يحمله ويبيعه فيغنى نفسه ويشغلها عن الفراغ ويذوق لذة كسبه بيده •

وقد حكى لنا أناس كثيرون ممن يعيشون بيننا الآن ان هذا الحل الذى أرشد اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مجرب سريع الفائدة كثير البركة • وكفى به أن يكون مغنيا عن المسألة وجالبا للرزق •• وقد يقول بعض الناس اليوم أن الحطب قد لا يتيسر ولا يكون قريبا والجواب أن أقوال الرسول وأفعاله مبادىء يقاس عليها فلن يعدم الانسان وسيلة للكسب تشبه وسيلة الحطب ولكل زمان آية ••

نصرة الحق :

لعل أكثر المسلمين يعلم قصة عمورية :

والمرأة الهاشمية التى صاحت وامعتصماه حينما أهانها أعداء الله ••

فبلغ ذلك الصوت أمير المؤمنين المعتصم فسارع من فوره الى نصرتها وسار يقود الجيش حتى بلغ (عمورية) فابلى هو والمسلمون فيها بلاء عظيما وانتهى الأمر بفتح عمورية ونصر الله للمسلمين الذين جاءوا من بلادهم البعيدة ناصرين لدينه ولأختهم المسلمة أن تذل أو تهان ••

ولقد سجل أبو تمام هذه المعركة الفريدة بخريدة عصماء .. ومنها :

أتتهم الكربة السوداء سادرة	منها وكان اسمها فراجة الكرب
جرى لها الفأل نحسا يوم انقرة	اذ غودرت وحشة الساحات والرحب
كم بين حيطانها من فارس بطل	قانى الذوائب من آت دم سرب
لبيت صوتا زبطريا هرقت له	كأس الكرى ورضاب الخرد العرب
اجبته معلنا بالسيف منصلتا	ولو أجبت بغير السيف لم تجب
فتح تفتح أبواب السماء له	وتبرز الأرض في أثوابها القشب
تدبير معتصم بالله منتقم	لله مرتقب في الله مرتهب
خليفة الله جازى الله سعيك عن	جرثومة الدين والاسلام والحسب

أن هذا الشعر كله حق وان موقعه مثل هذه تستحق أن يسجلها هذا الشعر ما أحوج المسلمين اليوم الى موقعه مثل موقعة عمورية تكون الجواب المقنع والحد الفاصل بين الاسلام وأعدائه وتكون الحل الوحيد لمشكلات الشرق الأوسط .. ترى هل تردد جنود المعتصم وقواده حينما دعاهم المعتصم لتجشم المشاق والمصاعب ؟ وهل عاقهم قلة عددهم وعدتهم وكثرة جيش أعدائهم ؟ .

لا : ان أحدا لم يقل ذلك فقد دعا المعتصم العلماء وثلاثمائة وثمانية وعشرين من أهل الرأى والعدالة .. فقال لهم : انى مسافر في سبيل الله الى بلاد الروم استجابة لصيحة الهاشمية التى دعتنى .. فأيده الجميع .. ودعوا له بالتوفيق والنصر ..

وسارت الجيوش تباعا .. وعاد المسلمون من بلاد الروم رافعى الرؤوس قد لقنوا أعداءهم درسا لا ينسى وثبتوا دعائم الاسلام هناك وأيدوا أهله المعتنقين له وفتحوا الباب للانخراط بهذا الدين العزيز الذى يحب السلام

ويكره الفتن والشر ولكن اذا أصيب هو أو أحد أفراده قــامت قائمة أهــله والتهبت الغيرة في نفوسهم حتى يعيدوا الحق الى نصــابه .

أولئك كانوا مسلمين حقــا .. وأولئك كانوا يعلمون قيمــة الاســلام ومكانته ..

ولئن أصيب المسلمون يوما من الزمن فلن يبقوا دهرا وسينصر الله من ينصره والله قوى عزيز ..



النفوس الصـالحة والشريرة

قال الله تعالى :

(ضَرَبَ الله مَثَلاً للذِينَ كَفَرُوا أَمرأَةَ نوح وأَمرأَةَ لوط كانتَا تَحْتَ عبدَين مِنْ عِبادنَا صَالِحين فخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنْ الله شَيْئاً وَقِيلَ ادْخلا النَّار مَع الدَّاخِلِين . وَضَربَ الله مَثَلاً للذِينَ آمَنُوا أمرأَة فِرعُونَ إذ قَالتْ رَبِ ابْنِ لى عِنْدَكَ بَيْتاً في الجَنَّة وَنجني مِنْ فِرْعَونَ وَعَمَله وَنَجني مِنَ القَوْمَ الظَالِمِين ..)

يضرب الله الأمثال للناس ليتعظوا ويقص عليهم أخبار الماضين ليعتبروا .. وهذان مثلان للنفوس الشريرة وللنفوس الخيرة ..

فالأول لامرأتين كانتـا زوجتين لنبيين من أنبيـاء الله بمعنى انهما تحت أطهر رجلين وأفضل انسانين وفي أطهر بيتين .. ومع ذلك ضـلا ولم ينفعهما وجـود الخـير بين أيديهما ومـن خلفهما وفي كل كلمة أو حركة من حركات زوجيهما ..

وهكذا تكون النفوس الشريرة لا يؤثر فيهـا شيء بل هى مطبوعة على الشر والفساد .. وينطبق هذا على حال الزوجات اللاتى تتـاح الفرصة لهن في بيوت أزواجهن ليصلحن مـن أحوالهن وليطعن ربهن ويساعدن أزواجهن فلا ينتهزن الفرصة ولا يستفدن من الزوج الطيب والبيت الطيب ..

وزوجة ثالثة هى زوجة فرعون الطاغية .. الذى حارب الخير وتمادى في الشر حتى ادعى ما ليس للمخلوقين .. فزوجته في تلك البيئـة السيئة وبؤرة

الفساد النتنة ومع ذلك فقد كانت مؤمنـــة عارفة بربهـا لم يعجبها فرعون ولا من في بيتــه ولم تغرها مظاهر البذخ وعنفوان المادة ولكنها رغبت الى ربهـا أن يبنى لهـا بيتا في الجنة وينجيها من فرعون وعمله ومن القوم الظالمين ••

فهى مثل للمرأة الصالحة العاقلة المدركة التى تميـز وترى ما حولها •• ومثل للبذرة الطيبة في منبت السوء •• وقد نجت بنفسها حينما لم تســتطع التأثير على من حولها ••

ولن يخرج جنس النساء عن هذين المثلين فاما فساد وأما صلاح والحـق أبلج والباطل لجلج ••

كســب اليــد :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(خير ما أكل ابن آدم من كسب يــده) ••

دعا الاسلام أمــة الاسلام الى العمــل والكسب والضرب في الأرض ، طلبــا للرزق وهــذه الدعوة النبوية في هــذا الموضوع ومعناها الحض على العمل ، والاكتساب باليد لــه ميزات على غــيره •• ففيه الانشغال عن الشر والتحدث في عيوب الناس وفيــه تعب يعقبه راحــة وفيه لذة لا تعادلها لذة اذ يشعر الذى يأكل من كسب يده ان هذا المال الذى اشترى بــه هذا الطعام لم يدركه بالهين وانما حصل عليه بعد أن تصبب العرق من جبينه وامضي وقتا طويلا وجهــدا متعبــا في ادراكه •• فيلذ لــه الأكل مهما كــان نوعــه •• أما اذا جاء الأكل الى مجلسه وقــدم اليــه دون تعب فلن تكون لديه الشهية التامة والرغبة المندفعة ولن يجد اللذة المعنوية التى يشعر بها التاعب والعــامل بيــده

واذا استجاب المسلمون لدعوة نبيهم هــذه وحاولوا الأكل مــن خــير المأكولات وهى كسب اليــد لم يوجد بينهم عاطل ولا عالة على الناس ولا فقير محتاج وهكذا يكون العمل خيرا كله ••

الجبـــــان :

واذا ما خـلا الجبـان بأرض طلب الطعن وحـده والنزالا

اجتمعت كل الأمم على تعاقب عصورها وأجيالها أن اليهود أمـة خنوعة وأن اليهودى جبان في أصل تكوينه جبان بنفسه وبدنه ومعنويته تخور قواه عند الصغير ولا اشكال في هذه الحقيقة لأن الزمن قد صدقها وباعتراف اليهود أنفسهم فما بالهم بدؤوا يظهرون رؤوسهم ويرفعون أعناقهم .. مـن أسباب ذلك خلو المكان لهم فقـد جاءوا على فترة مـن تبـاعد المسلمين واختلافهم وانشغالهم بمشكلاتهم الداخلية والخارجية .. فوجدوا الميـدان لهم فجربوا القول ثم الفعل فلم يعارضهم أحد بل وجدوا تشجيعا ورداءا لهم من أمم هى غنيـة عنهم .. فتمادوا الى أن بلغ بهم الحـال أن يرفعوا عقيرتهم بالعنـاد ويمارسوا عضلاتهم التى أصبحت مغلولة دهـرا .

وهكذا حينما يخلو الجبان بأرض حدثته نفسه بطلب الطعان والنزال .. سنة الله في خلقه يضاف الى ذلك بعد المسلمين عن العمل بدينهم وتطبيق مبادئه وهذه فرصة اليهود .. وسينصر الله دينه وشيعته مهما طال الزمن ..

العـلم عنـد العرب :

يقول (درابـر) الامريكى :

(تأخذنا الدهشـة أحيانـا عندما ننظر في كتب العرب فنجد آراء كنـا نعتقد انهـا لم تولد الا في زماننا كالرأى الجديد في ترقى الكائنات العضوية وتدرجها في كمال أنواعها فان هـذا الرأى كان مما يعلمه العرب في مدارسهم وكانوا يذهبون الى أبعد ما ذهبنا فكان عندهم عاما يشمل الكائنات العضوية والمعادن والأصـل الذى بنيت عليـه الكيمياء عندهم هو ترقى المعـادن في اشكالها ...) .

عندما زهدنا في تراثنا وانصرفنا عنه الى غيره أصبحنا كمثل هذه الشهادة من الغير تتناقلها في كتبنـا ونسر بقراءتها ..

وعند تركنا المجال لغيرنا قل علمنا واستفادوا هم واعتمدوا على ما وجدوه في كتبنا سجلا لعلمائنا الاقدمين وليس هذا هو الغريب في الأمر انما الغريب أن كثيرا من العرب لا يقرءون كتب اسلافهم هـذه ولا يعرفون حتى اسماءها وتراهم السنة ثناء للمدينة الحديثة والعلم الحديث •• ولو فاجأهم أحد بمثل هذه الحقيقة لفغروا أفواههم استغرابا واستنكارا وهذا دليل ضعف الثقـافة وقلة القراءة وتبعـا لهذا نجد كثيرا من أبنـاء العرب يتنكرون لهم وينحون عليهم باللائمة وتمتلىء اشداقهم مدحا لغيرهم واشادة بعلمهم وفعلهم وعاداتهم وما عملوا أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره فهم لم يتصوروا ما وصـل اليه العرب مـن العلوم ولم يطلعوا على النظريات التي سجلوها وعملوا بهـا وحرروها ثـم أخذتها أوروبـا عنهم •• فطورتها وعرضتها بثوب جديد حتى ان الذين أخذوا العلوم عن العرب والمسلمين لم ينكروا ذلك بل سجلوها لهم واثبتوه في كتبهم فبعض النظريات لا تزال باسم أصحابها في لغـات أوروبـا وبعضها قـد سجل بأسمائهم •

نحن لا ننكر للمتأخرين اختراعاتهم وبلوغهم شـأوا طويلا في العـلوم الآليـة ولكن علينـا أن لا ننسى الفضل لاهله وأن نطلع على الحقائق قبـل اطلاق الأحكام جزافا والحق لا يتغير مهما طال الزمن ••

* * *

اكرام اليتيم

قال الله تعالى :

(كَلاَّ بَلْ لا تَكرِمُونَ اليَتِيم ولا تَحاضُّونَ عَلى طَعَام المسْكِين وَتأكلُون التُراثَ أكلاً لما وتحبُّونَ المال حُباً جَمّا ..)

هذه طبيعة الخلق .. ولكن الله زجرهم وحذرهم من التمادى فيها .. حتى لا يهلكوا ويأتيهم العذاب ، والله عز وجل لا يعنى أن يترك الانسان المال أو يزهد في الدنيا ولكنه يحض من أوتى مالا أن لا يفعل عن الحقوق التى جعلها الله في المال .

فمن حقوق المال أكرام اليتيم الذى لا أب له .. واكرامه باعطائه ما يكفيه هو ومن يعوله .. ومن حقوق المال اطعام المسكين الذى لا يجد ما يكفيه من المال ويستحى أن يسأل الناس وواجب الأمة الاسلامية أن تتحاض وتتناصح وتدعو لاكرام اليتيم واطعام المسكين ..

وقد أراد الله عز وجل للمجتمع الاسلامى أن يكون أرقى المجتمعات فحمل مسئولية العاجز والصغير ورقيق الحال على ذوى اليسار والنعمة ..

واذا وجد مجتمع يتفقد فيه الأغنياء الفقراء والايتام ويمنحونهم من عطفهم ومالهم لا شك أنه سيكون في أرقى درجات المجتمع وفي منزلة مثالية لا يضاهيه فيها أحد ..

هذه مبادى الآهية للتكافل الاجتماعى وعلى الأمة الاسلامية أن تطبقها

وتعمل بهـا حتى تسـعد وتنتصر على غيرها وأسوأ الناس حظا مـن يملك الطريق الى السعادة ولا يسعد نفسه وأهله ومجتمعه ..

اللهم لا تحجب عنـا نور فضلك ..

الجليس :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(مثـل الجليس الصالح وجليس السـوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك أما أن يحذيك وأما أن تبتاع منه ، واما أن تجد منه ريحا طيبة . ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك واما أن تجد ريحا خبيثة) ..

وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث قاعدة من قواعـد المعاملة والمجالسة وضرب مثـلا واضحا لا يحتـاج الى شرح أو تعليق وترك الحكم للعاقل اللبيب يختار ما يشاء ..

وشتان بين مسك ورائحة خبيثة .. وبين نتيجة الحصول على المسك أو نتيجة فيها احراق الثياب .

وتبدو البلاغة باجلى صورها في هـذا المثل ..

فان الجليس الصالح كله خير في الأمور الحسية والمعنوية وهو كالمسك لا يأتي منه الا ما ينفـع .. فاما أن تنال منـه شيئا حسنا واما أن يدلك على أمر طيب في الحاضر والمستقبل .

وجليس السوء لابـد أن تؤثـر مجالسته فيك فاما رائحة نتنـة خبيثة تبدو منه وهـذا اذا لم يتأثر جليسه منـه ويقلده في أفعاله وأما الأثر السيء الذي يحرق الثياب والأعمال والمروءة .. والزمن كله منـذ أن خلقه الله يبين هذين النوعين ويدل على هاتين النتيجتين وعلى كل انسان أن يختار لنفسه ..

المـال والمروءة :

قال أحيحة اليثربى :

رزقت لبـــا ولـم أرزق مروءتـه — ومـا المـروءة الا كثـرة المـال
اذا أردت مســاماة تؤخـرنى — عما ينـوه باسـمى رقـة الحـال

لا شك أن كمال المروءة عقل ومـال •• وما أحسـن الدين والدنيا اذا اجتمعا •• ولكننا لسنا مع الشاعر بحيث تمنع رقة الحال من المروءة مطلقا •• بل أن للمال تأثيرا وأثرا لا محالة ولن يعدم العاقل مجالا للعيش مع النـاس والسعى في الأرض ولرجل عاقل قليل المال خير من خب كثير المال ••

فالعاقل يعيش في كل مكان وعلى كل حال وذو المال أن لم يسعفه العقلاء ويساعدوه على الحياة فلن يتماسك أو يحقق أدنى نجاح •

ونستطيع أن نؤكد أن المروءة اذا لم تسـاندها الثروة والجـاه أوقع في النفس وأبلغ أثرا منها اذا جاءت عن طريق البذل والانفاق ••

وهبنا رأينا رجلين أحدهما يبذل مـن نفسه وجهـده لمسـاعدة الناس ودعوتهم للخير وحل مشكلاتهم وآخر لديه المـال وحده ينفق •• أيهما أكثر نفعا للناس وأجدى في المروءة •• ولا سيما في هـذا الزمن الذى قلت فيـه المروءة لذاتهـا وضعفت النفـوس وكثرت الحسـنة وقلت النفقـة لله فقط وللمروءة وحدهـا ••

اذا فان شاعرنا قد قال هذين البيتين في لحظة تأثر من غنى أو غفلة عـن الشاعر أو قصور عن ادراك مطلوب ••

والله هو الحكيم العليم •••

العفـــو :

قال سهل بن هارون :

(العفو الذى يقوم مقام العتق ما سلم من تعداد السقطات وخلص مـن تذكار الزلات) ..

تأبى النفس البشرية أن تخرج عن طبعها وأن تبعد عن أصلها .. والناس في تعاملهم يحتاجون الى التسامح والعفو وغض النظر وعدم الدقة في الملاحظة في الأمور العامة حتى تنمو بينهم العلاقات ويعيشوا بأمن وسـلام وكثير مـن النـاس لا يعرف معنى العفو وهذا خال مـن العاطفة والانسانية وغـير متبع للتعاليم الدينية التى تقول :

(خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) ..

وبعض الناس توجد لديه صـفة العفو لكنه لا يمارسها الا بعـد تعداد للسقطات وتذكير بالزلات فيكدر بفعله هذا صفحة العفو البيضاء ويهين نفس المعفو عنـه ..

ويفقد ميـزة العفو والتسامح ويبدو صـاحبه كأنه مرغم على ما فعـل ومضطر لاتيان ما عمل ولقد عرفت رجـلا مـن الذين كانوا يمثلون المروءة والعفو بأجلى معانيه حتى أنه ليعلم من حال محدثه أنه كاذب بما يقول ولكنه لا يشعره بعلمه ذلك .. ولا تبدو عليـه علامات التـأثر ويكبح جماح نفسه حتى ينتهى الجانى من قوله ويتم هو عفوه وتسامحه ،فكان مثلا في هذا ..

* * *

مـوت الفجـأة

قال الله تعالى :

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجورَكُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُور) .

الموت هو غاية كل حي .. وهو الأمر الذى لا ينكره أحد ولا يشك في وقوعه انسان .. وقد جعل الله الأمل في المخلوقين ليعيشوا أعمارهم وليعمروا الكون ..

وفي زمننا هذا كثر موت الفجأة واستغرب الناس هذه الظاهرة وصارت حديث المجالس .. ولا غرابة في ذلك فهى من علامات آخر الزمان .. وسر ذلك ــ والله أعلم ــ ان الطب في آخر الزمان يتقدم ويأتى الأطباء بعجائب في أعمالهم واختراعهم فيعتمد الناس على الطب ويسوفون بأنهم سيعالجون ويستبعدون الموت .. ويعللون أنفسهم بالعلم الحديث والطب البارع .. فأراد الله أن يؤكد لهم انه اذا جاء أجلهملا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون حتى ولو تقدم الطب وحاول زرع القلب .. والمهم في الأمر أن يعمل الانسان في هذه الحياة لما بعدها فما هى سوى متاع وفيء زائل وما بعدها هو المستقر فاما سعادة دائمة واما شقاء دائم .. وشتان ما بين الجنة والنار .. والفرصة متاحة لكل انسان أن يختار لنفسه ما يشاء .. والله غفور رحيم ..

الهـدى والعـلم :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلاء والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت المـاء فنفع الله بهـا الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى انما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاء فذلك مثل من فقـه في دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم •• ومثل من لم يرفع بذلك رأسـا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت بـه) ••

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخير كله وجـاء بالهدى والعلم من الله عز وجل وبلغه لكل الناس والناس ينطبق عليهم تماما المثل الذى ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم •• ولعل هذا المثل يبدو للذين يترددون على الصحراء ويشاهدونها أثناء المطر أكثر من غيرهم فهو على وضوحه يبدو جليا عند الوقوف على الأرض بعد المطر •• وفي هذا المثل وضوح الهدف السامى الذى جاء به الاسلام وهو نفع الناس وايصـال الخير اليهم وعلى مـن أراد تلمس هذا التصوير الرائع من كلام النبوه أن يرى مدى انطبـاقه على أهله واخوانه وأصدقائه •• ليرى كيف يشبه الناس الأرض •• وأثار هذه الأنواع واضح في قول وفعل الناس •• والله هو اللطيف الخبير ••

أولادنـــا :

قال حطان بن المعلى :

أبكـانى الدهـــر ويـا ربمـــا ... أضـحكنى الدهـــر بمـا يرضى

لـو لا بنيـات كـزغب القـطـا ... رددن مـــن بعـض الـى بعـض

لكـان لي مضـــطرب واســـع ... في الأرض ذات الطـول والعـرض

وانمـــا أولادنـــا بيننـــا ... أكبادنـــا تمشـى عـلى الأرض

لـو هبت الريـح عـلى بعضـهم ... لامتنعـت عـينى مـن الغمـض

يردد الناس دائما البيتين الأخيرين عند ما يأتى ذكر الولد وحنان الوالد •• ويكتمل المعنى عنـد قراءة الأبيـات كلها فهى تحكى حـال كثيرين ممن يحتملون ضيق العيش ويصبرون على الشدائد من أجل أولادهم •• وخاصة عندما يكن بنـات فقط •• فهن يقصصن جناح والدهن ويقصرن طرفـه عن التحليق في أجواء الدنيا الواسـعة المليئة برزق الله فهو لا يبرح أرضهن ولا يبعد عنهم وقد لا يشعرون بما يكنه في صدره وما يعمله ويقاسيه من أجلهن وفوق ذلك كله فقلبه يخفق خوفا عليهن وحدبا ورحمة وعطفا ••

ولو أن أهل الأرض اجتمعوا ليصوروا حنان الوالد وعطفه كما صوره حطان لما استطاعوا أن يدانوه فهو يصـور الأولاد بكبده تنزع مـن جسمه وتوضع على الأرض وهى بلينهـا ونعومتها وحساسيتها لا تحتمل مسـا ولا تقوى على البقاء ولو انهـا أصيبت بهبوب ريح لما نـام صاحبها ولما أغمضت لـه عـين ••

وهذه حقيقة يشعر بهـا كل والد ووالدة ويحيونها كل لحظة وثانية •• ولكن يا ترى هل هـذه الكبد التى تمشى على الأرض بقيت في هـذا الزمن ناعمة رقيقة •• ذات شـعور مرهف أم انهـا قست كما قست الحيـاة كلها وتغيرت •• ؟ •• لا أعتقـد أن من يرى هـذه يعتبر متشائما بل يستطيع أن يقول انها قد تتحول أحيانـا الى عظم قاس يجـرح بأطرافه ويؤذى بجسـمه ولكل زمان آيـة ولا حول ولا قوة الا بالله ••

شىء افتقدنا :

كانت المدارس في العصور الاسلامية الأولى مدارس عملية وكان عددها غير محدود تتخذ المساجد مقرا لها ليرتادها كل أحد دون استئذان ودون طلب أو تقديم أوراق •• وهذه مدرسة من تلك المدارس ••

« قال أبوبكر بن العربى : حضرت يوما مجلس أبى منصور الشيرازى وكان من عاداتهم انه لا يبرح المنبر حتى يجيب عن كل سؤال •• يصعد المنبر ويأخذ القارىء بالقراءة وترمى الرقاع بالأسئلة من كل جانب وتتناولها الأيدى حتى

تصل الى الشيخ فيجعلها تحت ركبته فاذا فرغ القارىء أخذها واحدة واحدة فيقول : وهذا يسأل عن كذا وجوابه كذا •• وهذا يسأل عن كذا وجوابه كذا •• فيأتى بأحسن الجواب •• »

ان بعض المتأخرين يعيب على المدارس الأولى عـدم تنظيمها وترتيبهـا فما بالكم بهذه المدرسة انها في غـاية التنظيم وان المحاضرات التى تنظم اليوم وتعد لها العدة ويدعى لها الناس •• تشبه طريقة الدراسة في هذه المدرسة ••

ولقد كان التحصيل أكثر •• والتأثير أقـوى •• والعلماء أفضـل •• وقليل نافع خير من كثير غير مفيـد ••



الخـــداع

قال الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ٠ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) .

من أسـوأ الأخلاق الادعاء والقول دون عمل •• وقد انحى الاسـلام بالأئمة على اللذين يقولون ما لا يفعلون •• واخبر أن ذلك الفعـل ممقوت عند الله عز وجل ، ممقوت صاحبه لانه يتسبب في اضرار لقائله ولسمعته •• وللمجتمع بأسره واذا فشا القول الكاذب في مجتمع تقوضت دعائمه واختـل توازنه وانفك ارتباطه وانعدمت الثقة بين افراده واذا نزعت الثقـة لم تبـق للمجتمع قيمة ولم يوجد بين أفراده تعـامل ثابت مستمر وتعطلت مصـالحهم وارتبكت تجارتهم ••

أما اذا امتهن الرجل ذلك الخلق مع ربـه فذلك الضلال المبين والخرق المتناهى لأن الله عز وجل يعلم السر وأخفى ويعلم ما تكنه الصدور فلو جـاز أن ينطلى كلام على أحد لما جاز على العليم الخبير ••

ولكن بعض الناس يبتلى بهذه الخصلة البغيضة فيخدع نفسـه ويخادع سواه وهذا الخلق الذميم هو خلق المنافقين الذين يظنون انهم يخادعون الله وما يخدعون الا أنفسهم •• لأن عمـل المرء عـائد اليه وهـو الذى سيجنى نتيجتـه ••

والله عـز وجل أراد أن يكون المؤمنون في أعلى درجـات الأخلاق وفي أحسن حال وأطيب تعامل فنهاهم عن القول بلا عمل والتظاهر بما ليس فيهم •• بل عليهم أن يعملوا ويضاعفوا من أعمال الخير دون قول والعمل شاهد نفسه لا يحتاج الى دعوى ••

الأمـــــانة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الخازن المسلم الأمين الذى ينفذ ما أمر به فيعطيه كاملا موفرا طيبـة به نفسه فيدفعه الى الذى أمر له به أحد المتصدقين » •

يدعو الاسلام دائما الى الأمانة في القول والعمل •• ويحرص على تعامل الناس وانتظام أعمالهم •• وهذا نوع من أنواع الدعـوة الى الأمـانة وهو اشتراك الخازن ومأمور المستودع بالأجر اذا انفق صاحب المال نفقة لله وقام هذا الموظف بأدائها كاملة غير منقوصة ولم يتلكأ ويتماطل أو يسوف ويرجى أو يؤخر وينتحل الاعذار أو يتخلف ويفوت على صاحبها حاجته ••

وينطبق هذا على موظفى المستودعات في الحكومات وعلى وكيل الرجل الخاص وعلى أى انسان مؤتمن يؤدى ما أمر به طيبة به نفسه غير منقوص ••

وفي هذه الدعوة اغراء باتباع هذا السبيل ، وحض على التعاون والرغبة في الخـير ••

وفيـه لفت نظر الى الموظفين الذين تتعلق أعمالهم بالمسلمين ، أن عليهم الاخلاص وحسن المعاملة والمبادرة وكل عمل أمـانة ، وكل مسئولية أمانة ••

والاسلام لا فرق فيه بين الدين والدولة فالرجل في عمله يجب أن يطيع الله فيه ويتصور أن عليه رقيبا يكتب حسناته وسيئاته ••

وبمقدار احسان الرجل في عمله يكون احسـانه الى نفسـه فالمصلحة مشتركة وهو الغانم فيها •• ولن يحرم من الغنيمة سوى محروم سيء الحظ •

الحاجـــات :

قال ابن حطـــان :

يأســـف المـــرء على ما فـــاته   مـــن لبانـــات اذا لم يقضـــها
وتـــراه ضـــاحكا مســـتبشرا   بالتى أمضى كأن لم يمضـــها
انهـــا عندى كأحـــلام الكرى   لقريب بعضـــها مـــن بعضـــها

كلنا ذلك الرجل •• أمالنا عريضة وكأننا سنملأ الدنيـــا ونغطى فضاءها بحاجاتنا وآمالنا •• واذا فات أحدنا لبـــانة كان يحب أن يدركها أسف لهـــا أسفا شديدا قد يؤدى بـــه الأسى الى الأضرار بنفسه •• أو ضياع حقـــه أو فقد صاحبه •• فاذا حصل عليها سر سرورا بالغا •• والشاعر يقصد هذا المعنى ويفكر في حقيقة الحياة أن كل آمال البشر ومطامعهم في الدنيا وحتى دنياهم كلها ما هى سوى حلم نائم ما مضى منهـــا وما سيأتى وما عظم وما صـــغر •• ان هى الا طريق لحياة أخرى هى المستقر والمال •• وهى التى تبقى وتستحق أن يعمل من أجلها •• أما هذه الآمال الدنيوية التى يشترك بها جميع المخلوقين فانها تشبه بعضها •• وتتجدد بفنـــاء من سعدوا من أجلها ونعموا بها ••

وان دقيقة تفكير بهذا المعنى تجعلنا نوافق الشاعر على رأيه •• وتجعل العاقل منـــا يفكر فيما وراء ذلك ••

المســـــــاجلة :

كان العرب يتعلمون الشعر كما يتعلمون أى فن من الفنون •• يمرنون أولادهم على استماعه ثم على قراءته ثم على قرضه ••

بالاضافة الى ما لديهم من الملكة الفريدة الوقـــادة ومن الأساليب التى يتبعونها لتعويد أولادهم على الشـــعر •• المساجلة : والمساجلة مأخوذة مـــن السجال وهو الدلو واصله أن يقف الرجلان على البئر كل واحد ينزع سجله ، فيتباريان ويتبدران النزاع ثم قالوا لكل من يبارى صـــاحبه في قول الشـــعر أو الخطابة هو يساجله •

وقد كانوا يعمدون الى أنواع من المساجلة •• منهـا أن يقول أحدهم شطر بيت من الشعر ويطلب الى الآخر أن يتمـه •• يبدأ هذا بالصدر ويتم الثانى العجز ثم ينعكس الموقف فيبدأ الثانى بالصـدر ويتم الأول العجز ••

ومنها أن يبدأ المعلم القصيدة ويطلب من المتعلم اكمال بعض مقاطعها أو أبياتهـا ••

وحينما ضعف الشعر وقل عشاقه •• وزهد به أهله انتهت المساجلة الا في نـوع من أنواعها السـهلة اليسيرة وهى الموجـودة اليـوم وتنحصر في الاستذكار والحفظ بحيث يقول المساجل بيتـا من محفوظاته •• ويطلب الى مساجله أن يأتى ببيت من حفظه يبدأ بالحرف الذى انتهى به البيت الأول ••

وهذا النوع رغم ما فيه من فائدة الا انه لا يعلم الشعر بل يبقى حفظه ••

ومن العجيب اننـا لم نسمع ولم يرد لنا مساجلة تعرض الشعر والتعود عليه في الأزمنة الأخيرة ••

ومن يدرى لعل المساجلة الموجودة اليوم تنتهى بعد أيام ••

واللیالی مـن الزمـان حبالی مثقـلات يلـدن كل عجيب

* * *

أمـة الدعـوة

قال الله تعالى :

(وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

هذه الأمة الاسلامية هى أمة الدعوة .. الدعوة الى الخير والدعوة الى التحرر من عبادة المخلوقين وظلمهم الى عبادة الخالق وعدله ..

فالمسلمون مأمورون بالدعوة الى كل خير للانسانية جمعاء وأمرهم بالمعروف الذى ينفعهم ويكون سببا في سعادتهم ونهيهم عن المنكر من القول والعمل الذى يضرهم ويضر غيرهم ويجلب لهم الشقاء في دنياهم وآخرتهم ..

هذه هى المبادىء التى جاء بها الاسلام .. واصلاح للنفس وعمل بالتعاليم السماوية ثم دعوة للناس ومحاولة لاصلاحهم .. وهذا الأمر أمر شاع بين أفراد المسلمين لا يخص أحدا دون سواه ولا يلزم أناسا دون غيرهم فكل مسلم عليه واجب بحسب قدرته واستطاعته .. وفي حدود ظروفه الخاصة وما دامت الدعوة الى حق فانها ستجد الاستجابة دون عنت وسيتقبلها العالم لمصلحته هو وللخروج من حيرته .. ولكن المفلحين من أمة محمد هم الذين يستطيعون ابلاغ دعوته وشرحها للناس ..

وقد أصبح العالم اليوم بحاجة الى دعوة مخلصة صادقة للاسلام ولن يعدم المسلمون من يقوم بهذا الواجب العظيم ..

النصـــح لكل مســلم :

(عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على اقام الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم) ..

هذه العلاقة الحقيقية بين المسلمين هي النصح لبعضهم والتفانى في خدمة الآخرين وايصال الخير لهم .

ودليل حرص الاسلام على هذا الخلق الكريم والقاعدة الأصلية في بنـاء المجتمع وهى النصح أنه قرنها بركنى الاســلام اللذين هما اقـام الصـلاة وايتـاء الزكاة ..

وقـد طلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم من جرير في أول عهـده بالاسلام فجعله يدخل الاسلام بنفس مؤمنة من خلقها الثابت النصح للمسلمين وتفقد شئونهم واصلاح أوضاعهم وتلافي الخطر المحدق بهم .. وهكذا كان المسلمون ..

لقد كان الرجل منهم ناصحا للأمة الاسلامية ككل ، وناصحا للافراد .. يتناصحون في الأمـور الخاصة ويخلصون في أعمالهم التى تعود على الأمـة الاسلامية بالنفع العام .. اذا قالوا قولا صدقوا فيه واذا عملوا عملا أخلصوا فيـه وأتقنوه .. ومن أجل ذلك بنوا أمة مسلمة قويـة فرضت وجودها على العالم ودعت الناس الى الخير وبلغتهم الرسالة السماوية .. وابقت للانسانية كلها مبادىء الخير وأصول الحيـاة ..

الا ما أحوجنا للعمل بهذا الخلق الاسلامي النبيل ..

نجـــــد :

أقـول لسـعد وهـو خلي بطـانة ... وأى عظيم لـم أنبـه لـه سـعدا

اذا نكبت نجـدا مطايـاك لم ابـل ... بعيش وان صـادفته خضلا رغـدا

تلبث قليــلا ارم طـرفي بنظـرة ... الى ربوات تنبت النفـل والجعـدا

فـانك ان اعرقت والقـلب منجـد ... ندمت ولم تشـمم عرارا ولا رنـدا
ولم تـرد المـاء الذى رادك النوى ... وقد ذقت ماء الرافدين بـه وجـدا
وترمى بنـا أرض الأعـاجم ضـلة ... فتـزداد عمن نشتهى قربـه بعـدا
وها أنـذا أخشى والحوادث جمـة ... اذا زرتهـا الا نرى بعدها نجـدا

نجديات الأموى

ان الحنين الى نجد والتعلق برباها وسهولها ، وعرارها ونفلها ورندها ، واقحوانها وشيحها وقيصومها أمر تكرر في الشعر العربى كثيرا •• تغنى بـه الشعراء وأفاضوه بيانا يسيل رقـة وينطق صدقا •• وهم معذورون في ذلك • فان من يعيش عيشتهم ويحيا حياتهم في التنقل بين رباهـا ، ورياضها لا يملك الا أن يحن حنينهم ويقول مثل قولهم ••

لكن الذين يقيمون بمدن نجد ، ويحيون حيـاة المدن فقط لا يدركون هذا المعنى ولا يشعرون بجمال نجد وطيب هوائها وكثرة أطيابها ••

ان زيارة عـابر لروضة من الرياض التى تقع بين ربوة من المال وأخرى من الجبال في فصل الربيع تجعل المرء يشـعر بشعور غريب يتصور معـه أن هـذا أحسن مكان في الدنيا •• وهناك يؤمن بأن كل ما يقـال عن نجـد هو صحيح ودون ما تستحق ••

أن في ذلك المكان وفي ذلكم المنظر الحرية والفضـاء الواسع والهـواء العليل والرائحة العبقة والهدوء التام فيما عدا زقزقة الطيور وألحان الأغصان • وصفير الأشجار ••

المـــروءة :

رفع رجل الى أمير المؤمنين عمر في جـرم اقترفه فأراد معاقبته فأخبر أن له مروءة فقال : « استوهبوه من صاحبه » •

عمر بن الخطاب المعروف بقوته وصلابته في الحق والضرب على أيدى المجرمين بيد من حديد •• يعفو عن رجل أراد أن يعاقبه وعزم على ردعه حينما علم أنه من أهل المروءة والفضل •• ولا غرو في ذلك فان المروءة خلق شريف وعادة حسنة تجعل صاحبها أهلا للتكريم والتقدير ••

واذا كثر أهل المروءة في مجتمع انتشر فيه الخير والصدق والمعاملة الحسنة وكانوا سببا في التسامح والعطف والتحاب والتقارب ••

وما قلوا أو عدموا الا ساد التفرق والاختلاف وأصبح أفراد المجتمع كالجماد لا يحسون بما يقاسيه المضطرون والمحتاجون ولا يتأثرون بما يجرى من الآلام والمشكلات وكأنهم من طينة غير طينة اخوانهم •• أو جنس غير جنسهم ••

وقد أيد الاسلام الأخلاق الفاضلة التى وجدها عند المسلمين ودعا الى استمرارها والاستزادة منها بل جعلها دينا يطالب ويجازى عليه المسلم ••

وحينما عدمت المروءة في الزمن الأخير عدمت معها المعانى الكريمة التى تعنى معنى الرحمة والانسانية وأصبح الناس كالوحوش •• هم الرجل منهم ملء جيبه وبطنه من أى طريق وعلى أى كيفية ولا يهمه بعد ذلك سعد الناس أم شقوا ••

ولعل المدنية الحديثة قضت على كل معنى كريم وبرزت فيها الماديات البحته وفقد طعم الحياة الحقيقى ••

والله العليم بما سيكون عليه الناس في مستقبل الحياة ••

* * *

صفة الآدمي

قال الله تعالى :

(لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) .

اختار الله ابن آدم من بين المخلوقات وكرمه وعظم من شأنه وخصه بالتكليف •• ووهبه العقل وزاد من فضله أن جعل صورته أحسن الصور وقوامه أعدل المخلوقات •• وشكله حسنا مقبولا •• فأعضاؤه متناسقة وصفاته حسنة واحساساته متوفرة فهو صالح للحياة ومستعد للتفكير ولاختيار الطريق الفاضل اذا أراد ••

والله عز وجل في هذه الآيات يذكر هذا الانسان بنعمته عليه ، ان جعله على هذه الصفة الجميلة ويذكره بأن هذه الصورة ستتحول الى صورة ضدها •• فتتحول القوة الى ضعف والجمال الى قبح والشباب الى شيبة ولن يبقى من كل ذلك الا عمل المؤمنين الذين يعملون الصالحات •• فأولئك يجزيهم الله الجزاء الأوفي بدون منة وذلك فضله واحسانه ••
والمعنى أن المؤمنين مدعوون لعدم الاغترار بمظاهرهم أو ما يملكونه من الدنيا أو الجاه والمناصب فكل ذلك يزول ولا يبقى الا العمل الصالح ••

حق الطريق :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اياكم والجلوس في الطرقات »

قالوا : يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فاذا أبيتم الا المجلس فاعطوا الطريق حقه ..

قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ ..

قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » ..

في ذلك الزمن وفي كل زمن حتى يومنا هذا تقضى ظروف بعض الناس الجلوس في الطرقات .. حيث يجتمع عدد من الناس يتحدثون في أمورهم ويتناقلون الأخبار وغالبا ما يكون هذا المجلس في الطرقات العامة التى يتردد عليها الناس ويمر منها كثيرون ومن عادة الاسلام أن يحرص دائما على احترام الحقوق ويحافظ على أعراض المسلمين ... وهؤلاء الذين يجلسون في الطرقات قد يعترضون المارة بأبصارهم أو ألسنتهم يلمزون هذا ويعلقون على ذاك ويغبطون هذا ويزدرون الآخر .. ومن أجل تجنب مثل هذه الامور نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته عن الجلوس في الطرقات ولما برروا بقاءهم فيها .. طلب منهم أن يؤدوا حق الطريق فأسرعوا الى الاستفسار منه عن هذا الحق فأخبرهم أن على من يجلس في طريق المسلمين أن يغض بصره فلا ينظر الى محارم الناس ولا يمعن النظر في أشكال المارين ولا ما يحملون أو يعملون وعليه أن يكف أذاه عن الناس ويمنع وصول الأذى من غيره اليهم .. وان يرد السلام على من سلم عليه وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كلما وجد الى ذلك سبيلا .

بهذه الحقوق يجوز لمن تدعوه ظروفه الجلوس في الطريق وبدونها لا يجوز الجلوس احتراما للحقوق ورفعا من شأن المسلمين وعدم ابتذالهم .. ولا شك اننا حينما نعمل بهذه الأخلاق نكون أطعنا نبينا وارتفعنا بأنفسنا ومجتمعنا الى درجات الكمال ..

المضـــــاربة :

(خـرج عبد الله وعبيد الله ابنـا عمر بن الخطاب رضى الله عنهم الى العراق في جيش من جيوش المسلمين •• فلما انتهت مهمة الجيش وقفلا مـرا على أبى موسى الأشعرى وكان أمـير البصره فرحب بهما وسـهل ثم قال : لو أقدر لكما على أمر انفعكما بـه •• ثم قال : بلى ـ ههنا مال من مال الله أريد أن أبعث بـه الى أمير المؤمنين فأسلفكماه فتبتاعان بـه متاعا من متـاع العراق ثم تبيعانه بالمدينة فتؤديان رأس المال الى أمـير المؤمنين ويكون لكما الربح •• فقـالا : وددنـا ذلك •• ففعل وكتب الى عمر بن الخطاب أن يأخذ منهما المال فلما قدما باعا فأربحـا فلما دفعـا ذلك الى عمر قال : أكل الجيش أسلفه ؟ • قالا : ما ينبغى لك يا أمير المؤمنين هذا •• لو نقص هـذا المال أو هلك لضمناه ••

فقال عمر : اديـا •• فسكت عبد الله وراجعـه عبيد الله فقال أحـد جلساء عمر : يا أمير المؤمنين لو جعلته قراضـا فأخذ عمر رأس المال ونصـف ربحـه وجعلهما في بيت المال وأخذ عبـد الله وعبيد الله نصف ربح المال •• قالوا : وهو أول قراض في الاسلام) ••

ان القراض في الاسلام هو المضاربة •• بـأن يعطى الرجل مـاله لآخر ليتـاجر بـه على أن يكون للعـامل لـه نصف الربح أو أكثر أو أقل حسب اتفاقهما وهذا النوع من التجارة فيه بركة ونفع اذا حسنت النية وخلص العمل فان رأس المال باق والربح موزع بين الاثنين ، يتكاثر هذا الربح ويزيد رأس المال اذا رغب الطرف الأول •• وقد كانت التجارة تعتمد على هذا النوع من الشركات الا أنه حينما سـاءت النيـة وضعف الوازع الدينى وقل الاخلاص محقت البركة فقلت فائدة المضاربة ، ونزعت البركة من المـال وصـار الخطر يداهم رأس المال بدل أن يتكاثر الربح •• والنية والأمانة شيء هـام بالنسبة للتجارة •• رحم الله عمر لقـد كان وقافا عنـد حدود الله ومطبقـا لتعاليم الاسلام وحذرا من مخالفتها ••

الزواج بالأجنبيـات :

في فترة من الزمن كثر تزوج الشباب مـن الأجنبيات •• وصـار ذلك تجديدا وتقدما ، فوقف الحاج محمد الهراوى في حفـل كبير وارتجل قصيدة منهـا :

وان زواج المرء مـن غـير جنسـه — قطيعـة أرحـام وفـك صـلات

وان هـوى يدنيـه مـن أجنبيـة — خـروج على الأوطـان بالنزعـات

فكم مـن فتى بـان على غير أهـله — تقلب فـوق الشـوك والجمـرات

تـرى نفسـها أعلى وأشرف بيئـة — ولـو انهـا مـن بيئـة الطرقـات

وان لهـا فضـلا عليـه وانـه — ـ على فضله ـ خال من الحسنات

فيـا ضيعة الآمال من فتيـة الحمى — اذا استسـلموا للغـى والنزعـات

ويا ذل أوطـان رمى البين شـملها — وقـاطع فيهـا الاخـوة الاخـوات

نسـاؤكم يا قـوم أولى بقـربكم — فهـن المعـين الحـق في النكبـات

هبوهن أدنى مـن سـواهن رتبـة — وأسـوأ في تقـديركم درجـات

فمن ذا الذى يرقى بهـن الى العلى — سـواكم ومـن يتبعن في الخطوات



اللحــن

عمر بــن الخطاب الخليفة الغيــور على دين الله وعلى المسلمين .. كان أيضا غيورا على اللغة العربية فكان يضرب أولاده على اللحن أكثر من ضربهم على الخطأ .

وروى عنــه أنه مر على قــوم يرمون ويسيئون الرمي فقرعهم فقالوا : انا قوم متعلمين .. فاعرض مغضبا وقال : والله لخطأكم في لسانكم أشد على مــن خطأكم في رميكم .. سمعت رســول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (رحم الله امرءا أصلح من لســانه) .

رحم الله عمر ترى لو أنــه استمع الى ألسنتنا اليوم ما تراه فاعــلا .. لا أشك في انه سيحمل درته ويعلو رؤوسهم .. ليست الأمر يقتصر على لحنة في رسالة أو مقال أو غلطة في حديث عابر لكنه أصبح على لسان كل أحد وفي كتابة كل أحد الا القليل النادر .. وصارت المراسلات الرسمية ملحونة لا تصح فيها مبادىء النحو ولا تحسن فيها الألفاظ المشهورة والقواعد الثابتة المعروفة وكأنتــا لســنا عربــا .. وليست هــذه لغتنا فلا نستغرب هــذا اللحن ولا نصحح الخطأ .. ويكتب أحدنا الرسالة ويقرأها الآخر وفيها اللحن الفاحش والخطأ الكبير فلا تتمعر وجوهنا ولا نغار على لغتنــا ..

وهذه ظاهرة سيئة بالنسبة لحاضرنا وماضينا ومستقبلنا .. فاذا تساهلنا بلغتنــا تساهلنا بديننا وأهلنا وتراثنــا .. ولن توجد أمــة من الأمم تهمــل لغتها .. فكيف بلغة القرآن ولغة العلم والأدب ولغة البقاء في الدار الآخرة .

الأيـــــام :

قال ابن دريد في مقصورته المشهورة ..

مــن لــم تفــده عبــرا أيــامه كان العمى أولى بــه مــن الهدى

كل ما يجرى في الكون هو عظـة وعبرة للبيب العاقل وسلوة وملهـاة للغر ، فالشمس تطلع كل صباح على جديد ، وتلد الدنيا كل يوم جديدا يدركه من يفكر في خلق الله وفي سير هذا الأفلاك وفي تدبير هذا الكون العظيم ..

ولقد كان الناس يدركون هذه الظاهرة فيعتبرون في كل شيء تقع عليه أعينهم أو تسـمعه أذانهم ، أو تعيـه قلوبهم ويقيسون الحـاضر على الماضى ويقارنون الأمور بأشباهها ..

أما اليوم فقد شغل الناس حتى عن التفكر والتدبر وألهتهم لذة العيش عن العظة والاستفادة من حوادث الزمان .. فقد عمت الصحة والعافية وكثر الخير والرزق ، وساد الأمن والاستقرار .. فسارع الناس الى التمتع بهـذه الخيرات دون أن يأخذوا منها عبرة .

والعاقل هو الذى يستفيد مـن كل شيء ومن كل لحظة مـن عمره .. وابن دريد يرى أن من لم يستفد مـن التجارب والحوادث فالعمى أولى بـه مـن الهدى لأنـه لا فائدة منـه ..



الطغـاء المـادى

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ » ..

عندما يكثر المـال والولد ينشغل النـاس بهم ويغفلون عن عبـادة الله وطاعته وقد دعى الله عبـاده المؤمنين الى عدم الانشغال بهم ..

وهذه الدعوة لم تنـه عن التمتع بالمال والتلذذ بـه والسعادة بالأولاد والفرح بهم .. فهذه الحياة .. والاسلام جاء للدين والدنيا وللحياة والآخرة معـا فلم يفصل الدنيـا عن الآخرة ولم يأمر بالتبتل وترك الدنيـا .. ولكنه نهى عن الشيء الذى يمكن أن يؤول اليه وجود المـال والولد وهو الانشغال عن العبادة ونسيان الواجب الدينى والغفلة عن الله وعن ذكره ..

وهذه نتيجة يؤدى اليها كثرة المال والولد .. فاذا كثرت الدنيا ينشغل بهـا أهلها ، واذا كثر الولد تعددت مشكلاتهم وكثرت طلباتهم وقـد يغتـر بالمـال والولد الجاهلون فيظنون انهم انما أتـوا ذلك لخاصة بهم ، لأمـر يعلمه الله منهم ..

ومن أجل ذلك نهى الله عن هـذه الظاهرة لأنه يعلم انهـا ستوجد لدى بعض الناس ولكن هؤلاء الذين يلههم المـال والولد هم الخاسرون للدنيـا والآخرة وسيخسرون بالطبع المال والولد أن عاجلا أو آجـلا ..

فمصير الحياة كلها للزوال .. ولن يبقى سـوى ذكر الله وما عمله المرء من خير في الدنيا فلينتبه المؤمنون الغافلون ولينتهزوا الفرصة قبـل فواتها .. والله غفور رحيم ..

الدنيـــــــا :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه في مجلس : فسأله أحدهم عن الدنيا والآخرة فقال :

(ما على أمتي أخشى الفقــر •• ولكن أخشى أن تفتح عليكم الدنيــا فتغتروا بهــا فتهلككم كما هلك من قبلكم) ••

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثهم وهو يعلم ما ستؤول اليه الدنيا من كثرة ووفرة للطعام والشراب ، وتوفر للملذات •• وقــد كانوا في ذلك الوقت في حال شديدة قاسية ليس فيها نعومة ولا رخاء ، حتى ولا شبع •

وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء من بعده خليفته أبوبكر ثم عمر •• ففتحت الدنيا على المسلمين واحتلوا ايوان كسرى •• وجلبت الى المدينة كنوز كسرى ، وأموال البحرين •• ووضعت بين يدى الخليفة فبكى وخاف من مصداق تخوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ••

ولكن أولئك الرجال كانوا أكبر وأقوى من أن تفتنهم الدنيا أو تغرهم ببهرجها وبريقها •• فحفظوا أنفسهم منهــا وأنفقوها في سبيل الله ••

وتوالت الدنيا تزيد وتنقص وتكثر وتقــل ، وتقبل وتدبر حتى بلغت في هذا الزمن مبلغا لم يمر عليها من قبل ولم يكن يصدقه انسان •• لقد توفــر لبنى الانسان كل أسباب النعيم والراحة واللذة ، فسخر له الحديد وقهر لـــه الجــو وخدمته أسباب كثيرة جدت في حياته •• فصــار لا يفكر في شيء الا ويجده •• ولا يشتهى شيئا الا أكله •• ولا يحلم بأمر الا أصـــابه ••

لقد بلغت المدنية حدا صــار العــاقل يحــار فيه ولا يصدقه ويتردد بين الحقيقة والخيال •• والناس جميعا قد انخدعوا بهذه المظاهر والمباهج الا من عصمه الله وهم قليل ••

وعلى العاقل أن يفكر في أمره وأمر الناس وفي حالة الدنيا اليوم وأخبار

الماضين وقصة الحياة معهم ويأخذ من ذلك موعظة وعبرة ، فيأخذ من الدنيا بحظه ولكن دون أن يطغى على الناحية الأخرى •• ودون أن يكون ذلك سببا في نسيان الله وفي التكبر على اخوانه المؤمنين أو في غمط حقوق الآخرين •• وفي نسيان الفقراء والمساكين ••

ونحن المسلمين نتميز على غيرنا بأمور كثيرة منها اباحة الدنيا لنا ولكن بنظام وحكمة ••

والعاقل منا من يفهم دينه ودنياه ويتوسط في أموره كلها •• ولا يغتر بأحوال الناس ••

هدانا الله سواء السبيل ••

قائد وعابد :

(يروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل مرة المسجد فوجد (النعمان بن مقرن) يصلى فلما فرغ من صلاته قال له عمر : لقد انتدبتك لعمل : فاجاب : أن يكن ولاية فلا •• وان يكن جهادا في سبيل الله فنعم •• فقال عمر انه الجهاد ••

وتجهز النعمان •• وعندما التقى بالفرس رأى عددهم يفوق عدد جنده أضعاف المرات وعدتهم تفوق عدته •• فقال لقواده : تريثوا حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر •• ثم قال :

أيها الناس :

انى هاز لوائي ثلاثا فاما أولها : فليتوضأ كل جندى •• وأما الثانية : فليعد سلاحه •• وأما الثالثة : فاحملوا ولا يلوين أحد على أحد وأن قتل النعمان •• أيها الناس : انى راغب الى الله بدعوة وأقسم على كل أمرىء منكم أن يؤمن عليها •• اللهم أرزق النعمان شهادة في نصر عظيم وفتح على المسلمين فأمن القوم ••

ثم هز لواءه وشد على الأعداء .. والتحم الجيشان وفي حومة القتال .. ابتدر معقل بن يسار .. النعمان وهو صريع ليسعفه وعندما فتح عينيه من رمق بـه قال : من أنت ؟ قال : معقل بن يسار .. قال : ما فعل الله بالناس ؟ قال معقل : فتح الله للمسلمين .. قال النعمان : الحمد لله كثيرا .. اكتبـوا بذلك الى عمر ؟ وفاضت نفسه بعد أن انتصر المسلمون في موقعة (نهاوند) .

كل هذه القصة عبر ومواعظ .. ففيها فراسة عمر رضى الله عنـه وفيها كثرة عبادة أولئك الرجال رضى الله عنهم .. وفيها الجمع بين العبادة والقوة والعمل .. وهـذه من الأشياء التى يمتاز بهـا الاسلام فلا رهبانية فيـه بل دين ودنيـا ..

ثم هذا الاقدام والرغبة في الجهاد وتمنى الشهادة ولكن بعد النصر .. وأطيب ما تكون الشهادة بعد النصر والفتح وفيها التنظيم والتكتيك الحربي الذى امتاز بـه الاسلام وأتبعه القـادة الأشاوس ..

فقد تحرى النعمان الوقت المناسب وانتظر حتى يزول الحر وتهب الريح ويستنشق الجند الهواء البارد فيعينهم على الكر والفر ..

ثم هذه الصفة التى يختص بها المسلمون وهى الوضوء عند القتـال .. أن في الوضوء في هذا الوقت أكثر من معنى ففيـه التطهر والتنظيف وفيـه النشاط والقوة وفيه ابعاد الكسل وطرد النجاسة الموهنة ..

وفيه طاعة الله واظهار طهارة البدن مـع طهارة القلب وفيـه الاستعداد للشهادة فاذا مات الجندى مات طاهرا نقيـا ..

وبهذه الصفات انتصر اسلافنا وفتحوا الفتوح .. انهم حينما يقدمون على القتال فانما يقدمون وقد استعدوا للموت .. وعند ذلك لن يلووا على

شىء ولن يتراجعوا فقد انتهوا من الدنيا واستنشقوا هــواء الآخرة •• واذا أقدموا بهذه الروح المعنوية فســوف لا يحول دونهم حــائل ولا يمنعهم عن عدوهم مــانع ••

وويل لنــا أن نحن قارنا جنودنا في ذلك الوقت بجنود المسلمين اليوم •• أن البون شاسع والفرق عظيم •• والله على كل شىء قدير ••



صـــدقة

(عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنـــه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : على كل مسلم صدقة •• قيل : أرأيت أن لم يجد •• قال : يعمل بيـــده فينفع نفسه ويتصدق •• قيل أرأيت أن لم يستطع •• قال : يعين ذا الحـاجة الملهوف •• قيل : أرأيت أن لم يستطع •• قال : يأمر بالمعروف أو الخير •• قيل : أرأيت أن لم يفعل ؟ •• قال : يمسك عن الشر فانها صدقة) ••

لا يمكن أن تحصل العنـــاية والرأفة بانسان مثل المسلم فقـــد أنعم عليه ربه بنعم كثيرة منها بعثة سيدنا محمد بن عبد الله لارشادنا وتعليمنا ورســـم الحيـــاة لنـــا •

وأن مجتمعاً يعمل بهذه الأخلاق ويتحلى بهذه الصفات لهو مجتمع مثالي عظيم فكل واحد من أفراده عليه صدقة ولكن هل هذه الصدقة متعسفة ؟ أو مرهقة أو غير ممكنة ؟ لا انها حسب استطاعته •• فاذا كان لديه شيء فليتصدق منـــه ، وان لم يكن لديه شيء فليعمل بيده حتى ينفع نفسه وينفع غـــيره •• فلا كسل في الاسلام ولا اتكالية فان لم يجد مالا فهناك صدقة عملية بدنيـــة وهذه يستطيعها كل انسان وهى اعانة المحتاج والمصاب والخائف ••

وان وجد في المسلمين فقير وعاجز في بدنه فـــله طريق الى الصـــدقة •• صدقة قولية يؤديها اللسان •• هى الأمر بالمعروف •• وأنواع الخير المتعددة وان وجد في المسلمين فقير وعاجز وغبى وجاهل فله أيضا صدقة هى أن يمسك بنفسه عن الشر فاذا احتسبها عند الله كانت له صدقة ••

ان هذه طرق للخير كثيرة ولن يضل عنها الا محروم ولن يعدم واحـــدة منها سوى الاخرق الذى لا وجود له في الدنيا ••

وفضل الله عظيم

طريقـــان

قال الله تعالى :

« فَأَمَّا مَن أَعطَى وَاتقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى وَمَا يُغْنِي عَنهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى » .

طريقان : هما طريق اليسر والتوفيق والرضـا وطريق العسر والشقاء .. معروضان للمسلم يسلك أيهما شـاء .. والطريق اليهما سـهل ميسور على المسلم أن يعطى قليلا مما أعطاه الله يتصدق بـه على المحتاجين مـن اخوانه المسلمين ويتقى الله في نفسـه وفي صدقته تلك ، ويؤمن بالآخرة وبما جـاء عن الله ويقابل هـذا النوع ، من يبخل بما أتـاه الله ويستغنى عن الله وعن الناس فلا يتصدق طمعاً في مغفرة الله .. ويكذب بما جاء عن الله وعن رسوله فجزاؤه الأمر العسير والعذاب في الدار الآخرة .. ولن يجدى عنه ماله شيئا اذا وقع في المكروه ففى تلك الساعة لا يستطيع أن ينفق من ماله ولا يفتـدى بـه .. ولن يجد سوى عمله الصالح وليس لـه عمل ..

ان هذين الطريقين ينطبقان على حـال النـاس اليوم وكل منـا يعرفهما ويملك الطريق اليهما ..

وهذه الدنيا هى المزرعة التى يستطيع المرء أن يزرع فيهـا ليحصد وأن يختار البذرة الطيبة لتكون الثمرة جيدة ممتازة ..

وهى فرصة قـد تضيع بين غمضة عين وانتباهتها ، ولن ينتهزها سـوى العاقل الموفق ..

ارادة :

أبو محجن الثقفى يعرفة كثيرون ..

شجاع فاتك اعتــاد شرب الخمر في الجاهلية ومرن عليهــا ، ولما جــاء الاسلام وحرم الخمر .. صعب عليه تركها وصار يغالب نفسه .. أنه يقر أنها أم الخبائث ولكنه لا يستطيع قهر نفسه .. فعاودها مرة في الاسلام وبلغ ذلك عمر الفاروق فأوقع عليه الحد .. ثم تكرر منــه ذلك فنفاه ..

ويمضى الزمــن سريعا .. ويعسكر الصحابة في القادسية ليجــاهدوا الأعداء ويعلم سعد بن أبى وقاص أمــير الجيش بوجود أبى محجن هنــاك فيأمر بسجنه ..

وتدور رحى الحرب ويشتبك الجيشان وأبو محجن بسجنه يسمع ويرى فتتحرك في نفسه الغيرة على جند الله والرغبة في حب المشاركة والدفاع عــن الاسلام ..

ويبدأ صدره يجيش كالمرجل .. ويستأذن سعدا في الجهاد فلا يأذن له . ثم يقنع حارس السجن ويعاهده أن يعود اليه بعد المعركة .. وبعد اللحــاح يوافق حارسه ويطلقه على عهد الله وميثــاقه ..

ويمتطى أبو محجن صهوة جــواد حدث لم يذلل بعــد فيذل سريعا .. ويتقلد سيفه ورمحه ويقبــل الى المعركة فرحــا مسرورا ويهجم على الأعداء كالأسد الكاسر يقبل ويدير ويدخل الصف ويخرج .. وسعد في مكان عــال ضرب له فيه ظل يراقب المعركة فيعجبه هذا الفارس ويمعن النظر اليــه فيعلم أنه أبو محجن .. وتنتهى المعركة بنصر الله للمسلمين وينتقل أبو محجن مسرعا الى ساجنه يشكره على اتاحة الفرصة له ويسلمه نفسه ليعيد قيــده ..

ويأتى ســعد فيــأمر باحضــار أبى محجن فيســأله أين كنت ؟ فيتلكأ

ويمتنع .. ثم يقول : أين كنت ؟ فيخبره أبو محجن فيقول لـه سعد : لقـد رأيتك وعرفتك .. فما الذى حملك على ذلك .. فيقول : حب الجهاد والرغبة في الاستشهاد في سبيل الله .

ثم سأله لماذا عدت بعد أن كنت تستطيع الهرب وعـدم العودة ؟ فقال : الوفاء بالعهد فانى أفي بوعدى .. ثم سأله : ماذا تطلب جزاءا لك ؟ .. فقال أبو محجن : ليقضى الله أمرا كان مفعولا ..

فكر سعد في الأمر ثم قرر اتاحة الفرصة لـه فأمر باطلاقه .. وحلف الا يحده على الشراب .. لقد شم نسيم الحرية بعد القيـد وانطلق في أرض الله الواسعة بعد الضيق ولكنه حلف لا يعود الى الخمر .. ولا يذوقها ولو أدى ذلك الى هلاكه .

وقد سئل في ذلك فأجاب :

(كنت لا أهتم بالعقوبة البدنية في الدنيـا فلما جعلت عقوبتى الى الله استحيت أن أبارزه بالعصيان فلا طاقة لى بغضبه وعذابه) ..

كل هذه القصة رائعـة وعظيمة وفيهـا عجائب ومواعظ للعاقل اللبيب ونكتفى بجزء يسير من هذه الفوائد .. وهو تلك الارادة القوية التى استطاع بهـا أبو محجن أن يمتنع من أمر عاش عليه وعوقب بـه ولم يتركه .. ولكنه تركه بكلمة واحدة من أجل الله عز وجل .. فأين هو من أولئك الرجال الذين لا يملكون الارادة ليمتنعوا عن الدخان .. أو اخلاف العادة في الامور السهلة والعوائد البسيطة ..

انهـا ارادة ... وهى عند مـن يملكها ...

الانســـــان

قال الله تعالى :

« لاَ يَسْأَم الإنسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ . وَإنْ مَسّهُ الشَّرّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ . وَلَئِن أُذَقنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِن بَعْدِ ضرَّاء مَسَّتهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي ، وَمَا أَظُنّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رَجَعْتُ إلى رَبِّي ان لِي عِنْدَهُ لَلحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهم مِن عَذَابٍ غَلِيظ » .

طبيعة الانسان طبيعة ركبت على حب الخير لنفسه وكراهية الشر لها .. وهذه حقيقة لا غبار عليها لأنها تعنى الوجود والبقاء في الحيـاة ..

ولكن الشيء الغريب أن الانسان مهما أوتى من الخير ومهما أدرك مـن الدنيا فانه لا يشـبع ولا يمل بل يستمر بطلب الزيادة ولن يصل اليه السـأم مهما تكاثرت لديه الأموال أو كبرت به السن أو عجز عن التمتع بملذاتها .. وبالمقابل لا تقبل نفسه الشر ولا تصبر على البلاء فاذا أصيب بقليل من ذلـك أصابه اليأس من رحمته وقنط بما معه ولم ينفق فيه في وجـوه الخير ونسى ما كان منـه عندما كان يتقلب في نعيم الغنى .

ولو أنه بعد هذه البلوى التى أصابته لطف الله به وأذاقه مـن رحمته وصرف عنه ما يعانيه لعاد الى خلقه وطبيعته وادعى أن ذلك الأمر يخصه هـو وميزة فيـه على غـيره مـن الناس ثم انكر نهـاية الدنيا لشدة تمسكه بها وحبه لهـا .. وقال في نفسه : على فرض اننى بعثت ورجعت الى ربى لأجدن

لديه الحسن والفضل على غيرى •• ويجيب الله عـز وجـل على كل هـذه الأحوال النفسية في الدنيا بأنه سيجزى كل انسان بما عمل وسيجازى المحسن احسانا والمسىء اساءة ••

الحلف :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من حلف على يمين يقتطع بها مال أمرىء مسلم هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان » ••

قاعدة من قواعد التعامل التجارى والتعامل بين المشترى والبـائع •• ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعـلم أن بعض البائعين والمشترين يتخذون الحلف ذريعة للبيع ووسيلة لاقناع المشترى •• يرددونها دون احترام لها ومعرفة مؤداها •• وقد يقسم أحدهم قصدا عند التقاضى ليجعل القضية في جانبه •• وهذا علاج نبوى للحيلولة دون وقوع مثل هذا العمل السىء •• فالذى يحلف يمينا يعلم أنه كاذب فيها وانها غير مطابقة للواقع وانما يريـد بذلك أن يؤثر على خصمه ويغلبه في الحجة ويقنع القاضي بأن الحق في جانبه سيلقى الله وهو غاضب عليه في يوم ليس فيه مال ولا بنون ولا شفاعة ولا فداء ولا يستطيع العودة للدنيا ليعمل ، أو يطيع ربه •• انه موقف محرج ورهيب فالرب الذى يرجوه المؤمن هو عليه غاضب فمن يرجو غيره ؟ ومن يقبل توبته ومن يتجاوز عن سيئاته •

ليتصور الاخوة التجار هذا الموقف عندما يتبايعون أو يعقدون الصفقات أو تقع بينهم وبين اخوانهم خلافات يلجئون بسببها الى القضاء ••

ويحتاجون فيها الى تقارع الحجة والبيان وعليهم أن يكونوا صادقين في معاملاتهم بعيدين عن الغش والخداع في القول والعمل وسيعوضهم الله خيرا مما تركوه وتربح تجارتهم وهو العليم الخبير ••

شـــــهادة :

قال هنري دي شامبون الفرنسي :

« لو لا انتصار جيش (شارل مارتل) الهمجي على تقدم العرب في فرنسا لما وقعت فرنسا في ظلمات القرون الوسطى ولما أصيبت بفظائعها ولا كابدت المذابح الأهلية الناشئة عن التعصب الديني والمذهبي ولولا ذلك الانتصار البربري على العرب لنجت اسبانيا من وصمة محاكم التفتيش ولو لا ذلك لما تأخر سير المدنية ثمانية قرون ونحن مدينون للشعوب العربية بكل محامد حضارتنا في العلم والفن والصناعة مع اننا نزعم اليوم أن لنا حق السيطرة على تلك الشعوب العربية في الفضائل وحسبها أنها كانت مثال الكمال البشري مدة ثمانية قرون بينما كنا يومئذ مثال الهمجية .. وانه لكذب وافتراء ما ندعيه من أن الزمان قد اختلف وانهم صاروا يمثلون اليوم ما كنا نمثله فيما مضى ».

الواقع يصدق ما قاله الكاتب الفرنسي وهو خبير ما حدث لفرنسا من المصائب في تلك القرون فقد وقعت في فتن ذهب ضحيتها مئات الألوف من الناس واضطرت أحوالهم وساءة حياتهم ..

وفي اسبانيا عقدت محاكم التفتيش بعد خروج المسلمين منها لمحاكمة المستفيدين من علوم المسلمين وخلال ثمانية عشر عاما حكمت هذه المحكمة على عشرة آلاف ومائتين وعشرين شخصا بأن يحرقوا وهم أحياء ونفذ الحكم على ستة آلاف وثمانية وستين بالشنق بعد التشهير .. وقد نفذ الحكم على سبعة وتسعين ألفا وثلاثة وعشرين بعقوبات مختلفة ..

ولم يكن لهؤلاء جميعا ذنب سوى انهم يميلون الى الاسلام أو يأخذون عن العرب علومهم من حكمة وفلك ورياضة .. وهذه المحاكم التي أصدرت أحكاما أغرب من أحكام (قراقوش) .. لم تدر انها فقأت عينها بنفسها فقد تأخرت بلادهم دهرا طويلا نتيجته لهذا العمل الشنيع .. ولو انهم بقوا على الاسلام لدانت لهم أوروبا كلها ..

ولقد أكد الكاتب أن أوروبا مدينة للعرب بكل محامد الحضارة في العلم والفن والصناعة •• وهذه حقيقة ضيعها أهلها وجهلها ناشئة البلاد الاسلامية فصاروا يتلقفون كل ما يأتى بـه الغرب والشرق دون تفكير ورويـة ودون تمحيص وتمييز بين الغث والسمين ••

واذا لم يعمـل المسلمون ولم يعيدوا مجدهم وتاريخهم فلا أقل من أن يقرءوا ليعرفوا التاريخ وليكونوا على بينة من أمرهم ••

ولعل أصعب شيء على النفس هو جحدان الفضل لأهله ، وأصعب منـه اذا صدر ذلك من أصحاب الفضل أنفسهم •• وذلك هو الضلال المبين ••



النعمـــــة

قال الله تعالى :

(وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الانسَانَ أَعْرَضَ وَنأى بِجَانِبِـه واذَا مَسَّهُ الـشَّرَ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضْ ••)

تصـــوير حقيقى لحال الانسان ومعاملته لربه ونظرته للحياة بلغ هــذا التصور أرقى درجات البلاغة وجمال التعبير ووضوح الدلالة ••

فهذا الانسان المخلوق الضعيف يحتـــاج لربه في كل ثانية وفي كل نفس من أنفاسه ويبدو كذلك ضعيفا محتاجا حتى ينال من نعم ربـــه قسطا ويدرك حظا فكلما تزايدت النعمة تجبر وتكبر حتى اذا رأى أنـــه في حال تمكنه مـــن الاستعلاء والكبرياء نكص على عقبيه وأعرض عن ربه وبعد عنـــه •• استغناء بما لديه،ونسيانا للمنعم عليه ويتمادى كذلك حتى اذا يمسه شيء من الشر رجع الى ربه ورقت نفسه وأظهر الضعف وأكثر الدعـــاء لربه •• وكأن غــير ذلك الانسان الذى كان منذ وقت قصير عاتيا متجبرا متكبرا •• والله عز وجل يعلم كل ذلك ويحصي عليه أعماله وانفعالاته وتفكيراته •• ويعطيه في الدنيا ويرى أثر نعمته عليه •• ولعل وقفة للعاقل تقربه من ربـــه حينما يتلو هــذا المعنى العظيم وحينما يرد التعبير •• بأعرض •• ونأى •• ومسه •• وعريض ••

وفي ذلك عظه وعبرة لأولى الألباب ••

آداب :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من تسمع حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة)

ما أجمل هذا العلاج لصلاح المجتمع وترابطه وتعاونه فهذا وعيد شديد لا يسمعه مسلم الا اهتز لأثره وتصور الرصاص المذاب المغلى يصب في أذنيه يوم القيـــامة ..

والشدة هنا تعنى عدم تدخل الانسان فيما لا يعنيه وتعنى عـــدم ايذاء الآخرين وقطع حديثهم وتعنى احترام الجار حتى لا يستمع جـــاره الى حديثه من خلال باب أو من وراء حـــائط ..

وكل ذلك حتى يعيش الناس بأمن وسلام وراحـــة واطمئنان حتى على كلامهم فالمسلم لن يستمع الى كلام قوم لا يحبون أن يستمع اليهم أحد ومـــن هنا لن يحدث تضايق ولن تحصل فرقة ولن تكون بغضاء ..

وانعم بمجتمع يعالج فيه نبيه حتى الشعور النفسى الذى يكون كامنـــا لا يبدو للناس وهذا العلاج يشمل حفظ حقوق المتحدثين وعدم ازعاجهم حتى ينصرفوا للموضوع ذاته .. ويشمل تأديب المستمع وعـــدم تعوده على تلقف أخبار الناس ويستتبع ذلك نقـــله للحديث ورغبته في نشره والزيادة عليه حتى يبغضـــه النـــاس .

ليت المسلمين يطبقون تعاليم دينهم اذا لكانوا في أعلى الدرجات ولكان لهم مجتمع مثالى نـــادر .

الاســـلام والمدنية :

نشر الكاتب الانكليزى الشهير (المسترولز) مقالا عن الاسلام جاء فيه :

« كل دين لا يسير مع المدنية في كل طور من أطوارها فاضرب به عرض الحائط ولا تبال به وان الديانة الحقة التى وجدتها تسير مع المدنية اينما سارت هى الديانة الاسلامية واذا أراد الانسان أن يعرف شيئا من هذا فليقرأ القرآن وما فيه من نظرات علمية وقوانين وأنظمة لربط المجتمع فهو كتاب دينى علمى اجتماعى تهذيبى خلقى تاريخى .. وكثير من أنظمته وقوانينه تستعمل في وقتنا الحالى وستبقى مستعملة حتى قيام الساعة .

واذا طلب منى أحد القراء أن أحدد له الاسلام فانتى أحدده بالعبارة التالية : « الاسلام هو المدنية » وهل في استطاعة أى انسان أن يأتينى بدور من الأدوار كان فيها الدين الاسلامى مغايرا للمدنية والتقدم ؟ ••

كان النبى صلى الله عليه وسلم زراعيا وطبيبا وقانونيا وقائدا واقرأ ما جاء في أحاديثه تتحقق صدق ما أقول •• ويكفى أن قوله المأثور (نحن قوم لا تأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع) •
هو الأساس الذى بنى عليه علم الصحة ولم يستطع الأطباء على كثرتهم ومهارتهم أن يأتوا حتى اليوم بنصيحة أثمن منه •

اننا نعرف عن ديننا هكذا وأكثر منه ولكننا ننقل مثل هذا من أجل ابلاغ غير المسلمين بقول أحدهم والرائد لا يكذب أهله فندعوهم للتصديق برسول الله واعتناق الدين الاسلامى حتى ينجوا مما هم فيه من الحيرة والارتباك وحتى يلقوا الله في الدار الآخرة وهم عليهم راض •

وننقله لبعض شباب المسلمين اليوم الذين يرون أن أولئك الناس هم القدوة وهم العارفون والمطلعون ، وهذه آرؤاهم بعد دراسة واطلاع وصبر على القراءة والمعرفة حتى عرفوا عن الاسلام حقائقه وأثبتوا أنه لا هداية ولا راحة للبشرية الا به •• واتعس الناس حظا من حرم الخير وهو بين يديه وقتله الظمأ وهو يحمل الماء ••

ولن يحرم خير الاسلام الا محروم ولن يبعد عنه الا شقى •• والله الهادى الى سواء السبيل ••

أيدى الرجال :

قال رجل من ولد كعب بن مالك :

« لقد رأيتنى أنضح أول النهار وأضرب آخر النهار على بطنى بالمعول

فقيل له : لقد لقيت مؤونه •• قال : أجل انا طلبنا الدراهم من أيدى الرجال ومن الحجارة فوجدناها من الحجارة أسهل علينا » ••

انها حقيقة عبر عنها خبير مجرب •• فلطلب المال من الحجارة أسهل وارجى من طلبها من بعض الرجال لأن ابن آدم خلق شديدا على حب الخير •• طامعا في الدنيا ممسكا لها ، ولن يشبعه منها شيء •• ومن أجل هذا دعا الاسلام للعمل والضرب في الأرض لطلب الرزق والاستغناء عن الحاجة الى الناس ••

ويقول الشاعر :

لا تسألن بنى آدم حاجة — وسل الذى أبوابه لا تحجب
الله يغضب أن تركت سؤاله — وبنى آدم حين يسأل يغضب



طبيعـة النـاس

قال الله تعالى :

(فأمّا الانسان اذا ما ابتلاه ربّه فاكرمه ونعّمه فيقول ربّي أكرمنْ واما اذا ما ابتلاه فقدّر عليه رزقه فيقول ربّى اهانن ..)

هذه طبيعة الانسان في مختلف عصوره وأجناسه حساس متأثر عاطفى .. يغفل كثيرا عن سر وجوده في الحياة وهو الابتلاء والاختبار وأعطاء الفرصة ليري الله أحسن عباده خيرا وعملا صالحا ..

فان كانت هذه البلواء خيرا واكراما من الله ونعمة متوالية في بدنه وعقله وماله وأولاده فسوف يعزو ذلك الى انه مستحق للاكرام وله ميزة على غيره .. ومن هذا الظن يحصل الكبر وكفران النعمة والغفلة عن المنعم عز وجل ونسبة كل الأمور الى المخلوق الضعيف الذى لا يملك حولا ولا طولا .. وبالطبع سيلهيه هذا الشعور عن طاعة الله والتصدق مما رزقه الله . ومساعدة الفقراء والمحتاجين بقليل ممن نعمة الله ..

وان كانت البلوى تضييقا في الرزق وقلة ذات اليد فانه سينسب ذلك الى الله ويدعى انه اهانة ولم يكرمه وينسى انه السبب فيما ابتلى به .. وانه أعرض عن الله وبعد عن طاعته وأسباب رضاه ..

ان من حرص الله تعالى على هداية عباده ورغبته في رحمتهم أنه وضح لهم كل شيء وأتاح لهم الفرصة ليفكروا وليعلموا والطريق واضح والرب رحيم .. والعبد مأمور بالعبادة فان فرط فقد أضاع نفسه .. ولن يتلقى النتيجة سواه فليختر لنفسه ما دام في مجال الاختيار ..

آداب :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه) ••

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أدى الأمانة وبلغ الرسالة فلم يبق خير الا دل أمته عليه ولا شر الا حذرها عنه ولم يقتصر على الامور الحسية أو الظاهرة أو الشرائع المفروضة بل عالج احساسات النفوس والانفعالات الوجدانية وحرص على أن يكون المجتمع الاسلامى مجتمعا فاضلا وعلى أرقى درجات المجتمع الفاضل المثالى وهذا المعنى النفسى الذى يحس به المرء حينما يهمس أحد صاحبيه بأذن الآخر يساره شيئا يخفيه عنه •• انه يتصور أنه المعنى بالحديث الخفى والا فما يكتم عنه •• وسينتهز ابليس هذه الفرصة فيوهمه أمورا بعيدة عن الموضوع •• ويوسوس له انهما يريدان الشر له أو يحوكان خطة للايقاع به ويظن بهما الظنون وهنا تكون الفرقة ويحدث التباعد بين الرفقة وتتنافر القلوب •• ويعنى هذا التحذير أكثر من معنى فهو يعلم أدب المجالسة وآداب المصاحبة والمرافقة وأدب الحديث وحق الصديق والرغبة في سروره والبعد عما يحزنه ••

والنهى عن التناجى يكون في الحال التى لا يوجد فيها سوى ثلاثة متعارفين وفي مكان واحد ودون اذن من الثالث •• اما اذا استأذناه في الحديث واذن لهما فلن يكون في نفسه حرج ••

انه ليس غريبا أن يصدر هذا التوجيه من رسول الله لكن الغريب الا تعمل أمته بتعاليمه •• وهذا هو سر تخلفها وانحطاط مجتمعاتها •• وتفككها ••

نصـــــيحة :

عبد الملك بن مروان أديب بارع وناقد فريد وله في هــذا المجال مواقف وقصص يعرفهــا كثيرون وكان الشعراء اذا اقبلوا عليه يعدون لــه العــدة ويحسبون حساب لعلمهم انــه يحفظ الشــعر ويعرف قائليــه ويدرك المعنى وينتقــد منتحليــه ..

وكان اذا سئل عن أحــد .. أو سأل هو عن أحــد .. وأراد أن يجيب ويعمم أو أحب أن ينصح أحدا من مخاطبيه ردد بيتى (أعشى عوف)

ان كــنت تبغــى العــلم أو أهــله   أو شــــاهدا يخبــر عــن غــائب

فاعتبــــــر الأرض بأســـــمائها   واختبــر الصـــاحب بالصـــاحب

الولــد :

« هوذه بن على بن عمر من بنى حنيفة ..كان سيدا مطاعا في قومه وقد وفد على كسرى وجلس معه طديلا وتحدث اليه وسأله أسئلة كثيرة كان منها :

من أحب أولادك اليك ؟ ..

وكان الجواب : الصــغير حتى يكبر والمريض حتى يبرأ والمســافر حتى يعــود ..

فأعجب به كسرى اعجابا شديدا .. ثم قال له : ما طعامك ؟ ..

قال : البر .. قال كسرى : انه سر ذكائك ..

لقد كان البر طعاما رئيسيا .. وكان لذيذا نافعا وسر نفعه صفاؤه وعدم اختلاط شيء فيه وجاءت أخيرا اخــلاط وأنواع كثيرة انستنا البر حتى صرنا كأننا لسنا أهله الذين زرعناه وحصدناه وطيبناه .. ونقص ذكاؤنا بسبب فقد

البر النقى الصافي وبسبب ما جد على أفكارنا من أمور جديدة نستوردها من غيرنا .. نأخذها وندعى انها تقدم وترقى وانها مدنية وثقافة ..

أن صفاء الفكر وصحة البدن وحدة الذهن وسرعة البديهة أمور تعتمد على خلو الفكر والبدن من الاخلاط ..

ولقد أثبت كثير من الأطباء لمرضى كثيرين انه لا وسيلة لشفائهم سوى عودتهم لنوع الأكل الذى اعتادوه في شبابهم .. والاقتصار على نوع واحد من الطعام .. وهذا يصدقه الواقع والحوادث اليومية ..



الدعـــــوة

قال الله تعالى :

(ادعِ الى سَبِيلَ رَبِّك بالحِكْمَة والموعِظـة الحَسَنَة وَجادلهمْ بالتَّى ِهي احْسَن)

جاء الاسلام لهداية البشر واخراجهم من الظلمات الى النور •• والدعوة اليه دعــوة الى صالح البشر وانقاذهم مما هم فيــه من الحيرة والارتباك •• وما دام لصالحهم ومــن أجلهم فالدعــوة اليــه يجب أن تكون بالحكمة •• والحكمة تختلف في كل زمن وفي كل مناسبة ، وكل لحظة وتختلف من انسان لانسان فلكل مقام مقال وما يصلح في وقت قد لا يصلح في الوقت الآخر ••

فاذا حصلت الحكمة فابلاغه يكون بالموعظة الحسنة التى تناسب حــال المدعو •• وتدعوه للاقتناع والايمان بما دعى اليــه ••

واذا وجد من المدعوين مــن يدعى المعرفة ويرغب الاقتنــاع بالحجـة فالاسلام يبسط له جانبه ويجادله بالتى هى أحسن بأسلوب هادىء وطريقـة سهلة واضحة وحجة بينة لا تعسف فيها ولا شطط •• ولو قسا المدعو وتفوه بكلمات نابية وغير مقبــولة ولا مناسبة للحال •• فــان الهــدف هو هدايته لا الانتصار عليه ولا غلبته ••

هذه طريقة للدعوة فيها المبادى والأسس وزمننا هــذا له نمط معين في الحياة ودعوة أهله الى الاسلام تحتاج الى أســلوب خاص تتحقق فيه هــذه المبادىء ويعرض بطريقــة تناسب العصر وأهله بلغتهم ، وأسلوبهم ، وعــادة

الاقناع التى يؤمنون بها •• والاسلام لا يحتاج الى جهد ولا تعب لاقناع المدعوين له •• ولكنه يحتاج الى اجادة العرض وحسن الدخول •• فهو دين المجتمع •

المسلم :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم : كل المسلم على المسلم حرام •• دمه ، وماله ، وعرضه) ••

المسلمون جسد واحد قربوا أم بعدوا تعارفوا أم جمعهم الاسلام فقط ، ولتلاؤم هذا الجسد وترابطه فرض احترام افراده على الجميع فالمسلم أخو المسلم لا يجوز له التخلى عن هذا الوصف ويحرم عليه دمه وماله وعرضه •• فلا يعتدى عليه ولا يسرق ماله ولا يأخذه بغير اذنه ولا يسبه أو يشتمه أو يغتابه •• وهذه أوصاف اذا خلا منها جسم أمة تم لها الترابط والتحاب والتعاون على الخير •• وقد بالغ الاسلام في هذا المعنى فجعل اخلال المسلم بشىء من علاقته مع أخيه المسلم يكفى لأن يكون هذا المسلم قد عمل الشر كله وارتكب الخطأ بأجمعه مثل أن يحقر أخاه المسلم •• أو يهينه أو يتسبب في ايذائه أو لا يحترمه ولا يؤدى حقه ••

وهذه غاية الارتباط والاندماج واحترام الآخرين وما وجد الاحترام المتبادل والحفاظ على الحقوق المعنوية والحسية في مجتمع الا تقدم وقوى ، وما خلا منه مجتمع الا تفكك واختل بناؤه •• وكفى بالاسلام رباط وبرسول الله مرشدا وموجها ••

الوظيفة :

كان اسلافنا يشعرون ويعتقدون اعتقادا جازما بأن الوظيفة أو المسئولية التى يتولونها انما هى أمانة في أعناقهم •• يطيعون الله في النصح لها والجد

فيها واتقان أدائها •• وكان كلهم يفهمون ذلك فيعامل المسئول موظفيه بهـذه الروح ويعاملونه هم كذلك فيتحابون ، ويعملون للصالح العـام •• ويكون بينهم التعاون والاحترام والتفرغ لحل المشكلات ومساعدة الآخرين ••

ومن هـذه النماذج أن أحدهم ولى وظيفة وبقى فيهـا سنين فلما عـاد قال له رئيسه :

« ما جئت به ؟ ، قال له : ما معى الا مائة درهم واثوا بي ـ قال : كيف ذلك ؟ ، قال : أرسلتنى الى بلد أهله رجلان رجل مسلم له مالى وعليه ما على ورجل له ذمة الله ورسوله •• فوالله ما دريت أين أضع يدى •• ففرح بذلك رئيسه •• وتهللت أسارير وجهه وأعطاه عشرين ألف دينارا ••

أن بعض الموظفين اليوم يأتون الى الوظيفة وهم يشعرون انهم انما جاءوا لجمع المال والاثراء السريع فيصرفهم هـذا الشعور عن أداء الواجب وينسيهم مهمتهم الأولى وهى النصح والاخلاص في السر والعلانية والحرص على خدمة اخوانهم المسلمين ومساعدة الضعيف المحتاج وارشـاد الجاهل والأخذ بيـد العاجز حتى يلحق بالركب ••

ونسوا انهم أعضاء في جسم الأمـة فاذا ما ضعف هذا الجزء مـن ذلك الجسم ضعف الجسم الكبير وتخلف وقعد في نصف الطريق •• انه رغم وجود بعض هذه النفوس الضعيفة في صفوف المواطنين الا أن بريقا من الأمل نبصره يشع على أيدى المخلصين منهم المدركين لمهمتهم كثرهم الله ••

الحيـــــاة :

يقول بشار :

اذا أنت لم تشرب مراراد على القذى ... ظمئت وأى الناس تصفو مشـاربه

حكمة من حكم بشار الكثيرة التى تصيب المحز وتضع الكلمات مواضعها

.. أن هذه الحياة كلها كدر ونصب لا تكاد تسر حتى تحزن ولا تصفو حتى تتغير .. وتلك حكمة الله ..

والرجل العاقل الذى يحب أن يعيش في هذه الحياة سعيدا ناجحا عليه أن يتذوق مرارة العيش ويحتملها المرة تلو الأخرى لا يمل ولا يقلق ولا يفقد أمله وأعصابه .. وهذا مثل واحد من أحوال الدنيا وهو :

الشرب فلو أن انسانا أراد أن يكون شرابه سائغا باردا ليس فيه قذى ولا كدر لم يحصل له ذلك وأصابه الظمأ وقتله اليأس .. أما اذا كان واقعيا عارفا بالأمور يشرب الماء النمير اذا انساب وسهل ويشرب الماء الكدر المتغير اذا لم يوجد سواه فانه سيساير هذه الحياة ويعيش فيها .

والعاقل من وعظ بغيره فأى الناس تصفو له الحياة دائما وأى الناس لا يصاب بما يكره ؟ .. كل حى معرض لتقلبات الحياة ولمقابلة قسوتها ولينها الى أن ينتهى منها .. ولكن الفرق بينهم في حسن التصرف والخروج بسلام .



الصــدقات

قال الله تعالي :

(أَنْ تَبْدُوا الصَّدَقَات فَنِعِمَا هِي وأَنْ تَخْفُوهَا وتَوأتوهَا الـفُقَراء فَهُوَ خيرٌ لَـكُمْ ..)

جعل الله حقا في أموال المسلمين للفقراء والمحتاجين •• فمنه ما هو حق ثابت يطالب به الغنى ويجب عليــه أداؤه وهــو الزكاة الشرعية في العروض والنقود •• وكل ما أعد للتجارة •• وهذا شيء يعرفه المسلمون ويعملون بــه ويؤدونه دائما ••

وهنا صدقات أخرى غــير الصدقة الواجبة هى الصدقات التى تكون في أموال الأغنياء وقد ترك الله أمــر اخراجها وتحديدها للأغنيــاء أنفسهم حتى يشعروا بالحرية التــامة بالتصرف في أموالهم وحتى يخرجوها عن طواعيــة وطيب نفس •• عندما تكون الفرصــة مناسبة والمتصدق عليــه محتاجا •• يضعونها في موضعها ويتخيرون لهــا أحسن المواضع ••

وقد بادر الصحابة الى التصدق من فضول أموالهم عندما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النفقة في سبيل الله ولكنهم تحرجوا من ابدائهــا ومعرفة الناس بها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآيــة تبين ان ابداءها اذا لم يكن به رياء ولا سمعة جائز فان اخفاءها يجتمع فيــه الصدقة والمروءة والستر على الفقراء وحفظ ماء وجوههم •• والصدقة كلهــا خير •• ومقبولة عند الله عز وجل •• واذا عمل بها المسلمون لم يوجد بينهم فقير ولا محتاج ولا حاقد ولا محروم ••

الحيـــــاء :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت)•

الحياء خلق كريم وخصلة حميدة توارثها الأنبياء من قديم الزمان وأمروا بهـا ودعوا لها أممهم •• وما زال الناس بخير ما وجد فيهم الحيـاء فالحياء لا يأتى الا بخير يمنع صاحبه من قول السوء ، وفعل المكروه ويتيح له فرصة التفكير واختيار اللفظ المناسب •• ويجعله محبوبا لدى الناس ، ليس بفاحش ولا بذيء ولا يخيف غيره ، ولا يخشاه أهله وأقاربه ••

أما اذا نزع الحياء من انسان فقـد نزع منه الخير كله وستنعدم عنـده المعايير وسينظر الى الامور بمنظار غير الذى تعارف عليـه الناس •• أنـه لن يتأثر برد الفعل الذى يبدو على الآخرين مـن ألفـاظه أو تصرفاته •• ولذلك ترددت كلمة الحكمة النبوية (اذا لم تستح فاصنع ما شئت) بمعنى انه بالحياء تكون روابط وقيود وبعدمه تنعدم كل الروابط ويكون من عدم الحياء منطلقا من عقله وفكره لا يأتمر بالتعاليم الدينية ولا يخـدم الاعراف ولا التقاليد ••

ويصدق ذلك الواقع فان في الناس من ينطبق عليه هـذا غاية الانطباق والعجيب أنـه يعرف ذلك من نفسه وان يدعى أن ذلك جرأة واقدام ومعرفة بالأمور والناس يجاملونه خوفا من لسانه أو رغبة في اتقـاء شره •• وسيندم هذا النوع من الناس عندما يفكر فيما عمله وفيما جنـاه على نفسه ••

القضـــــاء :

كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أبى موسى الأشعرى ، أصـل في القضاء ومبادىء ثابتة يسير عليها القضاء شملت الصـفة والوضـع النفسي وضبط القضية ومعاملة النـاس وكيفية الحجـة والتقاضى وتصرف القاضى وشـعوره النفسي واستخراجه للحكم •• وأحوال المتقاضين والشـهود •• والصـلح الجائز ••

ولقد عالج فيه عمر ناحية مهمة وهى صعوبة القضاء وتحمل القاضى ونتائج تصرفات الخصوم عليه فكان من كتابه قوله :

« واياك والقلق والضجر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات فان الحق في مواطن الحق يعظم به الله الأجر ويحسن به الذكر .. فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله انه ليس من نفسه شانه الله فما ظنك بثواب غير الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته » ..

نحن لا نشك في أن مهمة القضاء مهمة صعبة وعظيمة وان القاضى يعانى متاعب اذا أراد أداء حقها كاملا .. ولكن عمر رضى الله عنه عالج هذا المعنى وسهل أمر القضاء ودعا القاضى الى اصلاح نفسه واحتساب الأجر عند الله والرغبة في الاصلاح بين الناس .. ولا نشك في أن الناس قد تغيروا وخبثت طباع بعضهم وساءت تصرفاتهم والقاضى يعانى منهم متاعب جمه ولكنا نقول ان احتساب القاضى الأجر عند الله يعينه وييسر عليه مهمته .. والامور دائما بقدرها ..

فبعظم قدر القاضى تكون متاعبه وبقدر عظم جزائه عند الله يكون جهده ومشقته .. ونحمد الله أن لدينا من القضاة من يتصف بهذه الصفات ويؤدى مهمته وأمانته على خير وجه .. أعانهم الله ووفقهم وجزاهم خير الجزاء ..

مـاء الوجـه :

قال صالح بن عبد القدوس :

اذا قل مـاء الوجـه قـل حيـاؤه ولا خـير في وجـه اذا قل مـاؤه
حيـاؤك فاحفظـه عليـك فانمـا يـدل على فعـل الكريم حيـاؤه

ماء الوجه معنى قيم يعرفه الرجال العقلاء الذين يدركون معنى الحياة

وقيمة الخلق الكريم وهو ميزان قيمة المرء وعنوان خلقه وقربه من ربــه وحبه للخير فاذا زاد هذا الماء كثر عند صاحبه المعروف واذا عدم أو قل نقص خلقــه وقلت قيمتــه ••

وما وجد الحيــاء في شيء الا زانــه ولا نزع مــن شيء الا شــانه •• واذا تعامل الناس بالحياء كانت بينهم المروءة والفضل واذا فقد الحياء تقاطعوا وعدمت الصلة بينهم •• وكلما بعد العهد بالتعاليم الدينية وبالأخلاق الفاضلة جاء الناس لا يجدون نقطة من مــاء الوجه ولا خصلة مــن الحيــاء يتأكلون بألسنتهم ويتسلطون على عباد الله بصفاقتهم ••

أولئك الناس من شرار الخلق لا يعرفون للخير طريقا ويمتهنون الشــر عــادة وخلقــا ••

لا كثرهم الله ••

* * *

المتقـــون

قال الله تعالي :

(وَسارِعُو إلي مَغفِرَة مِنْ رَبِّكَم وَجَنَّـةٍ عَرضُهَا السَّمَواتِ والارض اعِدَّتْ للمُتَّقِين ... الذين يَنفِقُــونَ في السرَاء وَالضَّراء والـكاظِمِين الغَيْظَ والعَافِين عَنِ النَّاسِ .. والله يَحِبُ المحْسِنِين ..)

هذا الجزاء الكبير والمثوبة العظيمة والمآل السعيدة هذه الجنة التى يبلغ عرضها السموات والأرض •• قد أعدها الله للمتقين •• فمن هم المتقون ؟ •• المتقون هم الذين ينفقــون في السراء والضراء والمنشــط والمكره والايســار والاعسار ينفقون من المال الذى أعطاهم الله قسما منه لا يضره ولا يذهب به بل يزيده ولا ينقصه وهذه النفقة تأتى طيبة بهــا أنفسهم •• لا يجبرون عليها ولا يخرجونها ليتقوا بهــا أعراضهم ولا ليجاملوا بهــا أحدا •• ولا ليطلبوا بهــا سمعة أو مدحا •

والمتقون أيضا : هم الذين يكظمون الغيظ عند حدوث الغضب وعنــد اشتداد الأزمات وعند فقدان التحكم في النفس لكن هؤلاء يمنعهم ايمانهم أن يرتكبوا خطــأ أو يقعوا في حمــاقة أو فعل •• ومــع ذلك وفي تلك اللحظات الحرجة يعفون عن الناس ويسامحونهم ويتركون لهم بعض حقوقهم ويزيدون معروفهم وفضلهم وحكمتهم بأن يحسنوا الى من أســاء اليهم ويصلوا مــن قطعهم ••

والله عز وجل يحب المحسنين من عباده لما في الاحسان من تواد وتراحم وما فيــه من ارتباط وتماسك وما فيه من ازالة الضغائن ••

الظلم :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لتؤدون الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء) ..

من المبادىء التى جاء بها الاسلام تحريم الظلم بأنواعه المختلفة تحريم ظلم النفس وظلم الغير وتحريم الظلم المعنوى والظلم الحسى والظلم على مستوى الأفراد والجماعات .. وكل ذلك حتى يعيش الناس بأمن وسلام واستقرار وطمأنينة وحتى لا يكون الأمر عبثا ، ويترك أمر العدالة للبشر أنفسهم وهم من نعلم ــ جعل الله الدار الآخرة هى مكان احقاق الحق ورد المظالم ..

فهناك يظهر الخفى ويبوح المكنون وينصف المظلوم ولا يستطيع الظالم التخلى عن المظلوم أو الامتناع عن أداء الحق .. ومن أين تؤدى المظالم ؟ انها تؤدى من أعز شىء لدى الانسان في أحرج ساعة انها من أعمال الانسان يؤخذ من حسناته فيعطى للمظلوم حتى يوفي حقه فان لم تف بالظلامات أخذ من سيئات المظلوم فطرح على الظالم . وهو أحوج ما يكون للحسنة الواحدة.

وهناك سيبدو كل شيء على حقيقته فلا تدليس ولا حيلة ولا جدوى لمن يجيد الحديث أو خداع الناس ..

وفي هذا الحديث يؤكد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المعنى حتى ان هذه العدالة تطبق على الحيوانات فيقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء .. لكن الحيوانات تفنى بعد هذا الحساب أم الآدميون فهم اما الى النار وأما الى الجنة فقط ..

هدايا :

في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عليه نصر الله المسلمين على أعدائهم

واستولوا على مملكة قيصر ملك الروم •• وعندما وضعت الحــرب أوزارها واستقر المسلمون •• كاتب عمر قيصر وسير اليه الرسل •• قيل أن أم كلثوم بنت على بن أبى طالب بعثت رسالة الى زوجة قيصر واهدتها طيبــا ومشارب وحوائج نسائية •• ونقلها اليها البريد •• وحينما وصلت الهدية الى زوجــة قيصر جمعت اليها نساءها وقالت : هذه هدية امرأة ملك العرب وبنت نبيهم •• فسررن بها واقترحن اهدائها هدايا ثمينة فكاتبتها وأهدت لها فيما أهدت عقدا فاخرا •• ولما انتهى به البريد الى عمر أمر بامساكه ودعا الناس فاجتمعوا فصلى ركعتين •• ثم قال : انه لا خير في أمر أبرم عن غــير شــورى من أمورى •• قولوا في هدية أهدتها أم كلثوم لامرأة ملك الروم فأهدت لها امرأة ملك الروم.

فقال قائلون : هو لها بالذى لها وليست امرأة الملك بذمــة فتصانع بــه ولا تحت يدك فتتقيك ••

وقال آخرون : قد كنا نهدى الثياب لنستثيب ونبعث بها لتباع ولنصيب شــيئا ••

فقــال : ولكن الرسول رســول المسلمين والبريد بريدهم والمسلمون عظموها في صدرهم ثم أمر بردها الى بيت المال ورد عليها بقدر نفقتها ••

كنـــــــا :

ما زال الشعراء يبكون ماضى الأمة الاسلامية والعربية ويضعونها زفرات حــرى في كل مناسبة وفي كل لحظة يرون فيها أمتنا تضيع مجدها وتنحــدر من عليائها بسبب بعدهــا عن مقوماتها ، وزهدها في مبادئها وتطلعها للسعادة من غيرهــا .

وهذا حافظ ابراهيم في احدى دموعه :

كنــا قــلادة جيــد الدهر وانفرطت — وفي يمــين العــلا كنــا رياحينــا

كــانت منازلنــا في العــز شــامخة — لا تشرق الشمس الا في مغانينــا

فلم نــزل وصروف الدهــر ترمقنــا شــزرا وتخدعنا الدنيــا وتلهينــا
حتى غدونــا ولا جــاه ولا نشــب ولا صــديق ولا خــل يواســينا

لقد أوردنا هذه الأبيات لوصف واقع العالم الاسلامي اليوم والا فلسنا نرى البكاء على الماضى مجديا ولا حــلا لمشكلاتنا الحاضرة •• انما دواء كل ذلك العمــل والجــد ومضاعفة السعى حتى استعادة الماضى •• والوقوف في مقدمة العالم وقيادته •• وليس ذلك غريبا على أمة الاسلام اذا كان المسلمون مسلمين حقــا ••



الاســـتغفار

قال الله تعالي :

(والذين إذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أوْ ظَلَمُوا أنفسَهُمْ ذَكَرُوا الله فَاسْتَغفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ .. وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ الا الله ولمْ يَصِرُّوا عَلى مَا فعَلوا وهُمْ يَعْلمُونْ ..)

جاءت هذه الآية في وصف الله للمتقين الذين أعد لهم جنته ومن صفاتهم أنهم اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم بالمعصية ذكروا الله .. فأسرعوا الى استغفاره وطلبه العفو عن ذنوبهم .. وقبول توبتهم والتجاوز عن أخطائهم .. فهم يعترفون بالخطأ ولا يجحدونه ويعترفون بالذنب ولا يزكون أنفسهم يعلمون الوسيلة لمحو الذنب وهى الرجوع الى الله والاستغفار من الذنوب .. ولا يتمادون في الاثم ولا يلجون في غيهم .. ولا يسرون ما يعلمونه ويعلمه الله عز وجل .. هذه صفة من صفات المؤمنين المتقين ..

وقد ذكرها الله عز وجل هنا ليدعوا الخلق للعمل بها وسلوكها عندما يقع منهم خطأ أو ظلم .. وهو التواب الرحيم الذى يعلم أن ابن آدم خطاء ولكن خير الخطائين التوابون ..

ان صفات المتقين صفات كلها ايمان وفضل وخلق حسن ومعاملة كريمة ولكنهم قليلون لأنهم لا يمتازون بالمظهر ولا بالقول ولكنهم يتميزون بالعمل الصالح وطهارة النفس وكف الأذى عن الناس ..

المسلم :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده •• والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ••

القول والمظهر لا اعتبار لهما في نظر الاسلام والاعتبار بالعمل والنتيجة فالمسلمون لا يكفى أن يكونوا مسلمين اسماً أو مسلمين بالوراثة أو الوطن أو الجنسية •• ولكن المسلم حقيقة من آمن بالله وصدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وصلح بنفسه وظهر أثر الاسلام في تصرفاته •• فحفظ لسانه عن الوقوع في لحوم المسلمين وأعراضهم وغفل عن تصرفاتهم وصفاتهم وغض بصره عما حرم الله عليه من أعراض المسلمين ولم ينطق لسانه بما يشينه أو يسيء الى غيره •• واللسان هو الذى يقرض الحسنات كما تقرض النار الحطب •• وهو الذى يودى بالمرء وهو يظن انه يسلى الناس أو يقطع الوقت والمسلم أيضا من كف يده عن الناس ولم يتعد على أحد منهم •

وكل ذلك حتى تسود الألفة بين المسلمين ويحصل التحاب والتعاطف ويعيشوا بأمن وسلام ••

وحقيقة المهاجر هو الذى ترك ما حرم الله عليه فلم يقربه في سر ولا جهار ولم يبطن خلاف ما يظهر •• وليس من ترك بلاد الكفر الى بلاد الاسلام فقط بل المعول على ما في القلب لا الجسم فقط ••

وكأن هذا الحديث الشريف جاء ردا على سؤال أو تبيانا لأمر حادث عام ليستفيد منه الناس جميعا ويتعظ من يتصف بشيء مما أشار اليه •• ولا غرو فرسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى •• وكل أقواله وأفعاله ارشاد لأمته وبيان لنهج الحق ••

مدرسة أوروبا :

في أول هذا القرن خطب العالم المؤرخ الامريكى (آرثر لايس) في جمع من العرب في أمريكا •• ومما قاله :

(اننى كفرد ينتمى الى العنصر السكسونى اعترف بأننـا مدينون لكم معشر العرب وأنتم الدائنون وعلى هذا أقف بينكم الليلة لأوفيكم ولو شيئا مـن حقكم .

يرجع الناس بأصول المدنيـة الى المدنيتين اليونانية والرومانية على أن آثارهما كانت في زوايا النسيان زمن العصور المظلمة ولو لم يقـدر لهـا أن تتناولهما أيدى العرب لأصابها الوهن والاضمحلال .. ان اسبانيا العربية هى مدرسة أوروبا التى علمتها الأدب والفلسفة والعلوم .. ومنكم تعلمنا الكسور العشرية حساب التفاضل والمقابلة .. ومنكم تعلمنا القول بكروية الأرض وأن الكرة الفضية التى أهداها الشريف الادريس الجغرافي العربى الى روجر الثاني أمير نابولى في منتصف القرن الثانى عشر (السادس الهجرى) خير شاهد على ما أقول .. وذلك قبل رحلات كولمبس بخمسمائة سنة .. وقد حسب محيط الأرض بأربعة وعشرين ألفـا وخمسمائة ميل وشعركم وآدابكم منهل استقى منـه أدباء الفرنسيين وايطاليا والانجليز ومنـه جـاء دور البعث والتجديد الى أوروبـا ..

وأنا بالنيابة عن أبناء جنسى أعترف بفضلكم وأشكركم شكرا وافرا ..

اننا مع العالم الامريكى بالنسبة للمدنية ونظرة العالم لها .. وهذه هي الحقيقة التى لا ينكرها أحد .. ولسنا ندعو الى الاكتفاء ببيان الحقيقة ولكننا نريد أن يفهم أبنـاء المسلمين انهم هم أهل الحضارة والمدنية .. ونريد منهم أن يقوموا بواجبهم حتى يعيدوا ذلك العصر ويحيوا تلك العلوم .. ونريـد منهم ألا يؤثر عليهم ما يسمعونه من أعداء المسلمين ولا يؤثر عليهم واقع الأمة الاسلامية اليوم فذلك سحابة صيف عن قليل تقشـع ..

حسـن الخطـاب :

استوقف رجل أحد العقلاء فقال له : قف انى أريـد أن أكلمك بكلام فيه خشونة فتحمله .. فأجابه العاقل : لا ولا كرامـة فقد بعث الله مـن هو

خير منك الى من هو شر منى •• فقال له : (فقولا له قولا لينا) فخجل الرجل وانصرف ولم يحر جوابا ••

ان من تكون لديه هذه البدهية وهذا الجواب الحاضر يملك من الحكمة والعقل ما يجعله يحتمل ما سيقول له هـــذا الجاهل الأحمق •• لكنه أراد أن يفهمـــه الأدب وحسن الخطاب •• اذ أن الخشونة في الحديث •• والغلظة في القول تورث البغضاء وتحدث الفرقة والشقاق ••

واللين والرقة توجد المحبـــة والطاعة وتأتي بالمطلوب •• وهـــذا موسى وهارون بعثهما الله لأغلظ رجل وأقسى انسان وأكثرهم ذنبـــا هو فرعون •• ومع ذلك أمرهما الله عز وجل أن يقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ••



القتـــــل

قال الله تعالي :

(مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادَ في الأَرضَ فَكأَنما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمِن أَحْيَاهَا فَكأَنما أَحيَا النَّاسَ جَمِيعاً ..)

لم توجد شريعة تحافظ على النفس وتدعـو الى احترامها والبعـد عما يسوءها أو يمسها بأذى مثل الشريعة الاسلامية •• فقد جاءت بالدعـوة الى المحافظة على الصحة العامة والمحافظة على الطعام والشراب والوسائل الصحية وحذرت عن كل ما يضر بالنفس مـن أكل وشرب وعمـل واحترمت النفوس وجعلت لها قيمة معنوية عـالية ••

وهنا يبدو هذا الاحترام بأجلى معانيه فان من يقتل نفسا بغير حق فكأنه قتـل الناس جميعا •• ومن يتسبب في احيائها فكأنه أحيـا الناس جميعا •• نفس واحدة تعدل الخلق أجمعين فهل أجل أو أعظم قدرا من هذا الذى جعله الله للنفس البشرية لا والله •• وانطلاقا من هذا •• جاءت الشريعة الاسلامية بالقصاص •• فالنفس بالنفس والعـين بالعـين والسن بالسن والاذن بالأذن والجروح قصاص •• كل شيء يمثله •• وأى جناية يتعمدها رجـل فعليـه مثلها •• وهذا يعنى الابقاء على النفس والمحافظة عليهـا فاذا علم المرء بـأنه سيقتص منه فسوف يتجنب الاعتداء ويبتعد عن القتل اما اذا علم انه سيفتدى من القتل أو يكون جزاؤه السجن فانه سيقدم على جريمته الذميمة ويعتدى على الآخرين وهذا مشاهد في العـالم فيقل القتل في البلدان التى يطبق فيهـا القصاص ويكثر عند من لا يطبقون القصاص •

والاسلام الذى يحترم النفس كل هذا الاحترام يستثنى من هذا النفس

التى قتلت نفسا والنفس التى أفسدت في الأرض وضيعت حقوق الناس فهــذه النفس لا حرمة لها ولابد من ازاحتها عن المجتمع الاسلامى ••

الخصــــوم :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(انما أنا بشر وانكم تختصون الى ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض فأقضي له بنحو ما أسمع •• فمن قضيت له بحق أخيه فانما أقطع له قطعة مــن نــار جهنم) •

رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القاضي الأول في أمتــه وهو الذى يصدر عن الله في أقواله وأفعاله •• ومع ذلك حذر أمتــه من خداع القاضى ومحاولة اقناعه بغير الحق وأبان أمورا مهمة في القضاء منها أن القاضى يحكم بالظاهر ويجمع المعلومات والدلائل مما يسمع من كلام المتخاصمين ••

ومنها أن القاضى لا يحكم بعلمه •• ومنهــا أن حكم القاضى لا يحــل الحرام ولا يبيح مال المحكوم عليه •• ومنها أن المتقاضيين مسئولان أمام الله عز وجل فيما يقولان وفيما يظهران من الانفعالات بغيــة التأثير على القاضى ومنها أن الكذب أمام القاضى للحصول على الحكم حرام لا يجوز ومنها أنــه اذا حكم لمسلم وهو يعلم أن ما حكم به له غير حقه فلا يجوز لــه أخذه ولا تموله بل يرده لصاحبه ••

وان هو استحله وهو يعلم انه حق أخيه المسلم فهو مثل قطعة من النار فليأخذها أو ليدعها •• وسوف يعذب بها يوم القيامة ••

ان كل هــذا دعــوة للمؤمنين ليصدقوا وليقولوا الحق ولا يستعملوا بلاغتهم أو تأثير قولهم أو فعلهم أو منصبهم للتأثير على القاضى •• فالقاضى بشر لا يعلم الغيب ولكنه يتحرى الحق وهو مجتهد والله هو عالم السرائر ••

ان أناساً في عصرنا اليوم امتهنوا المحاماة والتقاضى بالنيابة عن الناس وأولئك مدعوون لسماع تحذير رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم يبالغون في القول وينمقون الحجة بغية الحصول على الحكم لمن وكلهم .. وهم شركاء في هذه القطعة النارية التى يتسببون في تهيئتها لصاحبهم فليحذروا وليقولوا الحق ولا يدخلوا في قضية يعلمون أن الحق ليس في جانب موكلهم .. بل عليهم أن يرشدوه ويدلوه على الحق .. وسيعوضهم الله عما تركوه ..

الأخـــلاق :

يقول الرافعى في حديث له طويل عن الأخلاق والمجتمعات عن الشرقيين والغربيين ومدنيتنا ومدنيتهم ما يلى :

(الأخلاق في رأيى هى الطريقة لتنظيم الشخصية على مقتضى الواجبات العـامة فالاصلاح فيها انما يكون من هذه الواجبات .. فاذا وقع الفسـاد في المجتمع عليه من آداب الناس والقوى ما كان مستقيما ، واشتبهت العـالية والسفلة ، وقـام وزن الحكم في اجتماعهم على القبح والمنكر ، وجرت العبرة فيما يعتبرونه بالرذائل والمحرمات ولم يعد يعجبهم الا ما يفسدهم وحل ذلـك منهم في محل العادة .. فهناك الا مساك للخلق السليم على فرد .. ولا بد من تحوله في حقيقته اذ كان لا يجيء أبـدا الا متصدعا في كل مظاهره الاجتماعية فأينما وقع من أعمال الناس جاء مكسورا أو مثلوما وكأنه منتقل من عالم الى عالم ثان بغير نواميس الأول ..

وعندى أن للناس ظاهرا وباطنا .. فباطنهم الدين الذى يحكم الفـرد وظاهرهم القـانون الذى يحكم الجميع .. ولن يصلح للباطن المتصل بالغيب الا ذلك الحكم الدينى المتصل بالغيب مثله ، ومن هنا تتبين مواضع الاختلال في المدنية الأوربية الجديدة فهى في ظاهر الناس دون باطنهم والفرد فاسد بهـا في ذات نفســه ولكنــه مـع ذلك منتظم في ظاهره الاجتماعى .. بالقوانين وبالآداب العــامة فلا يبرح هازئا ساخرا من الأخلاق لأنها غير ثابتة فيه بل هى ضارة مع المضرة نافعة مع المنفعة ولا ينفك يتحول لأنه مطلق في باطنه غير مقيد الا بأهوائه ونزعـاته ..

نظرة صادقة وحكم صائب ينبغي لكل شاب أن يقرأ رأى هذا العالم الفاضل حتى يخرج من حيرته بالنسبة لما يشاهده من حال بعض المسلمين وحال الآخرين •• ولا سيما في الناحية المظهرية واحترام الأنظمة فتلك صارت عادة عندهم لا خلقا ولا مبدءا •• وهم لو تحولوا الى مجتمع تختلف قوانينه وعوائده لسارعوا الى التحول اليه فالأخلاق المظهرية عندهم هي عوائد وليست عقائد وهي أشبه ما تكون بالحيوان الذى يدربه صاحبه على عمل أو عادة معينة يؤديها على ضوء ما عرفها وعود عليها فقط دون اعتقاد أو ثبات •

العجــز :

قال عبيد العنبرى :

اذا مـا أراد اللـه ذل قبيـلـة	رماهـا بتشتيت الهـوى والتخاذل
وأول عجـز القـوم عمـا ينوبهـم	تقـاعدهم عنـه ، وطول التواكل
وأول خـبث المـاء خـبث ترابـه	وأول لـؤم القـوم لؤم الحـلائل

أخلاق سيئة تصيب الأمة فتنهكها وتقضي عليها هى اختلاف الهوى والرغبات والتخاذل عن الواجبات •• والعجز عما ينوب وتقاعدهم عنه وتواكلهم وعدم تحملهم للمسئولية حتى تضيع •• وهذه بوادر وفساد في جسد الأمة اذا بدت فيه فقد بدأ هلاكه ونهايته ••

ولم يغفل الشاعر أمرا مهما في الحياة الاجتماعية وهو المرأة فالمرأة جزء مهم في الحياة فاذا كانت صالحة ساعدت على بناء الحياة واستقرارها ، واذا كانت لئيمة أخرت سير الركب وأعطبته •• ولو لم تكن هى المباشرة للفساد ولكنها سبب فيه كما تكون تربة الماء سببا في فساد طعم الماء •• اللهم انا نعوذ بك من العجز ومن لؤم الحلائل ••

البـــر

قال الله تعالي :

(لنْ تَنَـالوا الـبرَّ حَتَّي تَنْفِقـوا مِمَّا تحِبُّونَ ومَا تَنْفِقُـوا مِنْ شَيءَ فَانَّ الله بِه عَليم ..)

نزلت هـذه الآية عندما اكتمل المجتمع الاسـلامى في المدينة المنـورة وانتهى التشريع للعقيـدة والاركان والاصول وبـدأ التشريع يشـمل أنواع العبادة والطاعات المتعددة وتفرغ الصحابة للاعمال الخيرية ..

ولقد كانوا رضى الله عنهم يفهمون القرآن بمجرد تلاوته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندما نزلت هـذه الآية أدركوا المراد منهـا .. فقام عبد الله بن رواحة فقال : يا رسول الله ان الله يقول : (لـن تنـالوا البـر حتى تنفقوا مما تحبـون) وان احب مـالىَ الى بيرحـاء .. وانى أنفقهـا في سبيل الله .. فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك كثيرا .

وتبعه كثيرون ينفقون من احب أموالهم اليهم .. حتى اجتمع مال كثير أنفقه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهـاد في سبيل الله وللنفقة على الفقراء والمحتاجين ..

ان ابن آدم قد جبل على حب الدنيا وكلنا ذلك الرجل ولكن الفـرق بيننا فمن يستطيع أن يغلب نفسـه ويهديها على الحق .. وهذا الذى ينفقـه المرء هو الجزء الباقى من ماله الذى سوف يستوفيه في الدار الآخرة وهـو أحوج ما يكون له .

والبر هو الأجر والثواب ورضا الله عز وجل وهو العالم بكل شيء فليس بحاجة الى اعلان ما ينفق الرجل ولا الى الاشهاد عليه ، بل ينفق المؤمن سرا ويضع النفقة في موضعها وعليه أن يتخير من ماله ما احب •• وكل ما ينفقه سيكون جزءا يسيرا بالنسبة لما لـه ولكن أجره مضاعف والله هو الكريم الشكور ••

المؤمنون :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا •• وشبك بين أصابعه) ••

أى بناء اذا تماسك وتم بناؤه كان قويا وتحول الى وحدة واحدة مترابطة بعد أن كان مواد متفرقة كل مادة لا تجتمع مع الأخرى في طبيعتها •• ومن مجموع هذه المواد يحصل البناء المتكامل الذى يشد بعضه بعضا وهكذا المؤمنون هم مجموعة أفراد متباعدين غير متعارضين فلما آمنوا صاروا شيئا واحدا وجسدا واحدا مترابطا متماسك كتماسك البنيان ، وكترابط وتماسك اليدين عند تشبيك أصابعهما ••

ان الايمان رباط قوى يجعل من الافراد قوة عظيمة ومن الضعفاء جسدا واحدا أقوى من كل ما سواه لأنه يختلط بالدم والعظم فينفى عنه كل نقطة من آثار الفرقة أو الحسد أو السوء ويملأ الجسم والعقل ايمانا ومحبة ورحمة واخلاصا •

ولن تؤدى قوة مهما بلغت مثل هذا المعنى لأنه من المعانى التى لا تتحقق بالالزام ولا بالقوة ولا بالمال ولا بأى وسيلة سوى الايمان •• فالايمان في هذا أقوى من كل شيء لأنه من عند الله والله الذى خلق البشر وهو الذى يستطيع أن يؤلف بين قلوبهم ويقارب بين أفكارهم ••

وهذا الحديث جاء بأسلوب المثل ويقصد منه رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة المؤمنين الى التماسك والترابط حتى يكونوا كالبناء القوى

الصامد ويقصد تحذيرهم عن الاختلاف والتفرق الذى يكون أثـره الضعف وذهاب المعنوية وانعدام القيمة ..

البيت السـيار :

كثير من الناس يحفظون بيت جرير المشهور ويرددونه وهو :

فغض الطـرف انـك مـن نمـير فـلا كعبـا بلغـت ولا كلابـا

ولئن كان هذا بيتا يمر عليه كثيرون مرورا عابرا أو يقولونه في مناسبات عارضة فان له أثرا وقصـة أدبية بارعة في النصف الثانى من القرن الأول .

ومن ذلك ان (الراعى عبيد بن حصين) قال بيتـا من الشـعر استجابة لطلبه (عرادة النميرى) هو :

يا صـاحبى دنـا الأصيل فسـيرا غـلب الفـرزدق في الهجـاء جريرا

فبلغ ذلك جريرا فاتصل بـه وحاول اقناعه بالعدول عما أتى والاعتذار عما افترى ولكن قومه بنى نمير شدوا من أزره وحاول عدم اعتذاره .. فلما يئس منـه جرير .. سهر ليلة حتى الفجر وقد ولدت هذه الليلة قصيدة جرير المشهورة التى أولها :

اقـلى اللـوم عـاذل والعتابـا وقـولى ان اصـبت لقـد أصـابا

حتى بلغ :

فغض الطـرف انـك مـن نمـير فـلا كعبـا بلغـت ولا كلابـا

فكان خزيا وعارا على بنى نمير حتى قيام الساعة ..

ومن الطرف الأدبية التى أحدثها هذا البيت أن امرأة دخلت سوقا لبنى نمير فجعلوا ينظرون اليها يصوبون اليها أبصارهم تارة ويخفضونها تارة أخرى ثم سمعت منهم بعض كلماتفصبرت حتى طفح الكيل من صدرها ثم قالت :

قبحكم الله يا بنى نمير .. ما قبلتم قول الله تعالى : (قـل للمؤمنين يغضـوا من أبصارهم) ولا قول جرير : (فغض الطرف انك من نمير) ..

فتشاغلوا بأنفسهم عنها ولم يعودوا لمثلها .. ولقد كان هذا البيت مسرحا لقصص أدبية طريفة من مختلف الحالات شعرا ونثرا .. وعلى مستوى العلماء والأدباء والحكماء .. ولا غرو فقد كان الشعر وسـيلة من وسـائل التأييد الفكرى والابداع في الحياة وهو السلاح الذى يقلب الحقائق ويغير المفاهيم وقد كان ذلك عندما كانت الأفكار صافية والعقول سليمة والأسماع خـالية مما ملأها وشغلها عن كل شيء .

ولـكل زمـان آيـة ..

حـــكم :

ينسب الى الخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه قوله :

(صدر العاقل صندوق سره والبشاشة حبـالة المودة والاحتمال قبـر العيـوب) ..

حكم بالغة تستحق أن تكتب بماء الذهب أمام عـين كل انسـان حتى يتمثلها في قوله وفعله .. وخاصة بعد أن صار هذا الصندوق بدون أبواب فلم يعد يصلح لحفظ شيء ولا لوضع الثمين فيه .. يطرقه كل داخل ويرى ما فيه كل قـادم .. وان هو لم يدخل عليه فسوف يعلن عن نفسه وينشر ما بداخله وقد غدت هذه طبيعة أكثر الناس اليوم .. وأما البشاشة فانه لا يقـدر عليها في عصرنا هذا الا القليل لأنها اكتنفت بأمرين :

الأول : ان الناس اختلفت نظرتهم للحياة فلا يود المرء صـاحبه الا اذا كان يحتاجه لمنفعة مادية ..

والثانى : حدوث ظاهرة اسمها المجاملة بـالغ الناس فيهـا حتى انقلبت لضدها وصارت نفاقا تضيع معـه الحقيقة وأصبحت البشاشة ضحية هذين الأمرين ..

وهى في حقيقتها وسيلة المحبة وطريقها ولا شـك •• أما الاحتمال مـن القريب والصديق والصبر على أذاهم وتحمل أخطائهم فتلك منقبة تغير العيوب وتميت المشاكل •• وتبقى الأصدقاء •• وليست بأفضل حال من أختيها ••

ولا حول ولا قوة الا بالله ••



مــن أخــلاق المنافقين

قال الله تعالى :

(وَمِنْهُم مَن عَاهَد الله لَئِنْ آتَانا مِنَ فَضْلِه لَنُصَدِّقَنَّ ولَنَكُونن مِنَ الصَّالِحِين ، فَلَمَّا آتاهُم مِنْ فَضْله بَخلوا بِه وَتَوَلوا وَهُمْ مُعْرِضون .)

هاتان الآيتان وردتا في سياق الكلام على المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون ويقولون ما لا يفعلون ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم .. وهكذا كانت معاملتهم وسيرتهم في كل شيء حتى مع الله الذى يعلم السر وأخفى فلقد عاهدوا الله انه اذا أعطاهم المال ووسع عليهم الأرزاق أن يتصدقوا ويطعموا الفقراء والمحتاجين ، وينفقوا هذه الأموال في سبل الخير ويصلحوا هم بأنفسهم بسبب هذا المال .. ولما أعطاهم الله وحقق لهم أمانيهم .. غلبت الطبيعة السيئة عليهم وتسلطت النفس الخبيثة على مشاعرهم .. فبخلوا بالمال ولم ينفقوا منه شيئا لله .. وتولوا واعرضوا عن الله .. ونسوا انهم كانوا فقراء ونكثوا العهد مع الله ، وتكبروا وتجبروا ..

ان هذا خلق سيء يعاقب الله عليه أهله وان الذين لا يؤدون زكاة أموالهم ولا ينفقون مما آتاهم الله سيقعون في هذه الصفة وسيكونون منافقين لهم العذاب الأليم .. فليحذر الذين يملكون المال أن يقعوا بهذه الصفة المذمومة وليحذروا عقاب الله في الدنيا والآخرة ..

الرحمــة :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : (قدم ناس من الاعراب على رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقالوا : اتقبلون صبيانكم ؟ فقال : نعـم ، قالوا : لكننا والله ما نقبل ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو أملك ان كان الله نزع من قلوبكم الرحمة) ..

الاعراب قوم أثرت فيهم البيئة فكان فيهم جفوة وشدة حتى على أقرب الناس اليهم وكان فيهم عادات غريبة يخالفون فيها الطباع المتعارف عليها .. فلا يوجد مخلوق يولد له أولاد الا يحسن عليه ويلاطفه ويقبله ويلين معاملته وفوجىء هؤلاء الاعراب عندما وفـدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يتصورون أن هذا الرجل على عظم قدره وعلو منزلته لا يكلم الاطفال ولا يرق لهم ولكنهم رأوا بأم عيونهم ما أدهشهم لقد رأوه يقبـل طفلا ويضعه في حجره ويرق لـه .. فقالوا : أتقبلون صـبيانكم ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسـه وأراد استنكار هـذه الجفـوة والقضاء عليهـا فقال : ماذا أملك أنا اذا كان الله قد نزع من قلوبكم الرحمة !! .. ان هذا استغراب وتعجب من رسول الله صلى الله عليه وسلم لهؤلاء القوم .. أليسوا بشرا ؟.. ألا توجد عندهم عاطفة .. أليس في قلوبهم وعروقهم دم يجرى بالرحمة التى فطر عليها الخلق جميعا .. ان الرحمة صـفة رقيقة وخصلة حميدة تجمع بين الناس وتربط بينهم وتميزهم عن الجماد .. أيها الاخوة : هل تدرون ما آل اليه أمر هؤلاء الاعراب انهم تحولوا الى مؤمنين ارقاء ، طبعهم الاسلام بطبعه وخلع عليهم من صفاتهم حتى كانوا رحماء .. ارقاء ..

وصية مـن حكم العرب :

قال رجل يوصى آخر أراد سفرا :

« اثر بعملك معادك ولا تدع لشهوتك رشادك وليكن عقلك وزرك الذى يدعوك الى الهدى ويعصمك من الردى .. الجم هواك عن الفواحش وأطلقه في المكارم فانك تكبر بذلك سلفك وتشيد شرفك » ..

هكذا كانوا يتواصون .. كـان الأصدقاء يمحضـون بعضهم النصح والاخلاص يوصونهم بما يحفظ دينهم ، ومروءتهم وشرفهم ويبعدهم عن الريب

ويبقى لهم الاحترام والتقدير .. ويجنبهم المشكلات والمصائب .. أما اليوم فان المسافر لا يقدم على سفره خارج بلاده الا وقد امتلأ دماغه بأمور خيالية حفظها عن مجالس أصحابه وأحاديثهم الخاصة فاذا عزم على السفر فكل أصحابه الا من شاء الله يهدونه الى الشر ويدلونه عليه ويفتحون له أبوابه .. حتى كأنه مسافر في طلب الشر والرغبة في ادراك البلوى .. وهو في قرارة نفسه قد عزم على تغيير كل عاداته ، والتنصل من كل أخلاقه فاذا وصل الى البلاد التي سافر اليها أقبل على الشر بنهم ، وطلق الخير طلاقا بائنا .. وانقلب فكره وعقله انقلابا شنيعا حتى ليفكر المرء أن ذلك الرجل غيره عندما كان في بلاده والنتيجة الاملاق في المال والانهاك في القوى والارتباك في التفكير والتنكر لكل قديم ومعروف .. فاذا عاد الى بلاده كان كسجين خرج من سجنه ينظر الى من حوله نظرة غريبة ويشعر في قرارة نفسه أنه مخطىء كبير الخطأ وانه من جنس غير جنس هؤلاء الناس الذين هم أقرب الناس اليه.

وقد لا نكون مبالغين اذا قلنا ان كل الأصدقاء من هذا النوع لا يوصون المسافر بما يحفظ دينه ويبقى عليه صحته ومروءته .. وهذه ظاهرة سيئة يجب علاجها والتواصي بالحق والتواصي بالخير والمعروف ..

الكتاب :

يقول محمد صادق عرنوس في وصف الكتاب :

نطاقا ان أردته بحديث ... يملأ القلب بهجة وحبورا

ساكتا ان سكت غير ملول ... ولئن جاز في السكوت دهورا

لا تراه على اختلاف المناحي ... واترا غيره ولا موتورا

ان من صير الكتاب اماما ... بات يرجو تجارة لن تبورا

انه منه في نعيم مقيم ... اذ يرى فيه جنة وحريرا

وعقودا من جوهر منظوم ... وجمانا ولؤلؤا منشورا

من علوم وحكمة وفنون ... يقف المرء بينها مسحورا

مهما عمت الثقافة في عصرنا ومهما زادت الرغبة في العلم فاننا لن نبلغ معشار اسلافنا تقديرا للكتاب ، وتعظيم قيمته واعطائه حقه .. لقد كانوا يمضون كل وقتهم معه واليه ولقد كانوا يحترمون الكتب ، ويقدرونها حق قدرها .. ولئن كان بعضنا يحب الكتب ويهوى القراءة الا اننا لسنا مثلهم في حسن الاختيار .. وانتقاء النافع المفيد من الكتب بل أصبح أكثرنا يلتقط ما تقع عليه عينه وما تمتد اليه يده مما تلفظ به المطابع .. ومما يقضي على الوقت ولا يعطي فائدة .. وهذه ظاهرة تجعل الكتب ضارة غير نافعة ، ومكروهة بعد أن كانت محبوبة ..

وفي رأيي انه اذا كانت الكتب أنيسة أولئك فانها أصبحت ضرورة لنا في هذا العصر بعد أن ارتبط العالم وتقارب وبعد أن توسعت العلوم وكثرت مصادرها وبعد أن قل الأصدقاء وندر المخلص منهم فلم يبق سوى الكتاب صديقا ولم يبق سواه مؤنسا ورفيقا ..



النفقة في سبيل الله

قال الله تعالى :

(هَا أَنْتُم هَـؤُلاء تَدعُونَ لِتَنْفِقُوا فِي سَبِيـلَ الله فَمِنْكُم مَنْ يَبْخَلُ ، وَمَنَ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفسِهِ والله الغَنِي وا نَتُمْ الْفُقَرَاء وان تَتَولوا يَسْتَبْدِل قَوماً غَيْرِكُمَ ثُمَّ لا يَكُونوا أَمْثَالكمْ ..)

جاءت هذه الآية خاتمة لآيتين في حقيقة الدنيا وقيمتها عند الله ، ونظرة ابن آدم لها وتمسكه بهـا ، وانه يبالغ في حبهـا وحرصه عليها حتى اذا دعي الى النفقة في سبيل الله مما آتاه الله فكثير من الناس يبخل ويمتنع عن البذل وما علم انه انما يبخل عن نفسه ويحرمها الأجر والثواب ويفوت عليها فرصـة للتعامل مع الرب الذى يجزل العطاء ويكثر التوبة •• وهو غنى عن الآدميين لا يحتاج اليهم ولا الى ما في أيديهم ولا ينفعه ما يعملون من خـير ولا يضره ما يأتون مـن شر ولكنهم هم أنفسهم بحاجة اليه عـز وجل فهم فقراء ضعفاء لا يستغنون عن ربهم لحظة ، ولا يملكون من الأمر شيئا •• وهنا يؤكد الله عز وجل انه اذا تولت أمـة عن الخير وعما جاءت به الرسل ، وعن الهـدى الربانى فانه سيهلكهم ويستبدل قوما غيرهم يؤمنون بـه ، ويطيعون أوامره ويجتنبون نواهيه وينفقون في سبيله ، ولا يكونون مثل المعرضين الجاحدين نعمة الله ••

لو نظرنا في حقيقة الحياة لوجدناها طريقا عـابرا ، وزادا لمسافر وظلا زائلا •• ولو فكرنا فيها لتأكدنا أنه لن يبقى فيها أحد خالدا •• اذا ما هى

وما موقف ابن آدم منها ؟ •• العاقل يدرك أن المقصود هو العمل لدار غيرها ، والتزود منها للمقام الدائم •• فانتهزوا الفرصة قبل فواتها ••

السـبـاب :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(المتسابان ما قالا فهو على البادىء منهما ما لم يتعد المظلوم) ••

هذه الحياة فيها الخير والشر وفيها الرضا والغضب وفيها السرور والحزن والشيطان دائما يوقع بين الاخوة ويكدر الصفو ، ويجر الصديقين الى التطاول في الكلام حتى يتطور الموقف الى سباب •• وشتائم يدفع الشيطان كل واحد من المتسابين الى كيل السباب والشتم لأخيه ورفيقه ، وكأنه لا يعرفه من قبل ينعته بكل صفات الذم ويصفه بكل صفات الفحش ويشرك معه أباه وأمه وأخته وأخاه وعائلته وقبيلته وأهل بلده •• وبالمقابل يحرض الشيطان المشتوم فيسارع الى مبادلة ذاك ما قاله ويبالغ في الكلام محاولا التغلب على ذاك في الفحش والسب •

ولكن الاسلام لا يرضى بذلك ، ويحفظ اعراض المسلمين وينهى عن السباب ويكرهه وقد وضع للمسلمين حدا ••وحدد مسئولية كل واحد من المتسابين فجعل مغبة كل ما يقال وقت السباب على من بدأ وأثار المشكلة وجر الى الشتم فاذا اعتدى المشتوم ، وبادل شاتمه مثلا بمثل ورد عليه ما قاله اشترك مع صاحبه في الاثم فصارا معا مؤاخذين ومعتديين ••

والله لا يرضى لعباده بهذه الصفة ••

وهذا الحديث دعوة لمن اعتدى عليه بالسب أن يسكت ويعرض عمن سبه حتى يظفر بالأجر ويسلم من أثر الشر •• وهذا خلق المسلمين ••

ثـــلاث :

قال محمد بن كعب :

« ثلاث من كن فيه استكمل الايمان بالله ••

اذا رضى لم يدخله رضاه في الباطل ••

واذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق ••

واذا قدر لم يتناول ما ليس له ••

حقا ان هـذه الثلاث جماع الخير ، وأصـل للتعامل مع الرب ، ثم مع الناس •• ولن يكن في أحد الا كان مؤمنا عاقلا ، متحكما في أهوائه وشهواته وأعصابه •• بصيرا بالأمور مدركا لمستقبل الحياة •• وأغلب الناس اليـوم اذا رضى فقد ميزان عقله وتمادى في غيه وأطلق لنفسه العنـان في الأخذ بما لذ وطاب من متاع الدنيا لا يفكر فيما يأتى ولا يفرق بين حلال وحرام وطيب وخبيث ، وجائز وممنوع •• فتراه قد انسلخ من شخصيته التى تعرفها وتغير تغيرا تاما •• وانقلب ظهرا على عقب •• وان هو غضب خـرج عن صـورته الانسـانية ودخـل في عداد الحيـوان فتراه يرفس ويلح في الكلام والشقاق والعناد وقد فقد عقله وانهارت أعصابه وجاء تصرفه تبعا لذلك فأساء الى نفسه والى من حوله وان قدر واتاه الحظ فكانت له سلطة ظلم الناس واعتدى على حقوقهم •• وأنحى عليهم بجبروته يمتهنهم ويغمط حقهم ويغتصب مالهم •• ونسى انه منهم وانه أحدهم وان ما هو فيه من قدرة قد يزول سريعا فيعـود كما كان وبعدها سيجد نفسه مرذولا فيندم يوم لا ينفع الندم •

ان هذه حال كثير من الناس واللبيب الفطن هو الذى يتحكم في اهوائه ورغباته ويكون واقعيا يفكر ويتصرف بتؤدة وعلى ضوء التوجيه الربانى •

الاحمـــق :

من أحسن قصائد (مسكين الدارصي) وبدائعه قوله في الأحمق :

اتــق الأحمــق ان تصــحبه	انمـا الأحمـق كالثـوب الخـلق

كلمـا رقعــت منــه جانبـا	حركتـه الريـح وهنـا فانخـرق

أو كصـدع في زجـاج فـاحش	هـل ترى صـدع زجـاج يتفـق

واذا جـالســته فـي مجلـس	أفسـد المجلس منـه بالخـرق

واذا نهنهتـه كـى يرعـوى	زاد جهــلا وتمـادى في الحمـق

واذا الفـاحش لاقـى فاحشـا	فهنـاكم وافـق الشـن الطبـق

انمـا الفحـش ومـن يعتـاده	كغـراب السـوء ما شـاء نعـق

أو حمـار السـوء ان أشـبعته	رمـح النـاس وان جـاع نهـق

وصف صادق للأحمق وحاله مع صاحبه ونتائج مصاحبته وهـذا شيء لا يختلف فيه اثنان .. انما المصيبة والأمـر الفـادح ان يصبح المجتمع كله أحمق فتكون مصاحبة الأحمق أمرا محتما .. ولست متشائما لاقول ان زمننا هذا غلب فيه الماء على الطحين ، واختلط الحابل بالنابل ، وطاش سهم العاقل ورجح سهم الأحمق .. ولا حول ولا قوة الا بالله ..

* * *

النجـــــوى

قال الله تعالى :

(لا خَيْرَ في كَثِير مِنَ نَجْوَاهم الا مَنْ أمَرَ بِصَدَقةٍ أو مَعْرُوف أوْ اصْلاحَ بَيْنَ النّاسِ ..)

كل ما يقوله الناس ويتحدثون بـه ويتناجون فيه فهو كلام لا يعـود بالفائدة الباقية ولا النفع الشامل ، وهو أمر ينتهي ولا يبقى منه سوى ما يصل الى الآخرين ويعود عليهم بالنفع .. ومن ذلك الأمر بالصدقة بأن يتناجى اثنان في كيفية اخراجها والمستحق لهـا ، وفضلها يحض احدهما الآخر عليها ويأمره بهـا لأنها تنفع صاحبها وتنفع المتصدق عليه بهـا .

ومما له نفع وفيه خير الأمر بالمعروف .. فاذا كان الحديث يدور حـول أمر بمعروف .. كيف الوسيلة اليـه ووقته ومن يبلغـه .. فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يصلح بـه المجتمع وتقـوم عليه الأمم ويحصـل التناصح والتعاون ..

ومن النجوى النافعة الاصلاح بين الناس وحل مشكلاتهم وازالة ضغائنهم لأنهم اذا كانوا متخاصمين متنازعين أضروا أنفسهم وضـاعت المصلحة بينهم فاذا أصلح بينهم انسان اسدى اليهم معروفا وأخذ بأيديهم للعمل والانتـاج بعيدا عن الاحن والاحقاد .. وهذه مقاصد كريمة أرادها الله عز وجل لعباده المؤمنين ودعاهم اليها وارشدهم للعمل بهـا ولو انهم طبقوها لحفظوا وقتهم ووفروا جهودا ضائعة وكانوا في أرقى المجتمعات وأمنع الدول وأعزها ..

الصـــــدقة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس ، تعدل بين الاثنين صدقة ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع لـه عليها متـاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صـدقة ، وبكل خطوة تمشيها الى الصلاة صـدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة ..

الخلق في هذه الدنيا وجدوا ليعبدوا الله ، وليعيشوا بأمن وسلام حتى يستطيعوا التفرغ للعبادة والعمل في الدنيـا فتعاونهم طبيعي وأمـر ضروري ولكن الاسلام أكد ذلك وجعل التعاون عبادة يثاب عليها المسلم ويعاقب على تركها .. فكل جزء من جسم الانسان وعظم منه عليه صدقة واجبة من الله عز وجـل على كل المخلوقين ، فالعـدل بين اثنين والاصـلاح بينهما وانهـاء مشكلتهما وأمرهما بالمعروف صدقة ..

فاذا صدفت رجلا في الطريق يحاول ركوب دابته أو اصلاح سيارته أو وضع حاجته عليها أو فيها فأعنته عليها فذلك صدقة وكلمة طيبة تقولها لرجل أو جماعة صـدقة لأن الكلمة الواحدة قـد تنهى مشكلة وقـد تفتح بـاب شر عظيم .

واذا تطهر الرجل فخرج الى المسجد لا يدفعه الا الرغبـة في طاعة الله عمل الخير في الاسـلام فذلك صـدقة .. واذا أزال أذى عن طريق المسلمين فذلك صدقة .. والخلاصة أن أبواب الخير في الاسلام واسعة يسيرة على من وفقه الله ، لا تحتاج الى عنـاء ولا تعب ، ولا تتوقف على أمـر مستحيل ، وليست قاصرة على نوع معين من النـاس بل هى في متناول كل أحـد وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ..

الغضـــــب :

(جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو جالس وحوله اناس

فقال له : يا عمر والله ما تقضى بالعدل ، ولا تعطى الجزل •• فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه •• فقام اليه رجل من الجالسين وقال له : يا أمير المؤمنين ألا تسمع أن الله يقول : « خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين » فقال عمر : صدقت •• فزال عنه غضبه وذهب ما كان يجده وكأنما كانت نارا فأطفئت) ••

رضى الله عن عمر لقد كان القرآن يؤثر على انفعالاته النفسية وتأثراته الطبيعية ، فكان وقافا عند كتاب الله ، فرغم قوته وصلابته وشدته اذا ذكرت له آية من القرآن رق ووقف عند حدودها وطبق معناها فورا •• بفهمه الدقيق ، وادراكه العميق ، وهذا مثل من خلقه •• فقد استثاره هذا الرجل حيث يتكلم أمام الناس بأسلوب جاف ، وعبارة مؤلمة وهو خليفة المسلمين ، وهو الحريص على مصالحهم المحافظ على أموالهم القائم بالعدل •• ولا شك ان ذلك يثير ويغضب وقد بدا أثر ذلك على عمر •• ولكن الآية التى سمعها أزالت غضبه فورا وكأنه نار أطفئت بماء فذهبت فلا وجود لها ••

ليتنا نعمل بديننا ونتأسى باسلافنا الأماجد الذين يقولون ويفعلون ويسمعون ويعملون وكل أعمالهم قدوة •• اذا لكنا كما سادة الدنيا وفي مقدمة العالم ننشر العدل والسلام ••

الجـــــار :

أوصيت الشريعة الاسلامية بالجار وأكدت على وجوب حقه ، حتى قال الصحابة رضى الله عنهم ما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصينا بالجار حتى ظننا انه سيورثه •• وهذا شيء واضح لكل من يعرف شيئا قليلا عن الاسلام ••

وشاء الله ومر الزمن سريعا •• وعمت المدينة الدنيا وصرنا نعيش حياة المدنية والمدن الكبيرة ، فأصبح الواحد منا لا يعرف جاره ، ولا يعنى بأمره ولا يسأل عن حاجته وكأنه من طينة غير طينته ، وحياة غير حياته •• وهذا خلق سيء له آثار سيئة ••

وهذا شاعر عربي يثبت معاملته لجاره فيقول :

نـاري ونـار الجـار واحـدة　　والـيـه قبلى تنـزل القـدر

ما ضـر جـارى أن أجـاوره　　ان لا يكـون لبيتـه سـتر

اعشـى اذا مـا جـارتى خـرجت　　حـتى يـوارى جـارتى الحـذر

ويصـم عمـا كـان بينهمـا　　سـمعى ، وما بى غـيره وقـر

هذه حالهم أما حالنا اليوم فقد أضعنا الجانب الطيب وابقينا الجـانب الآخر ، فالأذى يصل الى الجار •• والازعاج يبلغـه •• لكن الخير لا يعرف اليه طريقا •• ولا حول ولا قوة الا بالله ••

* * *

العقبـــــة

قال الله تعالى :

(فَـلا اقْتَحَمَ العَقَبَة وَما أَدرَاكَ مَا العَقَبَه * فَكُ رَقَبَـه او إطْعَامَاً في يَوم ذِى مَسْغَبَة يَتِيماً ذَا مَقْرَبَة اوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْربَه ..)

هــذه الآيات وردت في معرض الامتنان على المخلوق بعد أن آتــاه الله الصحة والعافية وأعطاه العقل ومنحه التفكير وهداه الطريق ..

وهنا تساؤل لعمل الآدمى ودعــوة له لاقتحام العقبة وهــذه العقبة هى عمــل خير واحسان الى الناس ومنها انقاذ رجل مــن الرق وفداؤه بالمال .. أو اشباع جائع في يوم شديد يحتاج فيه الناس الى الأكل .. وأولى الناس بالانقاذ من المسغبة اليتيم القريب والمسكين الذى ليس عنده شيء مطلقــا ..

واقتحام العقبة صــفة لا يدركها الا المؤمنون الذين يتذوقون حــلاوة الايمان بالقول والعمل فانها تحتاج الى أن يتفقد الانســان قرابته ومن حوله ويتعرف على أحوالهم فيمين الضعيف ويطعم الفقير ويساعد المحتاج ..

وقد سهل هذا العمل في زمننا ولله الحمد فكثر المــال وتوفرت النعم ولم يبق عذر لممتنع ولا حجة لمتوان ولكنه حرمان ..

البيعــــــان :

عن أبى خالد حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فان صدقا وبينــا بورك لهما في بيعهما وأن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما)..

متفق عليه ..

البيع والشراء مبنيان على النيـة والصدق في المعـاملة والبركة والربح مبنى على الصدق والأمـانة ..

وهـذه حقيقة يجب أن يعرفها الناس اليوم فان بعضهم يقول : هـذه شطارة أو السلعة أمام المشترى .. وهـذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعل على البائع والمشترى أن يصدقا ويبينـا ما في السلعة من عيب أو نقص أو ضرر وحينما يعمـلان ذلك يبـارك لهما في بيعهما وشرائهما وان هما كتما ما في السلعة من عيب أو نقص ودلسا أو كذبا لاقنـاع المشترى أو البـائع بالموافقة على ما يريـد ان كان ذلك سـببا لمحق البركة ــ واذا محقت البركة لم يبق عند التاجر شيء ولو ربح أضعاف الأضعاف فسيأتى يوم يزول فيـه كل ما يملك ..

ولقد صرنا نسمع أن أناسـا يدلسون في السلعة ويخفون عيبها وآخرين يغيرون وزنها وكيلها ويظهـر للمشترين انهـا هى التى يعرفونها أو أنها على طبيعتها وهم قد غيروا اناءها ونوعها وخلطوها بغيرها .. وكل ذلك سبب لمحق البركة .. واذا محقت البركة فماذا يبقى لدى التاجر ؟ .

أما اذا وجدت البركة فـان الربـح القليـل يكفى وسيكون كبيرا .. بالاضافة الى أن صاحبه مطيع لله مطمئن النفس راضي البـال يحبه من يعامله ويعـود اليـه ... وهـذا أمـر مشاهد في الحيـاة ..

متعـــــلم :

قال المنفلوطى :

(مثل المتعلم غـير المتأدب كمثل شجرة عـارية لا تورق ولا تثمر قـد انتصبت للناس في ملتقى الطرق تعترض الرائح وتصد سبيل الغادى فلا الناس بظلها يستظلون ولا هم من شرها ناجون) ..

من أصعب الأشياء على النفس حصول الضد ووقوع خلاف المأمول ..
ومن انكاها وأكثرها استغرابا تسبب العلم بالضرر والأذى فقد تعارف الناس جميعا على أن العلم كله خير وانه يخرج من الظلمات الى النور ويرفع صاحبه من الثرى الى الثريا ... ولكنه لا يؤدي هذه الفائدة الا اذا آتى ثمره وعمل بـه حامله وتأدب بآدابه وسار على طريقه اما اذا تمادى في غيـه ، ولم يتأثر بعلمه ولم يعمل بما علم ولم تبـد عليه أمارات العلم فهنـا يأتي العلم بالنتيجة العكسية بسبب صاحبه وبفعل حامله وليت المتعلم عند ذلك يكون جاهلا فقط أو غير عالم فحسب ولكنه يزداد صفة أخرى وهي صـفة السوء والأذى .. لأنه صـار يعلم شيئا يستطيع أن يضر به غيره وأن يمتاز على الجاهل بهـذه الصـفة الذميمة .

ولعل بعض الناس يستغرب وقـوع مثل ذلك ويقول ان العلم لابد أن تتبعـه الثقافة والأدب والأخلاق .

ولخروج هـذا من حيرته عليه أن يستعرض بضـعة أشخاص زاملهم أو صحبهم في رحلة أو اجتمع معهم في عمل انه سيدرك أن بعضهم قد علم فعمل واثر العلم فيه وان بعضهم لم يعلم وكأن العلم لم يمـر عليه ولم يسمع منـه شيئا وكأن كل ما قرأه أو مر على سمعه لا يلبث سويعات أو أياما حتى يطير ولا يبقى لـه أثـر .

وأن بعضهم قد اكتسب صفة أخرى بين الجهل والعلم تمكنه من الجدل والوقوع في مصاف المتعلمين ولكنها لا تنتج سوى الأذى والاعتراض على من ينطق بحق أو يدعو الى فضيلة أو يسعى الى اصلاح ... وهذا لا شـك هو الخسران المبين ..

الصـــديق :

قال سويد بن الصامت :

الا رب مـن تدعو صديقا ولو ترى	مقـالته بالغيب سـاءك ما يفـرى
مقـالته كالشهد ما كـان شـاهدا	وبالغيب مأثور على ثغـره النحـر

يسـرك بـادبه وتحـت اديمـه تميمـة غش تبتـرى عقب الظهـر
تبـين لـك العينـان ما هـو كاتم وما جن بالبغضاء والنظر الشـزر

الأصدقاء جزء لا يتجزأ من الانسان لا يستغنى عنهم ولا يستطيع العيش دونهم وهم نسيم الحياة النقى الذى يشفى به المرء غليل نفسه ويبثهم مكنون صـدره ..

لكنهم بشر يختلفون خلقا وخلقا ومعاملة ووفاءا وصبرا ومللا واخلاصا وحسدا ومنهم من يكون طبعه الشر لا يفارقه فلا يفتأ يحوك لصاحبه المزالق فيوقعه في الخطأ حتى يشفى حقده ويرضي نفسه الخبيثة في اللحظة التى يكون صديقه نقى الطوية طيب القلب مخلصا لصديقه يسعى لمنفعتـه ويتأثر لمصيبته ويتمنى بقـاء نعمتـه .. وابلغ الأصدقاء نكـاية وأوقعهم في السوء ذلـك المنافق الذى :

يعطيك مـن طرف اللسان حـلاوة ويروغ عنـك كما يـروغ الثعلب

وهذا هو الذى أراده الشـاعر الصـامت ولكن العاقل اللبيب لا يخفى عليه أمـر هذا الصديق وللقلب على القلب دليل حين يلقـاه ..

والعـين تعـرف مـن عينى محدثها ان كان مـن حزبها أو مـن أعاديها

وطريق الباطل قصـير والشر لا يلبث أن يضمحل ويبدو الخـير بنوره وجماله .. وفي كل زمان خير وشر .. وعلى العاقل أن يختار ما يشتهى ..

* * *

الأولاد

قال الله تعالي :

(لله مُلْكُ السَموَاتِ والأرضْ يَخْلقَ ما يَشَاءُ يَهِبْ لِمنْ يَشَاءُ أناثا وَيَهبُ لِمنْ يَشاءُ الذكُور . او يزوِّجهُمْ ذكرانَا واناثا وَيجَعل مَن يَشاءُ عَقِيَماً انه عَلِيمٌ قَدِير ..)

حكمة عظيمة وعلاج لمشكلة اجتماعية تشمل كل المخلوقين فما من رجل وامرأة الا له ذكور ، فقط أوله أناث وله ذكور واناث معا . أو هو عقيم .. وكل ذلك بعلم الله عز وجل فهو القدير على أن يجعل للعقيم أولادا .. ولصاحب الذكور أناثا ولصاحب الأناس ذكورا . وهو القدير أن يهلكهم جميعا .. وكل بحكمته وعدله .. ولكن هذه الآية تسلية لخلقه وبيان ان ذلك بعلم الله فهو الذي يعلم ما يصلح لهذا وما يصلح لذاك وهو الذى يعلم ما سيعمله الأولاد وما سيأتونه وما سيجرونه على آبائهم وأمهاتهم ..

ولقد رأيت شابا يتألم لأنه لم يرزق أولادا رغم محاولته القوية للحصول على الانجاب .. وأبلغيى أن زوجته متأثرة جدا .. وكان شابا مثقفا عاقلا .. فأحضرت له هذه الآية وطلبت منه أن يقرأها .. ثم طلبت أن يعيدها ثانية وثالثة ولما أتمها الثالثة سرى عنه وأقسم برب القرآن أنه كأنه لم يقرأ هذه الآية من قبل .! قلت له لقد قرأتها ولكنك لم تفهمها .. فسارع الى زوجته وأفهمها هذه الآية وعلمت بعد انهما سعيدان في حياتهما .. آمنَّا بالله ورضينا بقسمته فهو العليم الحكيم ..

نصر المسلم :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أنصرا خال ظالما أو مظلوما .. فقال رجل يا رسول الله أنصره اذا كان مظلوما أرأيت ان كان ظالما كيف أنصره ؟ قال : تحجزه أو تمنعه من الظلم فان ذلك نصره .. »

المسلمون مرتبطون ارتباطا وثيقا ، ومتعاونون فيما بينهم على الخير يشعر أحدهم بشعور الآخر ويحس احساسه ويتفقده في قوله وفعله .. فاذا رأى أحدا يعتدى على أخيه المسلم بقول بان يسبه أو يغتابه ، أو يحتقره دافع عنه ونصره بالقول وبيان فضله وتفنيد قول المعتدى .. وان كان التعدى على أخيه بفعل وقف معه ودافع عنه ورد الأذى عن الوصول اليه حتى ينتصر .. ويخذل عدوه ..

وهذا النصر والاعانة مستمر حتى في حال كون المسلم ظالما .. فاذا كان ظالما لنفسه نصحه وأرشده ، وأوضح له طريق الخلاص مما هو فيه .. واذا كان ظالما لغيره بحديث أبان له عقوبة الظلم وتحريم أعراض الآخرين وشؤم عاقبة الظالمين .. وان كان ظالما بالاعتداء على أحد بغير حق حجزه ومنعه بالقوة والكف عن الاستمرار في الظلم . والخلاصة أن المسلم هو كنفس المسلم الآخر في الشعور والمعاملة والرغبة والرهبة والمصير وهذه الدعوة النبوية لنصر المسلم شاملة للأفراد والجماعات فعلى كل أمة مسلمة أن تنصر وتكافح وتنافح عن الأمة الاسلامية الأخرى ، وتحس باحساسها ، وتتألم لألمها ، وتشترك معها فعلا لا قولا .. واذا فعل ذلك المسلمون وطبقوه على مستوى الأفراد والجماعات كانوا في قيادة العالم كما أراد الله لهم ، واذا تخاذلوا وتباعدوا كانوا في المؤخرة ...

كفى بالدهر واعظا :

لبيد بن ربيعة كان حكيما في الجاهلية والاسلام وكان عاقلا ذا حلم وورع .. وقد نظر في الدهر والعالم المتعاقبين عليه فأدرك حقيقة الحياة ،

وأدرك انه لابد من حياة غير هذه التي نحن فيها .. ودعا العاقل الى ادراك ما حوله والاتعاظ بالدهر وحوادث الزمان ومما قال في ذلك :

اذا المرء أسرى ليلة خال أنه ... قضي عملا ، والمرء ما عاش عامل
فقولا له ان كان يقسم أمره ... ألما يعظك الدهر ؟ أمك هابل
فتعلم أن لا أنت مدرك ما مضي ... ولا أنت مما تحذر النفس نائل
فان أنت لم تصدقك نفسك فانتسب ... لعلك تهديك القرون الأوائل
فان لم تجد من دون عدنان باقيا ... ودون معد فلترعك العواذل
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم ... بلى .. كل ذي رأى الى الله واسل
الا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل
وكل اناس سوف تدخل بينهم ... دويهية تصفر منها الأنامل
وكل أمرىء يوما سيعلم سعيه ... اذا كشفت عند الاله الحصائل

ليس لى من قول على هذا القول الناطق بالحكمة الدال على الخير سوى أن أدعو المهتمين بالتعليم وبتربية النشء الى تحفيظ أولادنا هذه الأبيات وأمثالها مما يقيم اللسان ويعمر القلوب ، ويورث العلم والحكمة وهو كثير .. والحصول عليه سهل ميسور .. !

حكمة :

« العلم في الصغر كالنقش في الحجر » ..

هذه الحكمة يعرفها الكثير ، يقولونها ويرددونها وخاصة عندما يتذكر أحدهم قولا أو عملا في صغره .. والحقيقة انه يجب أن تفهم منها أمرا مهما وهو نوعية العلم الذى نعطيه لصغارنا لأنهم سيحفظونه وسينطبع في قلوبهم وأفكارهم لا ينسونه أبدا .. وهذه مهمة شاقة تقع على عاتق المدرسين الذين بيدهم توجيه الصغار ، وايصال المعلومات اليهم وهم مسئولون أمام الله عز وجل حينما تبدو الحقيقة كما هى دون تظاهر أو ادعاء ..

ومن أجل ذلك كانت مهمـة المدرس عظيمة وكان قـدره كبيرا وكان اختياره أمرا صعبا •• ونحمد الله أن المدرسين لدينا يدركون هـذا الواجب ويؤدونه على أحسن وجـه ••• !

حرية التصرف في المـال

قال الله تعالي :

(ان تَقرِضُوا الله قَرضاً حَسَنَا يضَاعِفهُ لَكم وَيَغْفِر لَكم والله شَكُورٌ حَلِيمْ .)

كل ما في أيدى الخلق هو من عند الله ، وخزائن الله ملأى وما عنده باق وما عندنا ينفد •• وقد خرج كل واحد منـا الى الدنيا ليس معـه شيء •• فرزقه الله الصحة والعافية ثم سخر له والدين يربيانه ويحدبان عليه حتى يبلغ الحلم ثم ييسر لـه طريق الكسب حتى يكون غنيـا يملك من أعراض الدنيا ما يكفى لعدد كبير من الناس •

ومن عدل الله عز وجل ورحمته بخلقه أن جعل لهم حرية التصرف بالمـال ينفقون كيف يشاؤون حتى في التعامل معـه ••

فهو هنا يخاطب المؤمنين بأن من يتصدق في وجوه الخير وينفق مما رزقه الله يكون كأنه أقرض ربه قرضا يوفيه اياه في الدنيا والآخرة •• ولن يوفيـه ايـاه عينا بعين ومثلا بمثل بل سيضاعفه لهـا أضعافا كثيرة غير محدودة •• ويزيد على المضاعفة الغفران الذى لا يعـد لـه شيء •

وهذا العمل العظيم والفضل الكثير لانه الله شكور حليم يتقبل من عباده القليل ويجزى عليه الكثير مع انه منه وهذه غاية الشكر وحليم على عبـاده

لا يؤاخذهم بما يعملون ولا يعاقبهم بسبب بخلهم بانفاق المال ، ومنتهم عليه سبحانه وهو موجودهم وميسر أرزاقهم ..

ولعل من تكريم الله عز وجل لعباده المؤمنين ان دعاهم للتعامل معه والاتجار بأقراضه ما ينفقونه في سبيله وهو نعم الكريم المتعامل معه ..

الغضب :

(قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني ؟ فقال : لا تغضب فردد مرارا فقال : لا تغضب ..)

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الخبير بخبايا الأمور وغرائز الناس ، وطباعهم يدرك ما للغضب من أثر سيء على الأفراد والمجتمع .. فشخص غضوب سيأكل الغضب قلبه وسيوقعه في مشكلات لا نهاية لها وسيمنعه ذلك من معاملة الناس والاختلاط بهم ومجتمع فيه خلق الغضب سوف لا يتفق أفراده ولا يتعاونون ولن يتماسك بناء المجتمع ما دام هذا خلقه .

وكم من مصيبة جرها الغضب وكم من فرصة فوتها الغضب وكم من محبين فرق بينهم الغضب .. وقد أرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علاج للغضب وهو الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم .. والتحول من المكان والوضوء .. لأن سورة الغضب من النار والماء يطفىء النار ..

ان هذا العلاج النبوى الكريم كفيل بالقضاء على هذه الظاهرة وذلك الخلق البغيض .. جزى الله نبينا عنا خير الجزاء فقد أبان لنا كل شيء فلا خير الا دلنا عليه ولا شر الا حذرنا عنه .. سواء في حياتنا الخاصة أو قرارة نفوسنا أم في علاقتنا مع بعضنا وحياتنا مع الناس ..

فاللهم وفقنا لطاعتك وطاعة رسولك ..

زوجـــــة :

في قصـــة الحديبية المعروفة مشاهد اسلامية رائعـــة وكان منها موقف زوجـــة مثالية •• فقد قـــام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعـــد أن وقع الصلح مع سهيل بن عمرو على أن يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم مـــن عـــامه ذلك وقال : يا أيها الناس أنحروا وأحلقوا وأحلوا •• فما قام رجـــل من الناس ، ثم أعادها فما قـــام أحد لأن الناس لم يكونوا يتوقعون ذلك بل كانوا مستشرفين دخول مكة وأداء العمرة •• وكان من الصعب على نفوسهم الرجوع من عند الحرم وهم محرمون ••

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا ودخل على زوجه أم سلمه رضي الله عنها فقالت : ما بالك يا رســـول الله ؟ قال : ما رأيت ما دخـــل على الناس ؟ •• قالت : يا رســـول الله اذهب فانحر هديك واحلق وأحـــل فان الناس سيحلون ••

فخرج مسرعا وفعل •• فنحر الناس وحلقوا وأحلوا •• فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ••

لله در هذه الزوجة التي جمعت الى حسن الرأي سرعة البديهـــة والمبادرة الى الرأى في موقف يطير له قلب الحليم •• لقد أعـــانت زوجها وفتحت لـــه طريقـــا أزالت بـــه غضبه وحـــلت مشكلته وكفت المسلمين شرا مستطيرا •• أين هى من نساء اليوم اللاتى لا يملكن الرأى ويسرعن الى اغضاب أزواجهن وتكديرهم بسبب أمور تافهة وكأنهن مقيمات في البيوت يعددن العدة لمضايقة أزواجهن وجمع المشكلات لهم الا القليل النادر منهن ••

فرحمة بأزواجكن أيهـــا السيدات ••

الصـــديق :

قال ابن المقفــع :

(اذا نابت أخاك احدى النوائب مــن زوال نعمة أو نزول بليـــة فأعلم انك قد ابتليت معه ، اما بالمواساة فتشاركه في البلية ، واما بالخذلان فتحتمل العــار •• فالتمس المخرج عند أشباه ذلك ، وآثر مروءتك على ما سواها) •

هذه هى الأخوة الحقيقية التى تكون صادقة مبنيـــة على أسس صحيحة سليمة يشعر بها الأصدقاء انهم اخوة متحابون يشارك بعضهم بعضـــا السراء والضراء ويعين بعضهم بعضـــا على نوائب الزمان ••

أما أخوان الرخاء وصـــداقة المناسبات والمجاملات وتعـــارف المصلحة العارضة فهؤلاء لا بقـــاء لهم اذا نابت أحدهم نائبة أو حلت به بليـــة ••

وهؤلاء حمل ثقيل يكثرون عند الرخاء ويقلون عند الشدة أو يعدمون •• وعلى كل انسان أن ينظر من يخالل فأن الصديق جزء من حياة المرء فاذا أحسن اختياره وجده عند الضيق يعين على المعروف ويحـــذر عن المكروه •• ويدل على الخير وينهى عن الشر وهـــذا النوع نادر الوجود ، ودرة ثمينة يحتـــاج الباحث عنها للغوص كثيرا وطويلا وللفحص بدقة •• وقليل من الناس مـــن يستطيع التعمق في طبقات البحر للبحث عن الدرة ••

* * *

الربـــا

قال الله تعالى :

(يَا أَيهَا الذِين آمَنُو اتقُــوا الله وَذروَا مَا بقِي مَن الرِّبَا إن كُنتُمْ مُؤمِنِينَ ، فَإن لَم تَفعَلُوا فأذَنوا بِحرْبٍ مِنَ الله وَرَسُولِه وان تُبتُم فَلَـكُم رؤوس أموالِـكم لا تَظلَمون ولا تظلِمون)

قاعدة بينة واضحة للتعامل التجارى •• اهتمت بتخليص المظلومين مـن ظلم الظالمين •• والربا من أعظم الظلم •• ولقد خاطب الله عــز وجل المؤمنين ودعاهم لترك الربا عن طواعيه ورغبة في الخير وزهد فيه لأنه سحت لا فـائدة منـه ولا بركة فيـه •• ولقد كان التجار في الجاهلية يعطون الفقراء أموالا بفائدة الى أجل فاذا حـل الأجـل ولم يسددوا زادوا الفائدة وهكذا حتى تتضاعف وتنهك كاهلهم حتى يفلسوا •• فدعـا الله المؤمنين لترك ما بقى لهم من هـذا المال الذى أكتسب من غير وجهه •

ولعل أمرا مهما يجب أن ينتبه له التجار وهو أن التعامل بالربا محـاربة الله ورسوله وخـروج على نهجهما ومعصية لهما وعلى المؤمنين أن يتوبوا وأن يكتفوا مـن أموالهم التى تعاملوا بها بالربا برأس المـال •• حتى لا يظلموا ولا يظلموا ••

انها قاعدة واضحة جلية روعي فيهـا مصلحة التاجر والفقير •• فحذار أيها الاخوة من التعامل بالربا •• يبارك لكم في مالكم وتنالوا رضا ربكم ••

الأخـــلاق :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ..

هذا تعبير غاية في البلاغة والتأكيد بالحصر لهــذا المبدأ العظيم مكارم الأخــلاق .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم وقد اصطفاه الله من أفضل العرب وأعــده اعدادا خاصا يؤهله لأن يأتى بالأخلاق الكريمة ويتممهــا .

ولا شك أن الأخلاق الكريمة عليها مدار الأمور كلها فأي أمر في الحياة لا يصاحبه حسن الخلق سوف لا يكون مقبولا ولا نافعا .. وأى عمل جــاء مــع الخلق الكريم كان موصلا للغــاية محققــا لأهدافه مقبولا عن تنفيــذه وتطبيقه .. وأي أمــة توافر لها حسن الخلق في أفرادها كانت أمــة متماسكة مترابطة تسودها المحبة والوئام .. متفرغة للبناء والتعمير والتقدم .

ونحن الأمــة الاسلامية نبينا محمد بن عبد الله الذى يقول بعثت لأتمم مكارم الأخلاق لقــد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعــالى الأمور وعظائم المهام ولكن الأخلاق لأهميتها وعظم أثرها في المجتمع أكدها دعــوة للعمل بهــا .. وتطبيقها في الحياة .. فاللهم أرزقنــا مكارم الأخلاق ..

الموظف :

كان من كتــاب عمر بن الخطاب رضي الله عنــه الى ابى موسي وكان عامله يومئذ .. هــذه الجملة :

(واياك أن تزيغ فتزيغ عمالك فيكون مثلك عند الله مثل البهيمة نظرت الى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبتغى بذلك السمن وانما حتفها في سمنها).

لقد وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذه المادة مبدأ من مبادىء المسئولين فالموظف الذى يزيغ عن الطريق ويتساهل في عمله أو يهمله أو يغش في أدائه . أو يحابى به أو يجامل على سبيل المصلحة العامة ستكون النتيجة أن يقلده في ذلك كل الموظفين الذين يرأسهم لأنهم جميعا ينظرون الى عمله ويسجلون عليه حركاته وسكناته .. وهو حينما يزيغ عن الجادة السليمة يتخلى عن عقله وانسانيته ويقلد البهيمة التى لا تعقل وتلقى حتفها بعملها وفعلها هي .. وكانت تظن انها ستجنى خيرا من عملها الذى أودى بحياتها .

وأما الموظف الذى يكون مستقيما في نفسه مخلصا في عمله يرى أنه يؤدى أمانة يراقب فيها ربه ويحافظ عليها ويسعى لما يعود عليها بالخير والفائدة فسوف يكون سعيدا في نفسه منسجما مع عمله يحبه موظفوه ويحبه رؤساؤه ويقدره الناس .. وكنتيجة لذلك يكون عمله ناجحا مؤديا الأهداف المقصودة منه .. وهكذا نحن المسلمين وضعت لنا المبادىء في ديننا ودنيانا وهدينا سواء السبيل ..

شيخ :

عاش الربيع بن ضبع مائتى عام شهد حرب داحس وكان عمره مائة عام فكان أبرز فارس فيها وقد اشتهر بالحكمة والشعر والخطابة ..

ولما بلغ مائتى عام قال :

(يا بنى اجمعوا الي بنى ذبيان .. فلما اجتمعوا قال : يا بنى ذبيان آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع .. آمركم بالحلم فانه يحسن المعاشرة والجود فانه يزرع المودة وأمركم بالعلم فانه زين ومحبة في قلوب العالم .. وأنهاكم عن السفه فانه باب الندم ومنزل الذل وأنهاكم عن البخل فانه سلم السباب .. وأنهاكم عن التخاذل فانه آفة العز .. وأنهاكم عن الجهل فانه رزية ومهلكة واسألوا عما أجهلتم فان السؤال هدى

وفي الصمت عن الجهل عمى ، ولا تستصغروا من لا تعرفونه ولا تحسدوا من لا تدركونه ولا تحمدوا غير كريم ولا تبجلوا غير شريف ولا تتفضلوا على غير محتاج فيذهب فضلكم هباء ، ولا تمنعوا السائل فان منعه مقت ولا تقربوا الغيبة فانها قرض مردود ولا سيما أنها تعقب ندما) .

يجب أن نحفظ أبناءنا وبناتنا هذه النصائح حتى يكونوا سادة نجبا ، وحتى يعلموا أننا أمة هذه أخلاقها وطباعها .. زانها الاسلام وصقلها ووجهها وقد كان الرجال الأماجد كذلك يأمرون بالخير والمعروف ويحذرون من أسباب الشر وصفات المكروه .. يدعون الى النفع العام ومكارم الأخلاق ويحضون على تعلم العلم ويبينون فوائده ويظهرون مغبة الجهل ويشرحون أضراره ونتائجه .

ونحن أن قصرنا عن تقليدهم فقد ضربنا في الكسل أشواطا بعيدة وفي الخمول درجات عديدة ..

ولم أر في عيوب الناس شرا   كنقص القادرين على التمام



محبــة الله ورسوله

قال الله تعالي :

(قُــل أن كَانَ اٰبَاؤكُمْ وأبنَـاؤكمْ واخـوَانِكمْ وازوَاجكُمْ وَعشِيرتكم وأموَال اقترفتمُوهَا وتجَارة تخشونَ كَسادهـا وَمساكِن ترضَونَهَا أحبُّ اليكم مِن الله وَرسُوله وجهَادفي سبِيله فتربَّصُوا حَتى يَأتي الله بأمرهِ ... والله لا يَهدِي القَومَ الفَاسِقين ..)

مقـارنة بين أغلى شيء في الدنيـا وبين حب الله ورسوله والجهـاد في سـبيل الله •• فالأب والابن والأخ والزوجـة والعشيرة والأموال المكتسبة والتجارة الرائجـة والمنازل المربحة •• هذه الأشياء الغالية اذا فضلها المـرء على حب الله ورسوله وسبيله غضب الله عز وجل وأنزل عذابه بالناس وكتب عليهم الضلالة والزيغ عـن الطريق السليم •• وأن مـن يمعن النظر بهـذا الأسلوب القرآني العظيم يدرك أهميـة هـذا المعنى •• فاذا وجدت هـذه المحبوبات كانت مغرية للمرء أن يلهو بها ويغفل عما سواها •

ولا يمنع الاسلام مـن التمتع بهـا ولكنه يحذر من الانسياق معهـا ونسيان حق الله وحق رسـوله وتركه الجهاد في سبيل الله لأن ذلك معنـاه محادة الله فهو الذي أعطانا هـذه النعم ، أيستحق أن نغفل عنه أو أن نفضل ما بين يدينا على ما يحبـه ويرضاه •• والأمر المهم في هـذا أن كل من يسمع أو يقرأ هذه الآية يقول : لا ليسوا أحب الي •• ولكن العمل يصدق هذا أو يكذبه وكل يدرك ذلك من نفسـه ••

الجـــــار :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(يا نساء المسلمات : لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شـــاة) ..

دعوة صادقة لطيفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء المسلمات أن يعاملن جاراتهن معاملة حسنة فيها الرحمة والصلة والتهادى والتعاون على الخير بشتي طرقه وأبواب المعروف كثيرة فلا تحقرن جـــارة أن تبعث لجارتها شيئا قليلا أو غير ذى قيمة مثل فرسن الشاة وهو طرف رجلها أو يدها الذى تطأ عليه الأرض وهو عادة لا لحم فيه ولا دهن ولا قيمة له لكن مجرد ارساله للجارة رمز للمحبة والصلة والذكرى .. لأن من يبعثه يبعث اليد اذا وجدها ويبعث الشاة اذا توفرت لديه وقدر أن يهديها أو يتصدق بهـــا .

وهـــذا مبدأ عظيم من مبادىء ترابط المجتمع وتعـــاونه وتفقـــد أفراده لبعضهم ، والمرأة هى جزء مهم في الحياة عليها تعتمد الأسرة في البيت وما حوله وتدل التجارب الآن أن سيدة البيت اذا كانت حسنة الأخلاق طيبـــة القـــلب خالية من الحسد والغيرة أحبها من في البيت وجيران البيت وزائروه وعارفوه ، فهى تفيض على الجميع مـــن روحهـــا وتســـاعدهم بما تستطيع وتقضي على مشكلاتهم ولا تثير ما كمن من الشر والفتن ، وبعكس كل ذلك المرأة الفاحشة البذيئة يكرهها أهلها وأولادها وكل من عرفها ..

وأقرب مثل لأهمية دعـــوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الجارات اذا كان فيهن امرأة صالحة صلحن كلهن والا تباعدن واختلفن فلو أن أحـــد أطفالهن لطم الآخـــر أو أغضبه قامت قيامتهن .. وتقطعت أواصر المحبة بينهن وحصلت الجفوة والبغضاء .. والعاقلة لا تقيم وزنا لخلاف الأطفال ولا تـــأبه لما يجرى بينهم الا بحدود العقل وتأديب الأطفال ..

أيها السيدات المسلمات :

هــذه دعوة لكن خاصة وأنتن أهل للمكارم والأخــلاق فكن جارات متحابات متعاونات على الخير مريحات لأزواجكن وجيرانكن •

مــوت الفجــأة :

قال البستى :

لا تحســبن ســرورا دائمــا أبــدا   مــن ســره زمن ســاءته أزمــان
لا تغتــرر بشــباب رائــق خضــل   فكم تقــدم قبــل الشيب شــبان

العاقل الفطن هو الذى يفكر فيما هو فيــه من حــال وينظر في الأمس واليوم وغــد •• والسفيه الجاهل هو الذى يأكل كما تأكل الانعام لا يفكر الا فيما يهيء لنفسه من طعام وشراب ومسكن وملبس •

والسرور لا يدوم كما لا يدوم الحزن ولا يبقى في هذا الوجود ســوى الله عز وجل •• وكثير من الناس حينما يعطيه الله خيرا •• ويديم عليه نعمــة وسرورا يظن أن ذلك دائم لا يحول ولا يزول •• أو انه يخص به دون غيره أو أنه قوى عزيز وغيره ضعيف ذليل •• أو أنه شاب وغيره شيخ ولم يعــلم أن الزمن يدور ، وأن مــن سره اليوم سيحزنه غــدا ، ومــن أســعده يوما سيشقيه أياما ولا عبرة بالقوة والشباب أو الضعف والشيخوخة •

ومما يصدق ذلك أنه ورد في بعض الآثار أنه يكثر في آخر الزمان موت الفجأة وقد حصل ذلك في زمننا اليوم فصار الرجل القوى الشــاب يموت في لحظة دون أسباب والرجل العزيز الشريف تختطفه المنيــة بين عشية وضحاها وقد علل أسباب هذه الآيــة العظيمة بعض العلماء المدركين أن هــذا الزمن قد كثر فيه الأطباء وتقدم علم الطب ، وطابت الحياة ، وتعددت وسائل المدنية فاعتمد الناس عليها ، وركنوا الى الملذات وغفلوا من الله ، وعن الدار الآخرة

فأراد الله عز وجل أن يؤكد لهم أنهم لا يملكون من الأمر شيئا ، وأنه اذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون حتى ولا يملكون الوقت لاحضار الطبيب •• ولله في ذلك حكمة •• وهو الحكيم العـليم ••

شـــهادة عــدو :

يوجد كتاب اسمه (ثلاثون عاما في الاسلام) ألفــه الفرنسي (روش) وقــد جــاء فيــه : ـ

(اعتنقت دين الاسلام زمنــا طويلا فوجدت هذا الدين ـ الذى يعيبه الكثيرون منــا ـ أفضل دين عرفته فهو دين انسانى طبيعى اقتصادى أدبى • ولم أذكر شيئا من قوانيننا الوضيعة الا وجدته مشروعا فيــه • ثم بحثت عن تأثير هذا الدين في نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالا وكرما بل وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلم بــه الفلاسفة مــن نفوس الخير والرحمة والمعروف في عالم لا يعرف الشر واللغو والكذب فالمسلم بسيط لا يظن بأحــد ســوءا ثم هو لا يستحل محرما في طلب الرزق ولذلك كان أقل مالا من غيره •

ولقد وجدت في الاسلام حل المسألتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم طــرا :

الأولى : قول الله تعالى (انما المؤمنون اخوة)

والثانية : فرض الزكاة •

ان الاسلام دين المحامد والفضائل ولو أنه وجد رجالا يعلمونه النــاس

حـق التعليم ويفسرونه تمام التفســير لكان المسلمون اليوم أرقى العـالمين وأسبقهم في كل الميــادين) •

لا شك أن الفضل ما شهدت بـه الأعداء ولكنا لا نجهل هـذه الحقيقة ويهمنا أن نؤكد أنه لو وجد الاسلام رجالا يعلمونه ويفسرونه ويبلغونه لكان المسلمون كما أراد الله لهم •• ولا سيما في هـذا الزمن الذى حارت فيـه البشرية وما زالت تبحث عن منقذ ولا منقذ لها سوى الاسلام •

العمـل في الدنيـا

قال الله تعالي :

(يا أَيُّها الذين آمنُوا انفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلَ ان يأَتِي يوم لا بَيْعَ فِيه ولا خُلَّةٌ ولا شَفَاعَة والـكَافِرُون هُمْ الظَالِمُون)

المسلمون مدعوون دائما للنفقـة مما رزقهم الله ــ النفقـة في الأعمال المحمودة النافعـة •

وهنا فيه أمر مطلق يعنى الأمر بالنفقة على النفس والعيال لمن يبخل على نفسه وأولاده •• وفيه الأمر بالنفقة العـامة التى يدعو لهـا الاسـلام ••• وبالنفقة على الأعمال الخيرية وعلى الفقراء والمساكين يترابط المجتمع وتطيب النفوس وتتعاون على الخـير ••

ولعل سرا يجهله كثير مـن الناس هو أن الانفـاق يزيـد المال ويرضي نفوس الفقراء فيحافظون عليه ويتمنون بقـاءه ، واذا لم يقع في أيديهم شيء منه تمنوا زواله ولو أن المسلمين أطاعوا ربهم فأدوا الزكاة المفروضة على وجهها وانفقوا نفقة عامة طيبة بهـا نفوسهم لما وجد في المجتمع الاسـلامى فقير ولا محتاج ولكان المسلمون أقـوى العالم وأشـده ترابطـا واجتماعا على الحق وتملكا للعدة واستعدادا للقـاء العـدو •

وفي هذه الدعوة يذكر الله عز وجل المؤمنين باليوم الآخر الذى يتمنى المرء فيــه أن يستطيع البيع والنفقة فلا يقدر ويحاول أن يجد أحدا يشفع له أو صديقا ينفعه فلا يجد ذلك • ولا ينفعــه ســوى ما عمــله في الدنيــا •• فهل ينتبه الغــافلون ••

الجنـــــة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث له مع أصحابه : وكيف يكون صلى الله عليه وسلم فرطهم على الحوض وحرصه على أمته •• قال :

« عجبت لقــوم يقادون الى الجنــة بالسلاسل •• »

شــبه رسول الله صلى الله عليه وســلم الذى يدعى الى الاسلام فلا يستجيب ويوضح له الخير فلا يتبعــه ويهديه الى الطريق السوى فلا يسلكه ويذهب يرمى نفسه في المهالك شبهه بمن يقاد الى الجنة بالسلاسل ••

الجنة أمل كل مسلم ومستقر المؤمنين وسعادتهم يتمناها كل واحد منهم ولكنهم بتباعدهم عن الأسباب التى تقرب اليها كأنما يقادون لها بسلاسل •

وهذا يعنى شــدة امتناعهم وابائهم وعنادهم حتى احتاجوا للسلاسل ، ولكن هذا التعبير يبشر بخير اذ يدل على أن ما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو قوى كالسلاسل يأخذ بحجز المؤمنين حتى يوصلهم الى الجنة •

جعلنــا الله مــن أهلهــا ••

انا شــئت :

(قال رجــل لعبد الملك بن مروان : انى أريد أن أسر اليك شــيئا •• فقال عبد الملك لأصحابه اذا شئتم •• ــ وكان الخلفاء يقولون ذلك لجلسائهم اذا طلبوا اليهم الانصراف ــ فنهضوا فأراد الرجل الكلام فقال له عبد الملك :

قف لا تمدحني فأنا أعلم بنفسي منك ولا تكذبني فانه لا رأى لكذوب ..
ولا تغتب عندى أحـدا .. فقال الرجل أفتـأذن لي في الانصراف قال لـه :
اذا شئت ..)

ليس غريبا على عبد الملك بن مروان أن يصدر منه مثل هـذا القـول
وأن يقف ذلك الموقف لأن المسلمين جميعا مأمورون بهذا الخلق .. ولكنهم
يختلفون في الأخذ بالتعاليم والبعد عنها .. ولو أن مجتمعنا علم بما جاء بـه
الاسلام من أدب الحديث وأدب الاستماع لما وجـد في المجتمع كذابون ولا
مداحون ولا منافقون ومن الغريب أن شنشنة صرنا نسمعها من بعض المتأدبين
يقولون أن هـذه مجاملة وأن من هذه المجاملة أن الكذب والمدح والغيبـة
صـفات تقرض المجتمع وتقضي على العلاقات الودية الأخوية فيـه واذا لـم
يتعامل المجتمع الاسلامى بهذه الصراحة لم يقض على النفوس المريضة التى
امتهنت الأخلاق الرذيلة للافساد بين الناس وزرع الحقد في أنفسهم والوصول
الى أهدافها الدنيئة الخـاصة .

وما ألطف التعبير بـ اذا شئتم واذا شيئت .. انه لطيف يحمـل معنى
العرض والتأدب بطلب الانصراف .. وما أشدها بالنسبة لذلك المنـافق ..
وهو الذى يستحق الانصراف غير مأسوف عليه ..

التوحيـــد :

لشوقي نثر لطيف صـاغه بشاعريته فجاء شعرا منثورا .. ومنه هـذه
القطعة يخاطب بهـا من يتـابع الملاحدة ..

(قم الى السماء تقص النظر ، وقص الأثـر ، وأجمع الخبر والخبر ..
كيف ترى أئتلاف الفلك واختلاف النور والحلك ، وهذا الهواء المشترك ..
وقف بالأرض واسألها من زم السحب وأجراها ورحل الرياح وعراها ومـن
أقعد الجبال وأنهض ذراها ومن الذى يحل حباها ــ فتخر له في غـد جباها ؟
أليس الذى بدأها غبرات ثم جمعها صخرات ثم فرقها مشمخرات ؟ ثم سـل
النمل من أرقها خلقـا ، وملأها خلفا وسلكها طرقا تبتغى رزقا .

وسل النحل مـن ألبسها الحبر ، وقلدها الابـر ، وأطعمها صفو الزهر وسخرها طاهية للبشر ؟ •

قد نبذت الذلول المسعفة وأخذت في معلمى الفلسفة على عشواء مـن الضلال معسفة •• أولا فخبرنى الطبيعة مـن طبعها ، والنظم المتقـاومة مـن وضعها ، والحياة الصانعة من صنعها والحركة المدافعة من دفعها ؟ •

عرفنا كما عرفت المادة ولكن هدينا وضللت الجادة أتينـا العناصر مـن عنصرها ، ورددنا الجواهر الى جواهرها ، أطرحنا فأسترحنا ، وسلمنا فسلمنا وآمنا فأمنـا ، وما الفرق بيننا وبينك أنك قد عجزت فقلت : سر من الأسرار وعجزنا فقلنا : الله وراء كل سـتار ••)

كلام واضح جميل ، يهمنى هنا منه أمران :

الأول : هـذا الأسلوب المسجوع الذى صـاغ به شوقى هذه القطعة الأدبية ترى ماذا يقول عنـه بعض الأدباء اليوم الذين أصـبح السجع عندهم عيبـا والبعد عنه منقبـة •• حتى ضاع السجع ولم نجـد عنـه بديلا •

الثانى : هذا النقاش المقنع المفحم في موضوع الوحدانية ، من شـوقى الشاعر ، وبالمقـابل يتصور كثير مـن الشعراء أن بينهم وبين التوحيد حجابا وأنهم انما وجدوا للكلام ولنظمه فقط •• فهل يمنع الشعر من العلم والتوحيد ••• بكل تأكيد : لا ••

الفتنه جزاء من خالف أمر الله

قال الله تعالى :

(فليَحْذَر الذين يُخالِفُونَ عن امرِهِ ان تُصيبهُمْ فِتْنَةٌ أو يُصيبَهُمْ عَذَابٌ اليمْ .)

أمر الله واضح وطريقه مستقيم يعرفه كل ذى لب ، وطبيعة البشر تدل عليه وتميل اليه وقد أوضحه الوحى والرسول حتى غدا معروفا لكل العالم .. وتتيجة لذلك جاء هذا التحذير للذين يخالفون أمر الله .. ان الجزاء صعب لا يقوى عليه الناس فاما فتنة تعم البلاد تذهب بهـا النفوس وتضيع المصالح ويزول الأمن والاستقرار وأما بلاء وعذاب شديد يصيب البلاد والعبـاد ..

وهذا أمر مشاهد في الحياة فكل من بعد عن الله وكل من خالف أوامر الله أصابه أثـر ذلك فضعفت شوكته وتفرقت كلمته وسلط عليه أقل أعدائه قـوة وأبعدهم عن النصر والتسلط ولكنه يأتى بسبب البعد عن الله وعـدم السير على نهجه وتحكيم كتابه والعمل بتعاليمه وعلى المسلمين الذين يشكون اليوم من الفتن والبلاء أن يراجعوا أنفسهم ويروا مـدى تمسكهم بأمر الله والعمل بـه قولا وعمـلا أنهم لا شك سيدركون الحقيقة وسيجدون أنهم بعدوا عن أمـر الله ونسوا شرعه ولم يطبقوه على أنفسهم ولا على أمتهم .. والله أعـدل الحاكمين ..

الغـرس :

(لا يغرس المسلم غرسـا فيأكل منـه انسـان ولا دابة ولا طير الا كان لـه صدقة الى يوم القيامة ..) .

الزراعة من الأمور الأساسية التى يقوم عليها اقتصاد الأمم وهى أمان من غوائل الدهر وذخر يجده المرء في كل وقت وفي الأيام الشديدة ومقياس استقرار الأمم يتوقف على كثرة غرسها وزراعتها •• والاسلام أولى هذه الناحية عناية فائقة فهو يحض دائما على العمل باليد والسعى في الارث والحرث والزرع والانتاج •• وقد زاد على كل مبدأ وكل أمر متعارف عليه أن جعل فيها أجرا وفيها معروفا وذخرا عند الله عز وجل •• فاذا غرس المسلم غرسا أو زرع زرعا فأكل منه انسان أو حيوان أو طير ولو لم يعلم به الا كان كل ما أكل منه أو أخذ له صدقة •• ولكن بشرط أن تكون النفقة على هذا الغرس حلالا وأن تكون نية صاحبه خالصة •• وهذا دعوة للمسلمين للغرس والعمل والانتاج ووعد لهم بالأجر والجزاء الحسن لقاء ما يؤكل من غرسهم وزرعهم • وشتان بين رجل ماله في البنوك أو في صندوق في بيته لا يعلم عنه حتى أولاده وبين آخر له نخل وعنب وفواكه متعددة وزراعة متنوعة على قارعة الطريق يمر به الناس •• ويأكل منه بعضهم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء •

العقل :

العقل هو ذلك السر الخفى الذى يعرف بأثره وكل الناس تدعيه ولو جلب عقل في السوق لكان أكسد سلعة في الدنيا ولما وجد من يشتريه ••

وهو نور في القلب يفرق بين الحق والباطل وقد قيل لعلي بن أبى طالب رضي الله عنه : صف لنا العاقل ؟ ، فقال : هو الذى يضع الشيء في مواضعه فقيل له : صف لنا الجاهل ؟ ، فقال قد فعلت : أى أنه الذى يضع الشيء في غير موضعه •

وما دام كل انسان يدعى العقل فانه لا شيء يدلنا على الحقيقة سوى الأثر الذى يحدثه العقل وسنعرض هنا علامات تدل على توافر العقل عند الانسان ـ كما وردت في بعض الآثار وعلى كل انسان أن يعرض نفسه وعليه يدرك حجم عقله •

آثار العقل الأخذ بالحزم في كل الأمور مع تدبر العواقب وترك الأماني والتعليلات والتوادد الى الناس ومداراتهم والحيـاء والصبر وحسن الخلق وصدق الفراسة ومخالفة هوى النفس والاعتبـار بحوادث الزمان والاعتدال وتوافر النعم والشكر والتواضع ..

الاســـلام :

المنصفون من أعداء الاسلام يعترفون دائما بأن الاسلام هو دين البشرية وهو الذى يصلح لقيادتها ولانقاذها من حيرتها .

وهــذا قسيس متعصب اسمه (اسحاق تيلز) كان في يوم من الأيـام رئيسا للكنيسة الانكليزية يكتب عن الاسلام فيقول :

(الاسلام ينشر المدنية التى تعـلم الانسان ما لم يعـلم والتي تقـول بالاحتشام في الملبس وتأمر بالنظافة والاستقامة وعزة النفس فمنافع الاسلام لا ريب فيها وفوائده من أعظم أركان المدنية ومبانيها) ..

ليت المسلمين اليـوم يجمعون آراء اسـلاف الغربيين فينشرونها لهم ويعرضونها في مجتمعاتهم حتى يدركوا حقيقة الاسلام وحتى لا يبقى لأحـد منهم عذر اذا بلغته الدعوة من أجداده وأهل دينـه .

ولا سيما في هــذه الفترة من الزمن التى يبحث العالم فيها عن منقـذ ولا منقـذ لهم سـوى الاســلام ..

* * *

الرحمـــة

قال الله تعالى :

(فَلَمَّا ذَهَبَ عن ابراهِيم الرَّوعَ وَجاءته البُشرَى يَجَادِ لنَا في قوم لُوطٍ .. ان ابراهيم لَحليم أَواهُ مُنيب ..)

في قصـة قوم لوط وأعمالهم الخبيثـة يعرفها الجميع والتى استحقوا بسببها العـذاب الأليم من الله عـز وجل •• في هـذه القصة عبر ومواعظ كثيرة •• وهنا يبدو ابراهيم بكامل صفات النبوة وهى الرحمة والعطف على الناس حتى في أحرج الظروف لقد ارتاع ابراهيم عندما دخل عليه قوم أنكرهم فلم يتعود أن يرى مثلهم ، وقد خاطبهم بالسلام وسارع الى تقديم الضـيافة لهم ولكنهم لم يأكلوا فزاد خوفه واستغرابه ولكنهم أخبروه وبشروه بولـد يولد له •• ولما أفرج روعه التجأ الى ربه يسأله ويرجوه أن يعفو عن قـوم لوط وأن يتوب عليهم ••

وهذه صفة الأنبيـاء جميعا فقد جاءوا لهداية البشر ولاخراجهم مـن الظلمات الى النور •• لكن قوم لوط قد اجترحوا من الاثم وعاقروا من عمل الفواحش ما لا مجال معـه لرحمة ولا لقبول شـفاعة •• فأنزل بهم العذاب وجعل عـالي بلادهم سافلها •• وأهلك جميع مـن فيها •• وهـذه نتيجـة المعصـية والفجـور ••

منـع الأذى :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين) •

جزاء كبير لعمل صغير في نظر العين •• ونهاية حسنة لهذا الرجل الذى قطع شجرة في طريق المسلمين أن العمل صغير حقا ولكنه يعنى مبدءا من مبادىء تعاون المسلمين وتآلفهم وتعاونهم على الخير وحد بهم على بعضهم ، حتى أن الرجل ليزيل الشجرة أو الغصن من الشجرة الذى يظن أنه يعترض طريق المسلمين ويؤذيهم وما بالك برجل يفكر في صغار الأمور انه سيكون من باب أولى قد طبق كبارها وعمل بتعاليم دينه ولم يحقر هذا العمل بل سارع الى ازالة هذه الشجرة لأنه رأى انها معترضة طريقهم وقد تؤذيهم • وانطلاقا من هذا المبدأ فأي أمر يضر بالمسلمين يجب ازالته وأي أمر ينفعهم يجب الابقاء عليه ولا يحتاج هذا العمل النبيل الى تكليف خاص أو توظيف لأناس دون غيرهم بل المسلمون يد واحدة وقوة متكافئة وأجزاء مجتمعة في جسد واحد •• هدفهم الخير وأملهم رضا الله ونيل جزائه •••

والله شكور حليم ••

عبارة :

نقل السيد / أمير علي في كتابه (تاريخ الاسلام) انه كان يكتب على مدخل كل مدرسة في الأندلس هذه العبارة :

« الدنيا تستند على أربعة أركان : علم الأفاضل وعدل الأكابر ودعاء الصالحين وجلال الشجعان » •

المدرسة هي الخطوة الأولى للحياة وهي المعين الذى يشرب منه الصغير ويعل وينهل حتى يرتوى فاما ماء نمير ينفعه واما علقم يقطع امعاءه •

وكل الحياة في المراهقة والشباب والكهولة والشيخوخة ترتكز على ما يتلقاه الطالب في مدرسته وما يلقنه له أساتذته ومشائخه •

ومهما حاول المرء التخلص مما حفظه أو رآه أو حدث بـه في المدرسة لا يمكن أن يستطيع أو يبعـد عنـه .

ومن أجل ذلك اهتم المسلمون بالمدرسة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم المعلم الأول وقد نصح لأمتـه وأدى الأمانة وبلغ الرسالة ثم خرج علماء أبطالا أدوا دورهم في الحياة فكانوا خير خلف لخير سلف ـ وما زال المسلمون يولون كل عنايتهم للمدرسة ويعنون عناية فائقة بالمدرسة ..

وعندما انتشر الاسلام وبلغت الأمـة الاسلامية الشرق والغرب كانوا يعلمون الناس العلم أو يهدونهم الى الطريق السوى وكانوا يهتمون بالمدرسة أيضا وقد ازدهر العلم في الأندلس ازدهارا لم يشهد لـه التاريخ مثيلا حتى دونت العلوم وأخذ الغرب عن المسلمين كثيرا من العلوم المتطورة اليوم .

وهذه العبارة التى يكتبونها على باب كل مدرسة في الأندلس تدل على العناية بالعلم والحرص على تلقـين الطلاب ما ينفع وما يربيهم تربية صـالحة تجعلهم رجالا يعتمد عليهم في المستقبل وهكذا كلما عظمت العنـاية بالمدرسة تخرج رجال عقلاء مدركون وكلما ضعفت العناية بالمدرسة وبمن فيها وأهمل اختيار المدرسين ضـاع العلم وتخرج الطلاب أجساما دون روح لا ينفعون أنفسهم ولا ينفعون غيرهم ..

العـــلم :

قال أحد حكماء المسلمين :

« تعلموا العلم فلأن يذم الزمان لكم خير من أن يذم بكم » ..

هذه الحكمة فيها الحض على تعلم العلم وبيان فضله حتى على أسـوأ الفروض وهى : ألا يسعف الزمان العلماء فلا يكونون سعداء ولا تساعدهم الحياة .. أو يقوى عليهم الزمن .. وهذا الافتراض مبنى على دعوى تقول أن العلم والغنى ضـدان ..

فيقول الحكيم على هـذا الفرض فالعلم خير من أن يكون الرجل ذمـا للزمان ونقطة سوداء في جبين الأيام •• فالجاهل لا خير فيـه وهو ذم للزمان الذى يعيش فيه والعالم كله خير اذا عمل بما علم ولن يكون العلم سببا للشر الا في القليل النادر وهذا لا يقاس عليه ••

وعلى من أراد أن يكون الزمان له والمستقبل في جانبه أن يقبل على العلم باخلاص ويتفانى في ادراكه ويحرص على العمل بما علم مهما قل •• ويحاول نفع الآخرين وسوف تأتيه الدنيا وهى راغمة ••

الرجال والنساء سواء في الحقوق والتكاليف

قال الله تعالى :

(وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَهوَ مُؤمِن فأُولئِكَ يَدْخُلونَ الجَنّة ولا يَظلِمُونَ نَقِيرًا ..)

الله عز وجل هو الحكم العدل •• لا يظلم الناس مثقال ذرة بل يتجـاوز عنهم ويغفر لهم ويقبـل توبتهم واعتذارهم وحتى يكون مبنيـا على ما يعمله المرء بنفسه فقد جعل على كل انسان ملكين يحصيان عليه أعمال الخير وأعمال الشر •• وهما لا يغفلان ولا ينامان وفي الدار الآخرة يوضع الخير بكفة والشر بكفة أخرى أمام الخلق أجمعين فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم •• وهنـا جرى التعبير بالنقير للمبالغة بالدقة وعدل الله عز وجل •• فالنقير هو ذلكم النقرة الصغيرة في ظهر النواة •• وهى من أصغر الأشياء الموجودة في العالم •

ويلاحظ في هذه الآية الكريمة التعبير بلفظ الذكر والأنثى والعدالة ..
وقد قيل في سبب نزول هذه الآية أن نساءا أتين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن له : أن الخطاب في القرآن يأتى باسم المؤمنين فقط دون المؤمنات فأنزل الله هذه الآية وفيها الذكور والأناث .

أما الصالحات فكل انسان يعلمها وقلب المرء دليله والخير ما أطمأنت اليه النفس وطابق شرع الله والاثم ما حاك في النفس وكره صاحبه أن يطلع عليه الناس .. فمن كان مؤمنا وعمل أي عمل من الصالحات سواء أكان ذكرا أم أنثى فسيتقبل الله عمله ويدخله الجنة ..

النفع والضر :

في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليمه لابن عباس ..
قوله صلى الله عليه وسلم :

(وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف) ..

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك لحظة تمر دون أن يعبد الله أو ينشر رسالته أو يعلم علما أو يأمر بحق ومن ذلك أن ابن عباس رضي الله عنه كان يمشي خلف رسول الله فقال له : يا غلام انى معلمك كلمات .. أحفظ الله يحفظك .. أحفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله .. كلمات خفيفة واضحة وخطاب يصل الى القلب لا يحول دونه حائل ومعنى يربط المسلم بربه ويجعل قلبه متعلقا به وحده ومستغنيا عن الناس وفي ذلك كمال العزة والقوة .. واكتمال شخصية المسلم.

ثم الايمان بالقضاء والقدر الذى يجعل المسلم مقبلا على ربه وعلى

الحياة لا يخاف ولا يخشي سوى الله عز وجل فكل الامور بيد الله ولن ينفع ويضر غيره •• حتى لو اجتمع كل الناس من أجل ضرر شخص ولم يرد الله ذلك لم يستطيعوا ولو اجتمعوا كلهم لنفع شخص ولم يرد الله نفعه لم يتحقق ما أرادوا •• فقد كتب الله النفع والضر وحياة كل انســان في الأزل وجفت الاقلام التى كتبت وطويت الصحف التى حفظت ما كتب فيها •• وهذا مــن المعانى التى ينفرد بها المسلمون وتكون عونا لهم على الحياة فلا يجبنون ولا يترددون ولا تقضي عليهم الوساوس والأمراض النفسية والتصورات الوهمية بل يطرد الايمان كل ذلك •

البســـــاطة :

قال « شارل وانير »

« من شاء أن يربى أبنــاءه فلينفث فيهم روح الاعتدال والبســاطة ولا يخش تأثير ذلك في السعادة فــان الاعتدال من أسباب الحصول عليها لأمــن الوسائل المؤدية الى الشقاء والنكد » ••

الاسلام جاء بالتيسير والبساطة وعدم المبالغة بل وسط في كل شيء حتى تدوم للحياة لذتها وحتى يعيش المسلم سعيدا قانعا بما أوتي أن أعطى شــكر وأن حرم صبر اما هــذه الجملة من الرجل الأوروبي فقــد أوردناها لنؤكد لمتبعى المدنية وعاشقى الحيــاة الهينة الناعمة أنهم انما جاءوا بذلك من عنــد أنفسهم والا فــان الغربيين أنفسهم يكرهون المدنيــة الحديثة والانغماس في اللذات والاقبال على المتع والتنعم بالمحدثات ولعل أصعب مشكلة تقابل كل انسان هى تربية الأولاد •

والطريقة السليمة لضمان سعادتهم ونشوءهم على الرجولة وبقائهم على الفضيلة هــو تعويدهم على البســاطة والاعتدال في القول والعمــل والأكل والشرب والنوم واللعب •• أما أولئك الذين ـ اذا أدركوا حظا في الدنيا ـ جــاءوا بما يعرف وما لا يعرف وأطلقوا لأولادهم العنــان حتى لا يبقى شيء

تحدثهم به أنفسهم الا هيئوه لهم ولا تقع أعينهم على حديث الا أحضروه بين أيديهم ان ذلك يجعلهم ناعمين لا يستطيعون مقابلة الحياة وطامعين لا يشبعهم شيء في الدنيا وعلى فرض استمرار ذلك لهم فانه يحول بينهم وبين العلم وبين العيش مع الناس اما لو تخلف ما اعتادوه قليلا فستقوم قيامتهم وينتهون من المجتمع •• فليحذر الذين يسلكون هذا المسلك ويدعون انهم يريدون اسعاد أولادهم وما علموا انهم يضعون شقاءهم بأيديهم ••

الصراط المستقيم

قال الله تعالى :

(وانَ هذا صِراطِي مُسْتَقيماً فاتبِعُوه ولا تَتبِعُوا السُبَلَ فَتفُرقَ بِكُم عَنْ سَبِيلِه .)

سبيل الله وطريقه هو طريق الحق وهو واضح مستقيم هو طاعته وطاعة رسوله واتباع أوامره واجتناب نواهيه وأتيان أنواع الخير والبعد عن كل الشر •• وهذا أمر واضح لكل انسان •• أما السبل الأخرى فانها كثيرة معوجة وأصحابها كثيرون مختلفون لا يجمعهم مبدأ وهذه السبل كلها لا تؤدى الى غاية بل عاقبتها الندم والأسي •• وهذه وصية من الله لعباده المؤمنين لاتباع سبيله والحذر من البعد عنه أو ضياعه باتباع سبل أخرى فان من يسلك مسالك الباطل سيضل عن سبيل الحق •

ولقد شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية شرحا عمليا لأصحابه فقد كان جالسا بينهم فخط خطا واحدا مستقيما ثم قال هذا صراط الله •• وخط حوله خطوطا كثيرة ثم قال هذه خطوط كثيرة على كل واحد منها شيطان •• فمن اتبع الخط الواحد فقد نجا ومن اتبع خطوطا أخرى فقد هلك •

مــن أبى :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى : قيل ومن يأبى يا رسول الله ؟ ، قال : من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى) ..

من الناس من يكون الاباء طبيعة ثابتة فيهم وخصلة من خصالهم لا تتغير ولا تتبدل حتى انهم يأبون مصالحهم ويهلكون أنفسهم بابائهم هذا .. وقد جاء الاسلام لصالح البشر وفتح لهم الطريق وأرسل الله لهذه الأمة رسولا رحيما بها حريصا على مصالحها .. وكان سببا لدخول الجنة لكل أمته الا من أبى هو بنفسه أن يدخل الجنة والاباء هذا لا يكون برفض الجنة صراحة فالجنة هدف لكل انسان ولكن رفضها يأتى بعدم طاعة رسول الله .. والبعد عنه وعن مبادئه .. اما من أطاعه وسار على نهجه وهو النهج القويم فقد وعده رسول الله بأنه سيدخل الجنة ورحمة الله واسعة وفضله عظيم .

وهكذا أيها الاخوة ترون أن أبواب الخير سهلة يسيرة وانه لن يحرم منها الا شقى اختار الشقاء لنفسه ورضيه له طريقا .. والله هو العليم الحكيم ..

مبـــادلة :

مر عبد الملك بن مروان على شيخ كبير فوجده يغرس نخلا فوقف عليه وسلم فرد عليه السلام واستمر في عمله .. قال له يرحمك الله يا شيخ كم عمرك ؟ قال : تسعون عاما ، قال : هل تظن انك ستأكل من ثمرها ؟ ، قال : لا .. ولكن غرسوا فأكلنا ونغرس ليأكلوا ..

فأعجب عبد الملك من رزانته ونشاطه وجوابه ..

ان أمرا طبيعيا أن يكون الانسان محبا للدنيا وسالكا كل الأسباب لبلوغ مراده .. وأن يشب ويشيب معه خصلتان حب الدنيا وطول الأمل ..

وذلك لحكمة أرادها الله عز وجل ليبقى النوع الانساني ولتبقى الحياة عامرة .
ولكن هذا الشيخ الذى أعجب به عبد الملك قد أتى بمبدأ جديد وهو مبدأ المبادلة فمن قبلنا غرس لنا وهيأ لنا الحياة وقدم لنا شيئا جاهزا سائغا أكله وشرابه وعلينا نحن أن نقوم بدورنا في الحياة فنغرس كما غرسوا ونزرع كما زرعوا ونبنى كما بنوا .

ويصبح هذا واجبا على كل انسان أن يؤديه حتى يقوم بدوره في الحياة ولا يبقى عضوا أشل في مجتمعه وكل يعمل حسب استطاعته ومعرفته حتى يكتمل البناء ..

الصديق :

قال بشار بن برد :

اذا كنت في كل الامور معاتبا	صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
فعش واحد أوصل أخاك فانه	مقارب ذنب مرة ومقارفه
ومن ذا الذى ترضي سجاياه كلها	كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

هذا نوع من الصداقة الهادئة الرزينة التى تنظر الى الواقع ولا تعيش في الخيال فان الصداقة مهما بلغت من القوة والوفاء والاخلاص لابد أن تحصل فيها أخطاء وتقع هنات وتحدث مكروهات ولا بد لكل صديق أن يحدث منه ما يغضب صديقه ويكدره وما يعتبر ذنبا بالنسبة للصديق ..

ومن أجل الابقاء على الصداقة لابد من غض النظر والتجاوز وابعاد العتاب وتجنب تتبع الزلات وتعداد العثرات .. ولابد من تحمل الهفوات الصادرة من الصديق والصبر عليها وتقبلها وتعليلها بأحسن العلل والا فسيبقى المرء وحيدا لا صديق له .. فمن من الناس مبرء من العيوب ؟ ومن منهم ترضي كل خصاله وتكمل كل فعاله . وتتم اخلاقة ؟ إن هذا النوع لا يوجد .. وان وجد فهو قليل نادر ..

الحيـــاة الدنيـــا

قال الله تعالى :

(واضرِب لهُمْ مَثَلَ الحَيَـــاةِ الدنيَا كماء انزلنَـاهُ مِنَ السَمَاءِ فاختَلطَ به نبَاتَ الارْض فَاصبَح هَشِيماً تَذرُوه الرِيَاح وَكان الله عَلى كل شَيء مُقْتَدِرا ..)

ضرب الله أمثالا لهذه الحيـــاة كلها تدل على أن الحيـــاة فترة من الزمن تبدأ ضعيفة ثم تقوى ثم تضعف سواء بالنسبة للحيوانات أم الجمادات وكل الأمثال الواردة في الحياة تأتى بأسلوب مؤثر واقعى ملموس يهتز لـــه البدن عند سماعه ويتصوره تصورا تاما لا يخفى عليه منه شيء •

وهذه الفترة جعلت فرصة لابن آدم ليعمل فيها ويزرع خـــيرا ليحصده هو في الآخرة والا فان الله غنى عنه لا يحتاج اليه ولا الى عمـــله •

وهـــذا المثل الذى ضربه الله مثلا للحياة بالماء الذى ينزل من السماء الى الأرض فيختلط بالنباتات التى توجد فيها فتهتز الأرض وتنبت ورقا خفيفـــا ضعيفا ثم يقوى ويشتد ويبدو جميلا للناظرين ومتعة للآكلين وسرورا للمالكين •• هذان دوران للضعف والقوة •• ثم يؤول الى الضعف مرة ثانية فيصـــفر وييبس وتنكسر أعـــواده حتى يصـــير هشيما كالرماد فتذروه الرياح وتحمله يمينا وشمالا فلا يبقى له أثـــر وفي فترة وجيزة ينتهى كل ما كان من النضرة والبهجة والجمال والنعمة وهذه قدرة الله عز وجل وهـــذا المثل ينطبق تماما على حياة المرء فهو يولد ضعيفا ثم يقوى ويشتد ثم يضعف مـــرة ثانية حتى يهرم وينتهى من الدنيا ••

نســاء المهــاجرين :

عن عائشة رضي الله عنهــا قالت : « يرحم الله نســاء المهاجرين الأول لما أنزل الله (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) شققن مروطهن فاختمرن بها » ..

كانت النساء في أول الاسلام يكشفن وجوههن على عادة العرب قبــل أن يفرض الحجاب .. وكان ذلك يقتصر على الوجه والكفين فقط .. وعندما سمعت نساء الأنصار هذه الآية ســارعن الى شــق مروطهن والاستتار بها فسترن وجوههن .. لم ينتظرن حتى يعللن الأمــر ، ولم يترددن حتى يفسرن والاختمار بل فهمنه فورا لانهن كن مستترات لم يبد منهن ســوى وجوههن وسارت النساء على ذلك دهرا لم يتغيرن ولم يتبدلن ولا يزال في الدنيا خير .. ولكننا رأينا في زمننا اليوم نساء يشققن مروطهن من أعلاها وأسفلها وبدل أن يختمرن بما شققن يرمينه ويبقى مكانه مفتوحا .. لقد سرت عادة الشق فيهن حتى لم يبق لمروطهن وجود وحتى صار الرجل يرفع بصره ويخفضه يبحث عن اللباس فلا تقع عينه الا على جسد ولحم أهانته المدنية وابتذلته يــد التجديد بعــد أن كان مكرما محترما .. وويــل للذين يعبثون بالنســاء فيدفعونهن للخروج من حشمتهن واحترامهن .. انهن يفهمن أن أحب شيء الى الانســان ما منع ... وما دامت المرأة متحجبة مصــونة فقلوب الرجال معلقــة بهــا ونفوسهم متطلعة اليها اما اذا ابتذلت فانها ستسقط من عيونهم وستكون كأي بضاعة معروضة لكل الناس ..

وأكرم بالمرأة أن تكون بضاعة مهانة وأن تنحدر من منزلتها العالية الى الأسواق وقارعة الطريق ..

الرجــــال :

قال الحسن البصري :

(الرجال ثلاثة : رجــل كالغذاء لا يستغنى عنــه .. ورجــل كالدواء لا يحتاج اليه الا حيناً بعد حين ، ورجل كالداء لا يحتاج اليه أبدا) ..

هؤلاء الرجال عندما تكون الموازين ثابتة عــادلة في حكمها •• اما اذا اختلت قواعدها والتوت كفتاها وتغيرت نظرة أصحابها فــان تعريف الرجال يختلف والحكم عليهم ينبنى على معايير جديدة ومقاييس مقلوبة •

أما الثلاثة رجال الذين أرادهم حسن البصرى فأولهم العالم الذى يغذى الروح ويطعمها بما يأتى من الامور وبما يقول مــن الكلام النافع فلا يتكلم الا بخير ولا يعمــل الا ما يصلح للقــدوة •• وكذلك الصديق العاقل اللبيب الذى يدرك الامور ويقيس المستقبل بالحاضر ويحكم على الامور بمقدماتها ويمحض صديقه النصح ويدله على ما ينفعه ويسعده ••

والثانى : هو الرجل الذى يحدث الناس يســليهم ويروح عن نفوسهم بظرفه ولطف حديثه وهذا يحتاجه الانسان حيناً بعد حين ••

أما الثالث : فهو الذى لا يأتى بخير •• ان تكلم تكلم بالغيبة والنميمة أو بما يجر الى الشر والفتنة أو يهدى الى الفجور •• وان سكت كان نفســا خبيثــة لا تنفع نفسها ولا تطيع ربها ووجوده ثقل على النفس وزهد في الخير ودعوة للكسل والخمول ••

والمهم في الأمر أن يكون الانسان نقــادا وقــاد الذهن يفرق بين الغث والسمين ويعرف الناس بلمحة أو حديث قصير حتى يستطيع اختبار الجلساء والاصفياء ••

العمــــل :

كان المأمون وهو المعروف بأدبه وحصافة رأيه وقوة ادراكه حينما يريد أن يوصي أحدا أو يأمره بالجد يقول له :

(الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما) •• انها جملة تنطق بالحكمة وتدفع الى التفكير ثم العمل فالليل والنهار لا ينفكان ينقلبان وهما يقرظــان

من عمر ابن آدم وهــو أحيانا وأحيانا ينسي أنــه يدرى •• وهما لا يتغيران ولكنهما لا يخلف دورتهما ولا يتركان عملهما •• واذا كان العاقل يعــلم ذلك فلا أقل من أن يعمل فيهما كما يعملان فيه حتى يقابل عمــله بعض عملهما •• وينال من الحياة جانبا يقابل به ما يذهب من عمره أما الغمر الجاهل فانه لايحس بتقلب الليل والنهــار وكأن الأمر لا يعنيه ولا يخصــه شيء مما يجرى حوله وما علم المسكين أن هذه حياته وتلك عمره يتقلب فيهما الليل والنهار ويطويان صفحات لا تعــود أبدا ••

ولا شك أن العاجز البائس هو الذى لا يستطع الانتفاع من ليله ونهاره ويمضيهما بالكسل والخمول والتقلب على الفراش أو الجلوس على الوسائد • وسيندم حينما لا ينفع الندم ••



أعراض المسلمين

قال الله تعالى :

(ان الَذِين يُحِبُّون ان تَشِيعُ الفَاحِشَة في الذِين آمنُوا لهُمْ عَذَابِ أَليم في الدُّنْيَا والآخِـــرَة ..)

قسم من الناس طبع على الشر وحب اشاعته بين الناس فهو ميال للشر دائما يسعى اليه ، ويبحث عنه في كل مكان لا يهنأ له بال ولا يقر له قرار الا اذا أحدث شرا ، ونشر خزيا ، وحمل عــارا ..

يكون سبباً للوقيعة بين المسلمين يفسد عليهم حياتهم ويقلق راحتهم ينم ذاك ويسب الآخر .. ويبدو كأنه يحب الجميع ويسعى لمصالحهم وهو العدو الألد الذى يسعد اذا شقى المؤمنون وتعب أقرب الناس اليه وتفرق المحبون وتباعد الأقربون .. وقد توعد الله هــذا النوع من الناس بالعذاب الأليم في الدنيا بانكشاف سرهم وظهورهم على حقيقتهم ، وازدراء الناس لهم والبعــد عنهم ، وفي الآخرة بالحرمان من الجنة وتذوق أنواع العذاب الشديد .

ان هذا ارشــاد للمؤمنين الى التحاب والتراحم والتعــاون على الخير والحرص على ايصاله للغير .. والبعد عن الشر ومحبة وقوعــه .. واذا كان المؤمنون كذلك أسعدوا في دنياهم وأخراهم ..

المجاهرة بالاثــم :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(كل أمتى معافي الا المجاهرين وان من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول : يا فلان عملت البــارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله) .

يؤكد رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيغة العموم أن أمتـه جميعا معافون من العذاب والمؤاخذة على الآثام العادية الا المجاهرين الذين يعلمون خطأهم ويجاهرون بما يعملون مـن الاثام لا يخشون الله ولا يستحون مـن الناس •• فاذا ابتلى أحدهم بخطأ ليلا مثـلا وستره ربه وأخفاه عن الرقبـاء حتى الصباح تأبى نفسه الخبيثة الا المجاهرة بالاثم واظهار المستور واشـاعة الفحش فيعمد الى زميله أو صديقه فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا • فيكشف سره الذى ستره الله ــ ويفقأ عينـه بيده •• وهـذا طبعا يستحق العقوبة والاستثناء من عفو الله ومغفرته الشـاملة ••

لئن كان هـذا نادرا في زمن رسول الله ومن بعده فقد أصبح كثيرا في زمننا وعادة متبعة في وقتنا بل تطور الى أعظم من مجرد الأخبار فأصبح تفاخرا وتمدحا •• ينمق أحدنا الكلام ويبالغ في وصف ما ارتكب من الاثم وقد أقبل على جلسائه بكل جوارحه ، وحركاته ، وهم قد فغروا أفواههم وأقبلوا عليه يستمعون حديثه ويتقنون وصـفه •• ولا حول ولا قوة الا بالله ••

العـلم :

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه :

(تعلموا العلم فان تعلمـه لله خشية وطلبه عبـادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث فيه جهـاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وهو الأنيس في الوحـدة ، والصاحب في الخلوة ، والدليل على الدين ، والمصـبر على السراء والضراء ، والوزير عند الاخلاء ، والقريب عند الغرباء) ••

كل هذه الفضائل في العلم •• ولو أخذنا نعدد مناقبه وفوائده لطال بنـا الحديث وما وصلنا الى نهاية •• فالعلم خير كله •• وكل الناس يطلبون العلم ، وكلهم يعلمون فضله ، وحاجتهم اليه ، لكنهم يختلفون في نيتهم وعقيدتهم ، فعندما كان المتعلمون يخلصون النية لله ، ويتأدبون بآداب طالب العلم كانوا

يدركون العلم وينتفعون منه ، ويبرزون فيه ، حتى يكونوا مشاعل خير ، وهدى ، يرشدون الناس ويدلونهم على الخير ، لا يوجدون في مجتمع الا كانوا كالمصابيح تضيء الظلام ، وتجلب النور ، وتدعو الى السرور • وعندما تحولت الأمور الى مجرد عادة ، وأصبح القصد الحصول على وريقة توضع في درج أو تعلق على جدار قل نفع العلم وفقد أثره ، وعدمت جدواه وأصبح العلماء كغيرهم في مظهرهم وسلوكهم وعلاقتهم بالناس ، وتصرفهم في الأمور • وهذا هو الفاصل في هذا الحقيقة المرة التى تتردد على ألسنة الناس ••

اجماع الحكماء :

(أجمع حكماء العصور الماضية على أن أغنى الناس أقلهم مطالب •• وأفقر الناس من كان عبد شهواته) ••

ان هذا الاجماع سيظل منطبقا على كل عصر في الحاضر والمستقبل •• لكن القسم الثانى منه سيكون أكثر انطباقا في زمننا وما بعده ، لقد تحول الناس اليوم الى شهوات مشبوبه ، لا يحسون الا من بطونهم ، ولا يعقلون الا بجيوبهم •• فهم غرائز في حب الشهوات والاطماع •• يتسابقون الى الملذات ويتدافعون الى اشباع الغرائز والحصول على المشتهيات •• وقد صار هذا ديدنا لكل أحد لا فرق بين كبير وصغير •• ولا غنى وفقير •• فالغنى يسخر ماله لشهواته ، والفقير يستدين ويشترى بالتقسيط حتى يوفر كلما يحلم به أو يفكر فيه ، وهذه ظاهرة اجتماعية خطيرة •• تجعل المجتمع عبدا لشهواته ، غافلا عن التفكير فيما ينفع ويفيد الأمة •• ونتيجة لذلك ستكون الأمة ضعيفة عاجزة عن أداء التزامها العام ••

* * *

صــفات الفقراء

قال الله تعالى :

(للفُقَرَاء الذين أحصروا في سبِيلَ الله لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبَاً في الأرض يَحْسَبُهُمْ الجَاهلُ أغْنِيَاء من التَّعَفُفْ تعرِفُهمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْألونَ النَّاس إلحَافاً ..)

في المال صدقة واجبة يخرجها الغنى من ماله .. وهنا وصف الله الذين تعطي لهم الزكاة والصدقة .. فهم قد حصروا في سبيل الله ومنعوا من الخروج فلا يستطيعون الضرب في الأرض والسفر لاكتساب الرزق .. فهؤلاء هم أحق الناس بالصدقة ..

وهؤلاء الفقراء لا يبدو من مظهرهم وتصرفاتهم أنهم محتاجون أو أنهم فقراء فالجاهل يحسبهم أغنياء لأنهم يتعففون ويترفعون عن السفاسف وتبدو تصرفاتهم كأنهم أغنيــاء .. لكن العــاقل يدرك ذلك منهم بعلامات لهم ومن صفاتهم انهم لا يلحفون في السؤال ولا يعترضون طريق الناس ولا يقفون في وجوههم .. رغم حاجتهم وقلة ذات يدهم وخلو ايدايهم وبيوتهم مما يسددون به رمقهم ورمق أولادهم فالصدقة الى هؤلاء تأتي في موضعها وتؤدى غايتها .

ان هذا النوع من النــاس موجــود في كل وقت وفي كل مكان فهم بين جلسائك وهم بــين جيرانك وذوى قرابتك وعليك أن تتعرف عليهم بطريقتك الخاصة سرا وتوصل اليهم عطاءك سرا دون تفاخر أو اعلان .. وعندها ترضي ربك وتخرج فضل مالك ، ويبارك الله لك بما عندك ..

اليمـين الكاذبة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقـد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة •• فقال رجل : وان كان شيئا يسيرا يا رسول‌الله ؟ فقال : وان كان قضيبا من أراك •• يحرص الاسلام دائما على حقوق المسلمين فيحافظ عليها ويحميها سواء أكانت حقوقا معنوية أم حسية وسـواء أكانت حقوقا مالية أم اعتبارية ولذلك حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عـن الوقوع في اليمين الكاذبة التى تتسبب في ضـياع حقوق المسلمين •• وهـذه اليمين تكون بين الرجلين وبين الجماعة في الحديث والبيع والشراء •• وتكون عند التخاصم لدى القاضي وطلب البينات فيتساهل أحـد الخصمين ويحلف يمينـا ليكسب القضية ــ وما علم انه بذلك يستحق عقوبة كبيرة هى النار وتحريم الجنة عليه •• وهذا التشديد في الجزاء يقصد منه ابعاد الناس عن أكل أمـوال الناس أو اقتطاع حقوقهم •• حتى ولو كانت عـودا صغيرا من شـجرة الأراك التى تستعمل أعوادها في السواك •• ما دام صاحبه غير راضي وغير آذن به •• ولا شـك أن هـذا المبدأ عظيم في الاسلام يدعـو لاحترام حقوق الآخرين •• وعـدم التحـايل على اغتصابها والحصول عليها لأن المحـاولة تكون في الغالب سرية اذ لا يعلم الغيب الا الله •• وقد يتظاهر أحد الخصمين بالصدق والزهد وهو في حقيقة نفسه كاذب يعـلم ذلك ويتظاهر بضده •• فجعل الله الجزاء منـه يوم القيامة حيث لا يستطيع المرء الانكار ولا التظاهر بما ليس فيـه •• وفي يوم يحتاج فيه المرء الى الخردلة فلا يجدها الا اذا كان قـدم لها في الدنيا •• الا فليحذر الذين يتحايلون لابتزاز حقوق الناس أن ذلك وبال عليهم سيلقون جزاءه بأنفسهم دون غيرهم فليأخذوا أو ليدعوا ••

الدنيـــا :

زار حافظ ابراهيم الشام ورأى جمالها وحسن مغانيها وكان جاء اليهـا للاستشفاء فأقيمت لـه حفـلة لاكرامه فاهتز اريحيـة وشعورا وقال قصيدة

مشهورة أجاد فيها ووصف الجمال الطبيعي الذى جعله الله في تلك البلاد •• وبكى على ماضي البلاد الاسلامية ثم ختم القصيدة بهذه الأبيات :

ولى الشباب وجاوزتني فتونه ... وتقدم السقم بعد السقم اركاني
وقد وقفت على الستين أسألها ... أسوفت أم أعدت حر أكفاني
شاهدت مصرع اترابي فبشرني ... بضجعة عندها روحي وريحاني
كم من قريب نأى عني فأوجعني ... وكم عزيز مضي قبلي فأبكاني
اني مللت وقوفي كل آونة ... أبكي وانظم أحزانا بأحزاني
اذا تصفحت ديواني لتقرأني ... وجدت شعر المراثي نصف ديواني

هذه هي حقيقة الحياة ، لقد قال حافظ قولا صادقا لا تكلف فيه ولا ادعاء •• وهو يحكي حاله وهي حال كل الناس والعاقل هو الذى يدرك هذه الحقيقة ويعلم نهايته ونهاية غيره ••

السكوت من ذهب :

قال أبو الدرداء : « انصف أذنيك من فيك فانما جعل لك اذنان اثنتان وفم واحد لتسمع ضعف ما تتكلم » ••

كل الناس يرددون الحكم التى تدعو الى السكوت والاقلال من الكلام مثل : « اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب » •• وهذه الحكمة التى تدعو الى السكوت والاقلال من الحديث أتت بدليل حسي وهو أن الله خلق للانسان أذنين وخلق له فما واحد •

وهذا يعنى أن الاستماع أكثر من الكلام •• ولكن الناس جميعا لا يدركون هذا المعنى ولا يطبقون هذه الحكمة بل يكثرون الكلام في الغث والسمين فلا ترى لسان أحدهم واقفا ولا مستريحا ولا ترى جوارحه هادئة مستقرة بل هي تساعد اللسان على ابلاغ ما يقول وما يتحرك به • ولو انهم قللوا من كلامهم وأكثروا من استماعهم وفعلهم لكانت النتيجة راحة لهم وسلامة لغيرهم ، ولأعطوا أنفسهم فرصة للتفكير والتعقل والاستفادة مما يقوله الآخرون ••

الانســـــان

قال الله تعالى :

(اولَمَ يرِ الا نسَان ان خَلقْناهُ مِنْ نُطفَة فإذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينْ ..)

هذا الانسان القوى المتكبر الذى يظلم الناس ويغمط حقوقهم ويعتدى عليهم ويتعالى على من سواه •• انه خلق من نطفة صغيرة وضيعة تخرج مــن مكان وضيع وتستقر في مكان صغير •• وكل ذلك بقدرة الله وتدبيره وحسن صنعه •• ولكن ذلك الانسان يبلغ به الاعتداء والتجاوز الى أن يكون خصيما معاندا للحق ولمن جــاء بالحق مستكبرا عن الخير ، معرضا عنه غير مستجيب للدعوة الى الله ••

يعاند ويلج في عناده ويتكبر ويتيــه بكبريائه ، وهو في هــذه الحــال لا يتذكر انه خلق من هذه النطفة وبتلك الكيفية فهو ضعيف حقير لا قيمة له ولا وجود له في الحياة ولا أثــر له الا بالخير والهــدى والايمان بما جــاء عــن الخــالق •

ولو انه فكر قليلا لأدرك هذه الحقيقة لكنه يتمادى في أعراضه ويلج في عناده حتى يخاصم مــن خلقه ويسائله ويوجه اليه الأسئلة •• والله عــز وجل يقول له : هون عليك وارجع الى أقرب شيء لديك •• انه نفسك تذكر أصلها ومخرجها ومألها •• وفي ذلك الجواب والقناعة الكافية •

حـق المسـلم :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« حق المسلم على المسلم ست ، اذا لقيته فسلم عليه ، واذا دعاك فأجبه ، واذا استنصحك فانصح له ، واذا عطس فحمد الله فشمته ، واذا مرض فعده ، واذا مات فاتبعه » ..

العلاقة بين المسلمين علاقة قـوية مترابطة تبدأ من العقيدة التى يجتمع عليها كل مسلم ثم تنتهى بهذه الأخلاق الاجتماعية العـامة .. وهذه مميزات خص بها المسلمون ودعوا اليها وطلب منهم العمل بها .. فاذا التقى المسلمون سلم بعضهم على بعض ورد الباقون وبالسلام الذى يعنى المحبـة والوئـام تنفتح النفوس ويبدأ التعـارف ويحصل الاستعداد للتفاهم .. فاذا توطدت العلاقة ودعـا أحد المسلمين الآخر وجب عليه اجابته لأن زيارة بعضهم لبعض تورث المحبة وتذهب الجفوة ويحصل بها الاتفاق والتعاون .. فاذا تطورت العلاقة الى صداقة خاصة فجاء أحد الصديقين يستنصح صديقه ويعرض لـه مشكلته وجب على أخيه المسلم أن يمحضه النصح والرأى السديد الخالص .. وهذه دعوة للاخلاص في الرأى وفي السريرة .

ودعوة أخرى الى اظهار الشعور يحس بـه المسلم من تأثير في العطاس فاذا حمد الله بعد العطاس فعلى أخيه الذى يسمعه أن يقول له يرحمك الله .. فيرد عليه العـاطس يهديكم الله ويصـلح بالكم .. فان أصـابه المرض ولزم الفراش وجب على أخيه الصحيح القـادر أن يزوره وان يواسيه لأن زيـارة المريض تخفف من ألمه وتسرى عنه وتقوى معنويته فان انتهى أجله من الدنيـا مشي أخوه المسلم في جنازته .. وفـاء له ، ووعظـا لنفس الحى ، ومشاركة للمصابين في مصابهم .. وتعزية لهم .

ان هذه الأخلاق أخلاق اسلامية لا يطبقها مجتمع الا عـز وارتفع وبلغ ذروة الكمال والمسلمون أولى الناس بهـا .

حكمـــة :

(أولى الناس بالفضل أعودهم بفضله ، وأعون الأشياء على تذكية العقل التعلم وأدل الأشياء على عقل العاقل حسن التدبير) ..

حكم ترسم طريق الحياة ومعاملة الناس وآثـار أفعالهم وتصرفهم ولكن الناس اليوم شغلوا حتى عن تذوق الحكمة وفهم الكلام والتلذذ بحلاوته فكل جملة من هذه تساوى ما لا يحد من الماديات فالرجل الذى اذا آتاه الله فضلا ورزقه منصبا أو جاها أو مالا أنفق منه واستعمله في الخير وأوصله للآخرين هذا هو أولى الناس بالفضل .. والتعلم هــو الطريق الوحيد لاذكاء القريحة وتنميـة المواهب وقدرة العقل وهذه حقيقة لا يختلف فيها اثنـان .. وحسن التدبير والتصرف في الأمور دليل العقل المدرك الذى يضـع الأمور في مواضعها فلا افراط ولا تفـريط ، ولا تقـتير ولا اسراف بل وســط وتخـير للأمور .. جزي الله حكماءنا كل خير لقد صـبوا تجاربهم في كلمات ســهلة مقبولة .. وما علينا سوى فهم ما تركوه لنـا ..

المدنيـة :

أمين تقى الدين .. يعرض واقع الأمــة الاســلامية ونظرتها الى المدنية الغربية وكيف أخذها بعض الناس وفهموها على غير حقيقتها .. وماذا جنت على الأمــة الاسلامية من البلوى وهم مندفعون اليهــا لا يفرقون بين الغث والسمين .. فيقول :

شــهدوها في الغرب تبنى قصــورا	ما رأوهــا في الغرب تمحو ديـارا
غــرهم ظــاهرا لهــا فتعــاموا	عــن قبيــح تحت البهــاء توارى
وأتونــا بهــا وقــد عربوهــا	فقرأنـا فيهــا الشــقا والبــوارا
ان في بعض ما اقتبســنا مــن الغــر	ب كمــالا وان في البعض عــارا
فخلعنــا التمــدن الحـق عنـــا	ولبســنا التمــدن المســتعارا

يا ابنــة الغرب احجبى وجهــك الكا — لح عــنى وأوســعينى نفـــارا
واســترى ذلــك الجمــال المداجى — وأمــنعى ذلــك البهــاء الغــرارا
قبــح اللــه كــل حســـن يحليـ — ـك وان كــان يخجــل الاقمــارا

شروط العـلم

شروط العـلم :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

(تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم) ..

يناقش الفاروق أثر العلم وتتيجته .. فــان كثيرا من الناس يدرك شيئا من العلم يبلغ به معاشا ، أو يدرك بسببه جاها ، أو يجد نفاقا بين مجتمعه .. ولكن ذلك لا يدوم ، ولا بد أن تبدو الحقيقة ..

فالعلم لا يكون علما الا اذا أدى ثمرته ، وهى طبع المتعلم بطبيعة العلم ، وتخلقه بأخلاق العلماء ، وظهور السكينة والحلم في تصرفاته ومعــاملة الناس اما اذا كان مدعى العلم أحمق أو أهوج ، أو متسرعا فليس بعــالم ، بل قــد يؤدى تتيجة عكسية لأن الناس يظنونه عالما وهو في الحقيقة غير عالم بالمعنى الصحيح ..

وهذه الحقيقة هى الاجابة على ســؤال يرتسم في الذهن دائما ، لماذا لا تبدو آثــار العلم ، ولماذا ذهب الخير والبركة من قول وفعل العلماء .. السبب هو عدم تخلقهم بخلقه وعدم تطبيقهم لشروطه ، ومن شروطه صلاح العالم بنفسه واصلاح من حوله والاخلاص للمسلمين ومحضهم النصح ودعوتهم الى الخير ، والتمثل بالصفات الحميــدة مثل السكينة والانــاه ، والحكم والتواضع ، والترفــع عن السفاســف في القــول والعمــل ، وهــذا هــو الذى أراده عمر بن الخطاب .

الصـــديق :

يقول « مسكين الدارمى » في وصف الأصدقاء : ـ

اصـحب الأخيـار وأرغـب فيهـمُ	رب مـن صـحبته مثـل الجرب
وأصـــدق النـاس اذا حدثتهـم	ودع الكـذب لمـن شـاء كذب
رب مهـــزول ســـمين عرضـــه	وســمين الجســم مهزول الحسب

يتحدث الشاعر عن جانب مهم من جوانب الحياة ، وهو الأصدقاء فأى منـا يستطيع أن يعيش بدون أصـدقاء ؟ • لا يوجد أحـد ! ولكن شروط الصحبة اختيار الأصحاب وانتقاؤهم ممن يتصفون بصفات الخـير ويدلون عليه ، وينصفون بالصدق والابتعاد عن الكذب • وممن يكون مخبرهم صافيا وسليما فلا عبرة بالمظاهر فرب رجـل يبدو هزيلا في جسمه تلتهمه العين لكنه في حقيقته سليم الصدر سـمين العرض ، نظيف الطوية ، ورب رجل يبدو في جسمه ومظهره كبيرا وهو في حقيقة أمره مهزول صغير حقير لانه يضمر نفسا خبيثة وخلقا سيئا وغشا للناس ••

ولعله لا يغيب عن البال أن المرء يحكم عليه من النظرة لصديقه والناس يدركون الحقائق مهما طال الزمن فليختر كل واحد لنفسه ما شاء •• !



هيمنـة المـال

قال الله تعالى :

(كُلُوا مِنْ طَيِّبَات مَارَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطغُوا فِيه فَيحِلَ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمِنْ يَحِلِلُ عَلَيهِ غضَبى فَقَدْ هَوَىٰ ..)

هذه الآية جاءت في سياق القرآن خطابا لبنى اسرائيل حينما أنعم الله عليهم فنجاهم من عدوهم ، وأنزل عليهم المن والسلوى وأعطاهم النعم الكثيرة فدعاهم .. كما هو دعاء لكل المخلوقين .. أن يأكلوا من طيبات ما رزقهم لا من سيئها ، ولا من الذى لا يجوز أكله وحذرهم من أمر عظيم وهو الطغيان في المال ، والتكبر والتجبر بسببه الذى هو ديدن كثير من الناس حينما يعطيهم الله المال ، ويغدق عليهم من الرزق فتراهم ينسون المنعم عليهم ويعتقدون انهم أوتوا هذا المال لخاصية بهم ، أو فضل امتازوا بـه على غيرهم فيقبلون على هذا المال يتمتعون منه بما لا يحل ولا يجوز وقد أكد الله عز وجل أن جـزاء الطغيان هو حلول غضب الله عز وجل على الأمة التى طغت وتجاوزت الحد ومن يحلل عليه غضب الله فقد هـوى وسقط عند الله وعند الأمم كلها فبعد أن كان منصورا يصبح مخذولا وبعد أن كان عزيزا يصبح وضيعا وبعد أن كان غنيا يصبح فقيرا .. وهذه ظاهرة في تاريخ الأمم السابقة والحاضرة وتعليل لما يقع على الأمم من تحول وتقلب .. والله حكيم عليم .

القســيم :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(انه ليأتى الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة)

القيم في الدنيا وفي نظر كثير من الناس لهـا معايير ومقاييس خاصة فقد تكون قيمة الرجل لديهم كبيرة اذا كان سمينا كبير الجسم قوى البدن وقـد يكون ذا قيمة لانه يملك مالا كثيرا أو لانه ابن فلان أو فلان أو لانه ذو جـاه ومركز كبير •• وذلك ناشيء عن حياتهم واحتياجهم وأعرافهم السائدة في كل وقت •• ولان كثيرا من الناس يحكم بالمظهر ولا يعتنى بالمخبر وقد يتعـارف الناس على رجل بانه عظيم ولـه قيمة وهو في حقيقة نفسه حقـير صغير لكنه يستغل هذا المظهر والشهرة فينساق معهـا وينسي ربه عـز وجل الذى يعلم السرائر •• وهنا لامس رسـول الله صلى الله عليه وسلم الحقيقـة كما هى فأوضح أن القيم والمعايير يوم القيامة تختلف عنها في الدنيا ، لأن الذى يقيـم الناس هو رب العالمين وهو الذى يعلم كل شيء عنهم فقد يأتى رجل سـمين عظيم في الدنيا لكنه في الآخرة لا يسـاوى جنـاح بعوضة لان لم يوضع في ميزان سوى حقيقة شخصيته اما الظاهر والادعاءات فلا وجود لها هناك •• بل كل يجارى بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر •

حقـــائق :

قال الشعبي :

(يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم : ما أدخلكم النار وانما أدخلنـا الله الجنـة لفضل تأديبكم وتعليمكم ؟ فيقولون : انا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهى عن الشر ونفعله) ••

قد تنطلى الأمور وتستتر الحقائق في الدنيا يواريها التظـاهر والتصنع ولكنها في الآخرة تبدو على حقيقتها وقد يوجد اناس في الدنيا يعلمون الناس ويوصلون لهم الحق ويهدى الله بسبب ذلك أناسـا كثيرين لكنهم في حقيقتهم يقولون ما لا يفعلون ، ويبطنون خلاف ما يظهرون ويطلبون مـن الناس أن يعملوا ولكنهم لا يعملون بما يأمرون •• وفي يوم القيـامة يندمون •• حيث لا ينفع الندم ويشقون اذا سـعد الناس ، ويعترفون بالحقيقة حيث لا نفـاق للتظاهر أو الادعـاء ••

المــروءة :

(سأل معاوية بن أبى سفيان ، عبد الله بن عمر .. ما المروءة ؟ .

فقال : تقوى الله وصلة الرحم . ثم سأل المغيرة بن شعبة .. ما المروءة ؟ فقال : العفة عما حرم الله والحرفة فيما أحل الله . ثم سأل ابنه يزيد .. ما المروءة ؟ ، قال : الصبر على البلوى والشكر على النعمى والعفو عند المقدرة فقال له معاوية : أنت منى حقا .. وما نكب المغيرة عن القصد) ..

رجال أبطال حكماء على رأسهم معاوية الحليم الذى يملك الضغط على أعصابه دائما .. سأل هؤلاء عن المروءة فأجابه كل واحد بما يعتقد أنه التعريف المطابق لها وكل اجابة من هذه الاجابات تعنى جانبا من جوانب المروءة .. ويهمنا هنا شيئان :

الأول : الاستفادة من هذه التعريفات والعمل بما جاء بها ..

والثانى : ملاحظة احاديث ومجالس اسلافنا بماذا كانت تشغل وكيف كان الحديث يدور ..

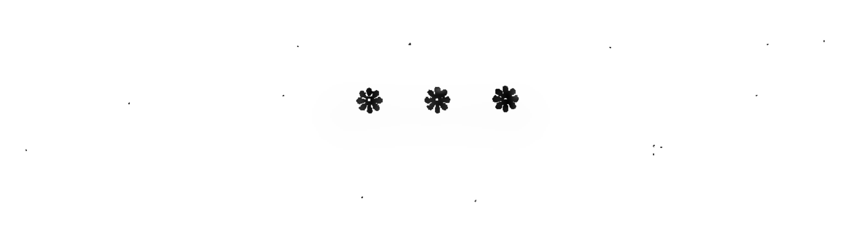
لقد كانوا ينطقون بالحكمة ويسألون عنها ، ويفعلون المروءة ويعلمونها للناس .. ومقارنة سريعة في زمننا هذا تعطينا الفرق الواضح والبون الشاسع بيننا وبينهم .. وهذا سر تخلفنا ..

الغضــب :

(جاء رجل الى سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال : أوصنى ؟ قال : لا تغضب .. قال : لا أقدر .. قال : فان غضبت فامسك لسانك ويدك) ..

الغضب شر كله .. في أوله ووسطه ونتيجته فيه شر على الغاضب والحاضر والمغضوب عليه .. ولقد أوصي رسول الله صلى الله عليه وسلم

رجلا ســأله أن يوصيه فقال لــه : لا تغضب •• قال له : فردد مرارا فقال : لا تغضب وهنا يوصي سلمان بعــدم الغضب •• فلما أكد له الســائل انــه لا يستطيع الامتناع عن الغضب •• قال له : اذا أمسك يدك ولسانك •• فقد نهاه عن أثر الغضب وهو تلفظ اللسان بكلام قبيح وفعل اليــد الاعتداء على الغير •• وهذه طريقة في معالجة الغضب •• ولقد رأيت رجــلا من العقــلاء الناجحين في الحياة كان اذا غضب أسرع في الخروج الى مكان ليس فيه أحد ، وصار يهز نفسه ويحرك يديه •• ويدور في المكان •• ويستغفر الله •• ويذكره حتى يزول عنــه ما يجــد ••



الحيــاة ابتلاء واختبــار

قال الله تعالى :

(انَّا جَعَلْنَا مَا على الارْضَ زِينَة لها لنَبْلوهُم ايهمْ احسَنَ عَمَــــلا ..)

خلق الله هذه الأرض وسخرها للآدميين وابدع فيما وضع عليها مــن أمور تجعلها جميلة صالحة للحياة .. قال الفضيل : لقد أطلت النظر في معنى هذه الآية .. وكلما تعمقت فيها ازددت ادراكا للمراد منها .. وحق للفضيل أن يمعن النظر ويطيل التفكير في معنى هــذه الآيــة الكريمة فان كثيرا من الناس يعيش عليها كالبهائم يأكل ويشرب ويتمتع بزينتها وينعم بخيراتها .. ولا يفكر فيما وراء ذلك ..

وقد أراد الله عز وجل شيئا آخر غــير تجميل الأرض انه أراد ابتلاء الانسان الذى مــلأ الأرض بحرثه ونسله ، وســار فيها طولا وعرضا ورأى آثار قدرة الله عز وجل .. تراه يتعظ ويدرك حكمة الخالق أم يلج في عناده ويعيش على هامش الحياة .. ان العاقل هو الذى يعلم انه لم يخلق عبثا وان الله هيأه لأمر عظيم فيعمل في هذه الحياة لدنيــاه وآخرته ويزرع في وقت الزرع ليوم الحصاد ويحسن الى نفســه والى الناس .. وسيتبين بعد مــن هو أحسن عمــلا .

منزلة طالب العلم :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقــا الى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم

الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده .. ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه) ..

دعوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريض على طلب العلم والسعى فيه ، وبيان جزائه ومنزلة طالب العلم فطريق العلم النافع يؤدى الى الجنة والجلسة في البحث العلمى النافع ترضي الرب وتجعله ينزل على طلاب العلم السكينة والرحمة ويرسل ملائكته حولهم يحفظونهم ويباركون عملهم ويباهى الله بهم ملائكته الذين لديه فيذكرهم ويشيد بعملهم ويظهر رضاه عنهم .. وهذه ميزة عظيمة ومنزلة عالية كبيرة لا يدركها سوى طلاب العلم ولكن أى طلاب هؤلاء .. انهم الذين يخلصون النية لله عز وجل ويقبلون على العلم برغبة وصدق ويحرصون على الفائدة ويبذلون الجهود لادراك الفائدة العلمية .. ولن ينال العلم الا من كرس كل جهوده له ، وفرغ نفسه من أجله واذا لم يضاعف الجهد ويجد ويجتهد فانه لن ينال شيئا وان كان في نظر الناس ذا قيمة اجتماعية أو نسب شريف .. فلا وزن لشيء سوى العمل .. العمل الذى يؤدى النتيجة الحسنة ..

الكتاب :

يقول الجاحظ في وصف الكتاب :

(الكتاب هو الجليس الذى لا يطريك ، والصديق الذى لا يقليك ، والرفيق الذى لا يملك ، والمستمع الذى لا يستزيدك ، والجار الذى لا يستعطيك ، والصاحب الذى لا يريد استخراج ما عندك بالملق ، ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق) .

كل ما يقال عن الكتاب فهو حق .. وكل وصف يوصف به الكتاب فهو حرى به وأهل له .. ففى الكتاب كل شيء وبه يدرك المرء أخبار الماضين وأحوال الحاضرين ومستقبل القادمين .. ولقد أعجبنى من وصف الجاحظ قوله : والصاحب الذى يريد استخراج ما عندك بالملق .. وقلت في نفسي

ما أشبه الليلة بالبارحة .. فهل كان الأصحاب في زمن الجاحظ مثل الأصحاب في زمننـا ؟ .

انه الانسان من نطفة واحـدة وطبيعة واحدة .. لا يبتعـد عن خلقـه ولا يدعه على مر الزمن وأى صفة ذم ؟ وأى لوم أكثر أو أشأم من أن يخدع صاحب صاحبه ويسترسل له بالملق ليستخرج ما عنده من الاسرار التى كتمها عن كل الناس سوى صديقه .. فيسمعها هـذا الصديق ويكذب معها مـائة كذبة .. ويشوه حقيقتها ويرويها بلسانه الملق والمخادع الذى امتهن النفـاق والمراء منهجا وطريقا .. وان وقفة مع كتاب ، وتسريحا للنظر في صفحاته لهى خير من أصدقاء يشتبه أن يكون فيهم صديق مخادع أو منافق .. وهم كثير ـ لا كثرهم الله ـ في هـذا الزمن ..

وصـيـة عمـر :

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا ولى واليا أو اختار كاتبا أوصاهم بهـذه الوصـية :

(ان القوة على العمل ألا تؤخروا عمل اليوم لغـد .. فانكم اذا فعلتم ذلك تذاءبت عليكم الأعمال فلا تدرون بأيها تبدؤون وأيها تأخذون) .

وصية حكيم مجرب ، وعامل مثالى .. عرك الزمان فأدرك خفاياه وجرب الامور فأدرك حقائقها .. انه الخليفة البطل الذى يحب العمل ويدعو النـاس اليه . .يوصي الامراء والكتاب بأن يبادروا للعمل ويعملوا كل شيء في وقتـه ولا يؤخروه لانهم ان أخروا عمل اليوم الى غد وعمل غد الى ما بعد غد .. وأجلوا وسوفوا سوف تتراكم عليهم الأعمال وتكثر فلا يستطيعون اداءها بل سيتحيرون ولا يدرون كيف يبـدؤون ولا متى سينتهون .. وضـاع الأهم بجانب المهم والمهم مع غير المهم والعاجل مع المتراخى .. واختل تبعـا لذلك النظام وضاعت مصالح الناس .. ليت عمر بن الخطاب يدخل أحـد مكاتبنا اليوم ليرى كيف يعمل الموظفين .. انى لا أشك في انه سيعلو بدرته رؤوس كثيرين وسيأخذ بيد بعضهم الى الشارع ولن يبقى الا القليل النادر ..

التوازن بين الدنيـا والآخرة

قال الله تعالى :

(وَابتَغ فِيمَا آتـاكَ الله الدَار الآخِـرَة ولا تَنْسَ نَصِيبكِ مِنَ الدُنيَا واحْسَن كما اَحسَنَ الله اليْهِ ولا تَبْغَ الفَسَاد في الارضَ انَّ الله لا يُحِبُ المفسدِين ..)

وردت هذه الآية في قصة قارون المعروفة التي ذكرها الله عـز وجل وهي على لسان قومه حينما كانوا يحدثونه بعد أن عتا وتكبر .. وأفسد في الأرض وتجبر على ربه وعلى الناس بسبب المال الكثير الذى آتاه الله .. وهذه الآية قاعدة عظيمة في النظرة الى الحياة والعيش فيهـا .. فالمسلم يجب أن يعمـل ويكافح ولا يهمل ما يحتاجه في الدنيا .. فاذا أعطاه الله مـالا فعليه أن يبذله في وجوه الخير وان يبتغى به الدار الآخرة ، فينفق منه على الفقراء والمحتاجين ويعين فيه الضعيف ويقضي بـه حوائج المسلمين ..

وهو حينما جعـله الله غنيـا يجب ألا يخرجه ذلك عن طوره فيعيث في الأرض فسـادا فان الله لا يحب المفسدين فاذا أفسـد الغنى في الأرض وظلم الناس وتعدى على حقوقهم فان الله سيمقته وسيعذبه اما في الدنيا بنزع المال وابتلائه بالفقر وأما في الآخرة بمجازاته على ما عمل في الدنيا وعلى اضـاعته الفرصة التى أتاحها الله له .

هذه القاعدة التى وضعها الله للأغنياء فعلينا أن نجعلها نصب أعيننا دائما .

المســـلم :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« المسلم أخـو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه •• من كان في حاجة أخيه المسلم كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة » ••

هكذا ينبغي أن يكون المجتمع الاسلامى ، الأفراد متكافئون في هذا المجتمع الواحد كفء للآخر اه ما له وعليه ما عليه وفوق ذلك درجات فهو أخوه مثل أخيه الذى ولدته أمه وخرج هو واياه من بطن واحدة وعاشا سواء في كل حياتهما •• وما بالك بواجب الاخ نحو أخيه •• انه عظيم وكبير فالأخ لا يظلم أخاه بظلم حسي أو معنوى فلا يظلمه بأخذ حقه ولا بالاعتداء عليه ولا يكذب عليه ولا يخونه أو ينسبه للخيانة ، وهو عون له في حياته فلا يسلمه لأحد ليظلمه أو ليعتدى عليه فهو عونه وردء له ومدافع عنه •• واذا سعى المسلم في حاجة أخيه المسلم ليقضيها أو في مشكلته ليحلها فان الله عـز وجل سيكون في حاجته وسيحل مشكلاته وسيجنبه الشر بأنواعه ••

ومن فرج عن مسلم كربة أصابته في حياته ظاهرة أو باطنة مالية أم معنوية بعمله أو بسببه فرج الله عنه كربة أعظم وأشد منها وهى من كرب يوم القيامة التى لا يستطيع أحد عملا سوى الله عز وجل •

هذه المنزلة التى ينبغى أن يكون عليها المجتمع الاسلامى فاذ قصر أفراد أو فرطوا بشيء من ذلك فقد أضاعوا على أنفسهم حقا أعطاهم الله اياه ••

لبيـــد :

جاء الاسلام فصقل قرائح الشعراء ووجهها نحو الخير وانتشلها من التردى في مهاوى الباطل وامتهان الشر وقد أحدث ذلك شعرا جديدا في الاسلام وأكسب الدعوة وأيدها ودعا الناس الى الخير وامتاز بالاحتشام والاتـزان ••

وهذا لبيد بن ربيعة كان شريفا في الجاهلية وتأخر اسلامه ولما أسلم آلى على نفسه ألا يقول شعرا •• وقد أقام في الكوفة وفي لفتة من لفتات عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى عامله في الكوفة يطلب اليه أن يسأل لبيد بن ربيعة عما أحدث من الشعر في الاسلام •• فقال لبيد : أبدلنى الله بالشعر (سورة البقرة وآل عمران) •• فزاد عمر في عطائه •• وأكرمه ولم يعرف له في الاسلام سوى هذين البيتين الأول قوله :

عاتب

ما عابت المرء اللبيب كنفسه   والمرء يصلحه الجليس الصالح

والثانى قوله :

الحمد لله اذ لم يأتنى أجلى   حتى لبست من الاسلام سربالا

ولقد وفى بعهده حقا •• فانه كان نذر الا تهب الصبا الا نحر وأطعم •• وداز الزمن وأقام في الكوفة وهو فقير كبير السن •• وهبت الصبا فصار يضطرب كالأسد لانه يريد أن يفى بوعده وليس بيده مال •• فعلم بذلك الوليد بن عقبه بن أبى معيط عامل الخليفة عثمان على الكوفة فنادى في الناس أن يعينوا الوليد بن ربيعة ليفى بنذره وبدأ هو التبرع وسارع الناس لذلك حتى اجتمع للوليد ألف ناقة فصار ينحر ويطعم ويهب •• وانتهى النذر وأكل الناس وطوقت عنقه منة ابن أبى معيط •• وتمنى أن لو يستطيع قرض الشعر ليشكره بخريدة عصماء ولكنه لن يقطع العهد الذى نذره لنفسه فطلب من ابنته أن تجيبه فأجابته بالقصيدة المشهورة :

اذا هبت رياح أبى عقيل   دعونا عند هبتها الوليدا

أشم الأنف أصيد عجشميا   أعان على مروءته لبيدا

رحمهم الله جميعا •• وعوضنا بفعلهم وشعرهم خيرا ••

الحـــــلم :

ينسب الى الخليفة على بن أبى طالب رضي الله عنه قوله :

« أول عوض الحليم من حلمه أن الناس أنصاره على الجاهل » ••

دعوة واغراء من حكيم مدرك للناس أن يكون فيهم الحليم الذى يعامل النـــاس ويصبر على أذاهم •• وعرض للنتائج التى يجنبها الحليم مـــن حلمه ومن خلقه الكريم وان الحلم خير كله فما كان في شيء الا زانه ولا نزع مـــن شيء الا شـــانه وهو صفة حميدة عـــالية لا يدركها الا من وهبه الله عقـــلا وفضلا وخلقا عاليا وصفات كريمة •• وهو جمال وبهاء يؤتيه الله من يشـــاء من عبـــاده ، وصاحبه سعيد في نفسه محبوب لدى الناس •• وهذه الحكمة تبين فضل الحليم بأنه لو جاء له لئيم جاهل لكان الناس جميعا أنصـــاره على هذا الجاهل لما يرون من حسن معاملة الحليم وسوء معاملة اللئيم ولما يـــرون من صبر هذا وجزع ذاك ومن حسن هذا وقبح ذاك ••

وهذه وحدها تكفى لفضل الحليم •• ولا ينكر أحد فضل الحلم ومنزلة الحليم ولكن هل يستطيع الرجـــل أن يكون حليما ؟ •• الجواب : ان صـــفة الحلم تكون على حالتين :

الأولى : أن يكون الرجل مطبوعا على الحلم ••

والثانية : أن يكتسب الحلم من جلسائه وقراءته وثقافته •• وهـــذه أقل من الأولى •• ولقد كان الحليم في الأزمنـــة السابقة يظهر بين فترة وأخرى •• اما في زمننا هذا فانه نادر ••



التواصي بالحق والصبر

قال الله تعالى :

(والعَصْرَ ان الانْسَانَ لَفِى خُسْر الا الذين آمَنُوا وعَمِلوا الصَالِحات وتَواصَوْا بالَحقِ وتوَاصوْا بالصبَر ..)

أقسم الله عز وجل بهـذا العصر الذى هو مكان حيـاة البشر ومجال وجودهم في الدنيا وأكد أن من في هـذا العصر كله خاسر وكل عمله هبـاء لا فائدة منه ، الا الذين آمنوا بالله ، وعملوا الصالحات وتعاونوا على الحـق وتواصوا به ووطنوا أنفسهم على الصبر وتواصوا به ..

هذا النوع من الناس هو الذى تكون حياته رابحة ويكون عمله نافعا .. ولعل المرء يحب الدنيا ويحب الحياة ويحب البقاء ويكابد المشـاق في سبيل العيش ولكنه اذا فكر في حقيقة الحياة يجد انها لمحـة من الزمن أو ظل يفيء ويزول .. ولا يبقى منـه الا العمل الطيب .. العمل الذى يعمله الانسـان لنفسه أو يسديه الى اخوانه .. وهكذا تمضي العصور ويزول من فيها وهى باقية الى ما شاء الله ولم يحفظ التاريخ أن انسانا بقى أكثر من عمره أو جمادا عاش أكثر مما أراد الله له .. وكل المخلوقات عابرة والزمن باق فالزمن انـاء وما يضع فيـه الانسان هـو الشيء الباقى وخيره وأفضله العمـل الصـالح والتواصي بـه ..

المجتمع الاسلامي :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العـانى) ..

أمر جماعى مطلق لم يستثن منه أحد من المخاطبين فكل المسلمين يجب أن يطعموا الجائع ويعودوا المريض منهم ، ويفكوا الأسير •• وكيف يكون ذلك ؟ تكون المسألة جماعية اذا علم كل المسلمين بأن أحدهم جائع •• وتكون خاصة حسب علم كل أحد •• والاسلام لا يأمر بمستحيل ولكنه يحفظ حق الافراد فعلى الجار أن يتفقد أحوال جيرانه فمن كان منهم جائعا أطعمه على حسب قدرته •• ومن كان منهم مريضا زاره وواساه وطيب نفسه وتفقد حاجته وحاجة أهله ومن كان أسيرا فك أسره •• وفك الاسر يكون معنويا وحسيا وتفريجا عن كربة ومساعدة على أمر مكروه •• وحفظا لماء وجه المسلم ••

ان الاسلام أراد للمسلمين أن يكونوا على أرقى المجتمعات وأفضلها وهكذا كان المجتمع الاسلامى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده بزمن •• والطريق مفتوح أمام المسلمين اليوم فلديهم نظام اجتماعى عظيم لو اجتمعت كل المدنيات على أن تأتى بمثله أو بما يدانيه لم تستطع ••

مساجلة وحكم :

زار عبد الله بن الزبير خالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبينما هو كذلك في حديث عائلى معها اذ استأذن مروان بن الحكم فاذنت له •• فسلم وجلس ودار الحديث بين الثلاثة ثم انفرد مروان وعبد الله بالحديث وعائشة تسمع •• وبعد أن استعرضا الامور ساعة جرت بينهما المساجلة التالية :
ابتدأها مروان فقال :

فمن يشأ الرحمن يخفض قدره ... وليس لمن لم يرفع الله رافع

فأجاب عبد الله :

ففوض الى الله الامور اذا اعترت ... وبالله لا بالاقربين ادافع

فقال مروان :

وداو ضمير القلب بالبر والتقى ... فلا يستوى قلبان قاس وخاشع

فقال عبد الله :

ولا يستوى عبدان هـذا مكذب ... عتـل لارحـام العشيرة قـاطع

فقال مروان :

وعبـد يجـافي جنبـه عن فراشه ... يبيت يناجي ربـه وهو راكع

فقال عبد الله :

وللخـير أهـل يعرفـون بهديهم ... اذا اجتمعت عند الخطوب المجامع

فقال مروان :

وللشر أهـل يعرفـون بشـكلهم ... تشير اليهم بالفجور الاصـابع

وهنا سكت عبد الله •• فقالت عائشة ما لك يا عبد الله لمْ تجب صاحبك ؟ فوالله ما سمعت تجاولا في نحو ما تجاولتما فيه أعجب الى من تجاولكما •• فقال عبد الله : انى خفت عور القول فكففت ••

هذه هى المساجلة النافعة التى تعلم الشعر وتعود عليه وتشحذ القرائح وتحرك الهمم ولا سيما اذا كانت في المعانى الكريمة التى تفيـد العقل وتنمى صفات الخير وتستبقى المعروف وتدعو الى مكارم الأخلاق ••

ولقد انتهى هذا النوع من الأدب في وقتنا وشغل الناس بما يقطع الوقت ولا يبقى أثرا ولا ينتهى الى فائدة واستوى الماء والخشب فصار العالم والمتأدب والعامى والبعيد عن العلم سـواء في ذلك حتى ان الرجل ليدخل المجلس فلا يرى علامة يميز بها العالم من غيره •• ولا حول ولا قوة الا بالله ••

حكمـــة :

(يقال أن رجلا سأل على بن أبى طالب رضي الله عنـه فقال : كم عدد

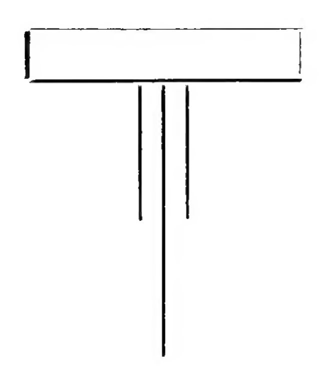
أصدقائك ؟ •• فأجاب علي : لا أدري الآن لأن الدنيا مقبلة علي والناس كلهم أصدقائي •• وانما أعرف ذلك اذا أدبرت عني ، فخير الأصدقاء مـن أقبل اذا أدبـر الزمـان) ••

انها كلمات في الصميم •• وقاعدة للأصدقاء •• من رجل مجرب ابتلى بأصدقاء متعددين مختلفي المشارب والاهواء وقاسي منهم الأمرين وصبر عليهم واجتاز المحنة والشدائد وتكشف له كل شيء ••

والأصدقاء دائما كذلك وهذه طبيعة البشر •• يقبلون اذا اقبلت ويدبرون اذا أدبرت ••

والناس من يلقى خيرا قائلون لـه ما يشتهي ولام المخطىء الهبـل

وهم في ذلك سواء ، القريب والبعيد والعاقل والأحمق الا من شاء الله وما بالك بهـذا الزمن الذى اختلفت فيـه المعايير وتبدل النـاس بأفكارهم وعاداتهم ، أفكارا وآراء جديدة •• وكثر الشر وأتباعه •• وكثرت اخلاطهم •



قـائمة بالخطـأ والصواب

حصل تطبيع يسير نرجو لفت نظر القارىء اليه

صفحة	سطر	خطـأ	صواب
٩٢	٧	زينـةَ	زينـة
٢٥٧	٣	أن تبدوا	إن تبدوا
٢٥٧	٣	أن تخفوا	إن تخفوا
٣٠١	٤	بحرب	ِبحرب
٣٠٥	٣	أن كان	إن كان
٣٠٥	٣	واخوا ِنكم	واخوا ْنكم